روايات الهلال

المستهترون

البرتو مورافيا



روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٣٩٢ - اغسطس ١٩٨١ - شوال ١٤٠١

No. 392 — August 1981

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: الدكتور حسين مؤنس

سكرتير التحرير: موسى عيد

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من « روايات الهلال » الشهرية اعتبارا من شهر يناير عام ١٩٧٩ :

بسعر ٢٠ قرشا للقارئ فى مصر

سوريا : ٣٠٠ ق . س . ثلاثمائة قرش سورى .

لبنان : ٢٥٠ ق . ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا » .

الاردن : ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا اردنيا » .

الكويت : ٣٥٠ فلسا « ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا » .

العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى » .

السعودية : ٤٫٥ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال » .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

الغلاف بريشة الفنانة
ســـميده حســـنين

المستهترون

بقلم

البرتو مورافيا



محمد عبد المنعم جلال

دار الهلال

المؤلف

ولد البرتو مورافيا فى روما فى الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٨ ، وكان ابوه مهندسا معماريا . وقد أصيب الكاتب بسل العظام فى صباه وقضى حداثته متنقلا بين المصحات . وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره نشر أولى رواياته « اللامبالون » وهى تلك التى نقدمها للقراء اليوم . وقد كتبها باللغة الفرنسية التى يجيدها اجادته للغة الأصلية ، كما يجيد الانجليزية والألمانية . وقد صادفت تلك الرواية نجاحا كبيرا على الفور وكانت سببا فى شهرته ، وهى تتسم بالواقعية والتشاؤم وهما عنصران تتسم بهما كل رواياته .

ومورافيا يهوى الرسم والترحال فهو يتنقل بين لندن وباريس وبكين وزار مصر اخيرا وقضى فترة فى القاهرة ، ويعتبر حاليا واحدا من أشهر المؤلفين فى أوروبا .

وقد اخرجت السينما العديد من رواياته ونخص بالذكر منها امراة من روما والاحتقار وامراتان .

الفصل الأول

دخلت كارلا . كانت ترتدى قميصا من الصوف البنى وجونلة كانت من القصر بحيث ان الحركة الصغيرة التى أتت بها وهى تغلق الباب كانت من الكفاية بحيث رفعتهـا ما يقرب من شبر فـوق الركبة ، وكشفت عن ثنية الجورب . ولكن لم يبد عليها انها لاحظت ذلك ، وتقدمت بحذر وتردد فى نفس الوقت وهى تحدق أمامها فى غموض . وكان ضوء المصباح الوحيـد الذى ينير الغـرفة يقع على ركبتى ليو ، الجالس فوق الاريكة . أما باقى الصـالون فكان غارقا فى عتمة خفيفة .

وقالت : سوف تهبط أمى ... انها تستبدل ثيابها .

قال الرجل وهو ينحنى الى الأمام : سوف ننتظرها معا . تعالى يا كارلا واجلس هنا .

ولكن كارلا أصمت أذنيها وراحت تحدق فى دائرة الضوء ، تحت الأباجورة ، حيث بدت بعض التحف وتغلبت على غيرها من الأشياء الجامدة ، غير المحدودة ، المتناثرة فى الظلام ، وراحت تحرك بطرف اصبعها راسا متحركة لتحفة من الخزف الصينى تمثل حمارا يجلس فوقه ، بين سلتين ، بوذى بدين ملتف فى رداء مطبوع بالورود . وكان الحمار يهز راسه فى حركات ايقاعية . وانهمكت كارلا فى عملها هذا وهى مطرقة العينين ، مطبقة الشفتين ، متوردة الوجنتين .

وقالت اخيرا من غير ان تتحرك : هل تتناول العشاء معنا ؟

أجاب ليو وهو يشعل سيجارة : طبعا ... هل يضايقك هذا ؟

كان جالسا فوق الاريكة ، محنى الظهر ، يتأمل الفتاة فى لهفة واهتمام ، ويحدق فى ساقيها الملفوفتين وبطنها المنبسطة وصدرها البارز وراسها المستديرة فوق جيدها الرقيق ، ويقول محدثا نفسه : يا للفتاة الجميلة !

وهاجت مشاعره بعد ان هدات بضع ساعات ، وارتفع الدم الى

صدغيه وود لو أن يصرخ لـكى يعبر عن شهوته .

وحركت الفتاة راس الحمار باصبعها مرة اخرى وقالت : هل لاحظت مدى انفعال امى اليوم ، أثناء تناول الشاى ؟ .. لقد لحظ الجميع ذلك .

قال ليو : هذا أمر يعنيها هى .

وانحنى اكثر عن ذى قبل ، وبحركة عادية رفع طرف الجـونلة وقال : هل تعرفين ان لك ساقين جميلتين يا كارلا ؟

وادار نحوها وجها غبيا محتوما لم تستطع ابتسامة مرحة ان تجد سبيلها اليه . وخفضت كارلا جونلتها فى حركة جافة من غير ان تنطق ومن غير ان يحمر وجهها ، ثم قالت وهى تنظر اليه :

ـ ان أمى تغار عليك ، وهذا هو السبب فى انها تجعل حياتنا جحيما .

أتى ليو بحركة كأنه يقـول : وهل لى حيـاة فى ذلك ؟ .. ثم اضطجع الى الخلف فوق الاريكة ، وعقد ساقيه وقال فى برود :

ـ افعلى مثلى ... عندما ارى الزوبعة على وشك الهبوب اطبق فمى ، فيمر الأمر عندئذ وينتهى كل شىء .

قالت فى صوت خافت ، كما لو ان كلمات الرجل قد ايقظت فيها غضبا قديما أعمى : ينتهى كل شىء بالنسبة لك انت ... أما بالنسبة لنا نحن ... بالنسبة لى ...

واختلجت شفتاها ، واتسعت عيناها لفرط الغضب ، ومست صدرها باصبعها وهى تستطرد قائلة : بالنسبة لى ، انا التى أعيش معها ، لا ينتهى الأمر ابدا .

وساد صمت قصير ثم أردفت تقول فى ذلك الصوت المكتوم ، حيث يضفى الحقد على كل كلمة سمة غريبة : لو تدرى كم هى عيشة بغيضة ، كريهـة ، منفرة .. ان تشهد كل يوم .. كـل يوم ...

وفاض قلبهـا بالحقد وهى تنظر حولهـا ، وبقيت متسعة العينين ، مبهورة الانفاس ، صامتة تحت وطاة موجة الحقد التى طفت عليها .

وتبادلا النظـر ، وقال ليو يحـدث نفسـه ازاء هـذا العنف : يا للشيطان ! .. انها تجد ولا تهزل .

وقال فى بساطة وهو يبسط لها علبة سجائره : سيجارة ؟

قبلت كارلا السيجارة ، وتقدمت خطوة نحو الاريكة ، وقال وهو يتأملها من اخمص قدميها حتى اعلا راسها : انك لا تحتملين هذه المعيشة اذن ؟

ورآها تومىء براسها بالايجاب ، وبدا عليها الارتباك وهى تراه يتكلم بتلك اللهجة ، كما لو كان يتبادل معها سرا . وعاد هو يقول :

ــ حسنا ... هل تعرفين ماذا يفعل المرء عندما لا يحتمل المعيشة فى مكان ما ؟ .. انه يغير المكان .

ــ سوف ينتهى بى الامر الى ان افعل هذا .

كان فى كلماتها هذه شىء مسرحى ، على انها نطقتها كما لو كانت تشعر بأنها تقوم بدور كاذب سخيف . هذا هو اذن الرجل الذى يدفعها مسار غضبها وحنقها اليه شيئا فشيئا ! .. ونظرت اليه ... انه ليس بأفضل ولا بأسوأ من غيره ، بل انه افضل من الآخرين بلا شك ، يميزه عنهم قدر مواطىء تركه ينضج طوال عشر سنوات ، فقد عرف كيف ينتظر ، وها هو الليلة ، وفى هذه الفرفة ينصب شراكه .

ــ غيرى حياتك اذن ... تعالى واقيمى معى .

هزت راسها قائلة ، انت مجنون !

ــ صدقينى .

ومد ذراعه وامسكها من جونلتها واردف يقول : سوف نمنح أمك اجازة ، ونبعث بها الى الشيطان ... وسيكون لك كل ما تريدين يا كارلا .

وراح يشد الجونلة ونظرته المتوقدة تجرى من وجهها المذعور المتردد الى ركبتها العارية التى تظهر فوق الجورب ويقول لنفسه :

ــ ان اصطحبها الى بيتى واحتويها بين ذراعى !

ــ كل ما تريدين .. ثياب .. أكداس من الثياب .. ورحلات .. سنسافر معا .. انه لا ثم حقيقى أن تضحى فتاة جميلة مثلك بنفسها كما تفعلين . تعالى واقيمى معى يا كارلا .

قالت وهى تحاول أن تخلص نفسها منه : ولكن هذا محال ... هناك أمى .. هذا محال .

عاد ايو يقول وهو يطوقها من خصرها : سنعطيها اجازتها ... سنبعث بها الى آخر الدنيا ، فقد آن لكل هذا أن ينتهى ، وستأتين للاقامة فى بيتى ، اليس كذلك ؟ .. فى بيتى ، اننى صديقك

الوحيد .. الوحيد الذى يفهمك ، والذى يعرف ما تريدين .

كانت خائفة . وراح يشدها اليه ، تدور بذهنه افكار سريعة تؤجج شهوته : « فى بيتى .. كل ما تريد » .. سألبى لها كل رغباتها .. ولكن نظرته التقت بنظرتهـا المضطربة ، وادرك انه يجب ان ينطق بنظرتها المضطربة ، وادرك انه يجب أن ينطق بكلمات رقيقة ... كيفما تكون ، لكى يبعث الى قلبها الاطمئنان ، فقال :

ــ حبيبتى كارلا ...

واتت بحركة أخرى لكى تدفعه عنهـــا ، ولكنها كانت ضعيفة الحول ، مغلوبة على امرها بنوع من الارادة المستسلمة . لماذا تصد ليو عنها ؟ .. ان هذا الجهد للحفاظ على عفتها انما سيدفع بها الى الملل والتقزز من العادات القديمة . ثم انه بدا لهـــا فى شىء من القدرية ان هذه المغامرة التى تكاد تكون عائلية هى النهاية الوحيدة التى تتفق مع حياتها السابقة . ومهما يكن فان كل شىء سيكون جديدا . ونظرت الى وجه الرجل المشــدود اليها وقالت تحــدث نفسها : « فلأفرغ » . وراحت رأسها تدور كما لو كانت ستلقى بنفسها من عل .

ولكنها ، على العكس ، توسلت اليه قائلة : دعنى .

وحاولت للمرة الثـــالثة ان تتخلص من قبضته . كانت نيتهـــا الفامضة أن تصد ليو فى بادىء الأمر ثم تستسلم له بعد ذلك ، وربما لكى تجد الوقت لتقيس أبعاد المغامرة التى ستقدم عليها وربما بحركة من الدلال ، وراحت تقاوم عبثا ، فى صوت ضعيف حافل بالقلق واليأس وهى تتمتم فى رجاء لا جدوى منه « لنبق صديقين يا ليو » صديقين حميمين كذى قبل .. ولكن كان فى مسلكها وفى مقاومتها الضعيفة ومحاولتها فى أن تشد على جونلتها لكى تغطى ساقيها . كان فى كل ذلك شىء من العار والاضطراب لا يمحوه مجرد الافلات من ليو ومن عناقه .

وقال ليو فى لهجة تنم عن شىء من المرح : صديقان ... بل اننا اكثر من صديقين ... (وراح يلوى الجونلة بيده) صديقان يا كارلا ... صديقان .

وشد على أسنانه وقد هاجت كل مشاعره بملامسة هذا الجسد الذى يشتهيه ، وتكوم فى آخر الاريكة لكى يفسح لهـــا مكانا وهو يقول لنفسه « اخيرا ... انك لى » وما لبثت ان احنت راسها

تحت المصباح عندما تناهم الى أذنيها صوت باب يفتح فى آخر الغرفة المظلمة ، وادرك كل منهما أن شخصا دخل .

كانت الأم هى التى دخلت . وأحدث قدومها تغييرا فى مسالك ليو ، فقد اضطجع الى الوراء فجأة وعقد ساقيه ، ونظر الى كارلا فى غير اكتراث ، بل انه كان ممثلا قديرا فقد قال فى شىء من الاهتمام كما لو كان ينهى حديثا بدأ بينهما :

ـ صدقينى يا صغيرتى انه ليس هناك ما يمكن عمله .

وتقدمت الأم ، ولم تكن قد استبدلت ثيابها وانما مشطت شعرها وتجملت ، وأفرطت فى استعمال المساحيق والأصباغ ، وسارت نحوهما مترددة ، وبدا وجهها فى العتمة ، بجموده وقسماته الغامضة اشبه بقناع من الغباء والحزن .

ـ هل تأخرت كثيرا ؟ .. فيم كنتما تتحدثان ؟

اتى ليو بحركة كبيرة من يده واشار الى كارلو التى وقفت وسط الغرفة وقال : كنت اقول لابنتك انه ليس هناك ما يمكن عمله الليلة ، واننا سنبقى فى البيت .

ابدت الأم موافقتها فى قوة مهيبة وهى تجلس فى مقعد امام عشيقها وقالت : هذا صحيح ، فقد ذهبنا الى السينما بعد ظهر اليوم . واما عروض المسرح فقد شاهدناها كلها . كان يروق لى ان أستمع الى فرقة بيرانديللو فى مسرحية « ستة أشخاص تبحث عن مؤلف ، ولكنك ان تقبل حقا ، فهى حفلة شعبية .

قال ليو : ثم اننى أؤكد لك انك لن تخسرى شيئا .

احتجت الأم وقالت فى فتور : انت جائر ، فان لبيرانديللو مسرحيات جيدة .. ما رسم تلك المسرحية التى سبق ان رأيناها له .. انتظر .. آه .. الوجه والقناع ... انها أطربتنى كثيرا .

قال ليو وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف : هذا جائز .. أما أنا فقد تملكنى الضجر الى حد الموت .

وراح ينقل عينيه بين المراتين وقد دس ابهاميه فى جيبى صديريته .

وكانت كارلا تقف خلف مقعد امها . وتلقت صدفة نظرته الجامدة الثقيلة فتحطم ذهولها كما يتحطم الزجاج ، ولأول مرة ، ادركت ان المنظر الذى يدور تحت عينيها منظر قديم عادى لم يتغير ، منظر امها وعشيقها وقد جلس كل منهما امام الآخر وراحا يتبادلان

الحديث ... هذان الوجهان الجامدان الغبيان ، وهى ، كارلا ، مضطجعة فى مقعدها تسمع وترد ، وحدثت نفسها قائلة : « نفس الشىء دائما » ولكى لا تصرخ خفضت يديها حتى بطنها وراحت تلويهما الى حد انها آلمت رسغيها بالذات .

واستطردت الأم تقول : ثم اننا نستطيع البقاء بالبيت ، خاصة واننا سنقضى كل سهراتنا الأسبوع القادم فى الخارج ... فهناك غدا ، حفلة الشاى الراقصة للطفـولة المهجـورة ، وبعد غد حفلة الرقص المقنعة بالفندق الكبير ، وهناك دعوات كثيرة ستأتينا من هنا ومن هنا .. ثم .. أوه يا كارلا .. هل تعرفين من رايت اليوم ؟.. مدام ريتشى .. لقد تقدمت بها السن بصورة غريبة .. وقد تأملتها فى اهتمام .. ان بها خطين عميقين من الغضون يبدآن من عينيها حتى فمها .. وشعرها .. اننى لم استطع ان اتبين لونه ... ان منظرها بشع .

قالت كارلا وهى تجلس بجوار ليو : انها ليست بشعة الى هذا الحـد .

وتملكها جزع راح يؤلمها كما لو كانت قد أصيبت بشكة دبوس ، فقد كانت تتوقع ان أمها سوف تنتهى ، بأساليبها الملتوية ، كما هى عادتها ، الى اثارة المشاحنات بسبب الغيرة .. ولكن متى ، ولأى سبب ؟ .. لم تكن تدرى . غير انها كانت واثقة من ان ذلك سوف يقع وثوقها من تعاقب الليل والنهـار . وسبب لها هذا التوقع احساسا من الخوف ، ولم يكن هناك اى علاج لذلك . فقد كان ذلك دائم الحدوث يحتمه قدر حقير .

واستطردت الأم تقول : حدثتنى حديثا لا آخر له . قالت لى انهم باعوا سيارتهم القديمة واشتروا سيارة جديدة غيرها ، من طراز فيات ، وقـالت : هـل تعرفين ان زوجى أصبح الآن اليد اليمنى لباجليونى فى البنك الاهلى ؟ .. ان باجليونى لا يستطيع الاستغناء عنه ، ويعتبره منذ الآن كما لو كان شريكا له ... باجليونى هنا ... وباجليونى هناك .. شىء مقزز .

سألها ليو : ولماذا ؟ .. لا ادرى اى تقزز فى هذا .

قالت وهى ترميه بنظرة حادة كما لو لتدفعه لكى يزن كلماته : اظنك لا تجهل أبدا ان باجليونى عشيقها ؟

قال ليو : ان الجميع يعرفون ذلك .

واستقرت نظرته الجامدة على كارلا وهو ينطق بهذه العبارة .
وعادت مارى جريس تقول فى وضوح تام : ولعلك لم تنس أن آل ريتشى كانوا لا يملكون مليما قبل أن يتعرفوا على باجليونى ، وانهم أصبحوا الآن من الأثرياء .
ــ آه ... وأى ضرر فى هذا ؟ انهم يدبرون أمورهم بقدر ما يستطيعون .
وبدا كأنه صب الزيت على النار ، فقد اتسعت عينا الأم دهشة مشوبة بالسخرية وقالت :
ــ آه .. اذن فأنت تبرر سلوك هذه المراة الوقحة ؟ ... انها ليست جميلة وانما هى كتلة من العظام ، تستغل صديقها بدون أى وازع من ضمير ، فهو يشترى لها الثياب والسيارات ، وتحمله على ان يدفع زوجها الى الأمام . ولا ندرى ان كان زوجها هذا غبيا أم دساسا . هذه هى مبادئك اذن ! .. اوه .. حسنا .. حسنا جدا . لم يعد لدى ما اقول ، فاننى افهمك جيدا . ان مثل هؤلاء النسوة يرقن لك طبعا .
ضحك ليو وقال : كلا . كلا . ان هؤلاء النسوة لا يرقن لى صراحة .
والقى نظرة سريعة جشعة الى الفتاة الواقفة بجواره .. الى صدرها الناهد ووجنتها المتوردتين .. الى الفتاة الشابة .. هذا هو نوع النساء الذى يروق له .
ولكن الأم راحت تقول فى اصرار : انك تزعم ذلك وتتنكر لها الآن ، ولكن من يحتقر يشترى .. وفى اليوم الماضى ، وأنت معها ، عند آل سيدونى امطرتها بالمجاملات ، ورويت لها الف هذر .. كلا ، كلا . لا تحاول الانكار . اننى أعرفك جيدا ... هل تعرف نفسك ؟ .. انت كذاب !
وقالت كارلا تحدث نفسها : ها هى قد بدات !
ورات أن هذا الشجار سيطول ، وادركت ان حياتها اليومية ستبقى كما هى لا تتغير ، وكان فى هذا ما يكفى فنهضت وقالت :
ــ سأذهب لكى ارتدى بلوفر ثم أعود .
وخرجت دون ان تلتفت لأنها احست بعينى ليو ملتصقتان بظهرها لا تتحولان عنه .
والتقت بميشيل فى الطرقة فسالها هل ليو موجود . ولما اجابته

بالايجاب قال : اننى قادم الآن من مدير اعماله .. وقد عرفت منه أشياء جميلة كثيرة .. اولها اننا أفلسنا .

نظرت اليه مذهولة وقالت : ما هذا الذى تقول ؟

اجابها في هدوء : اقول انه يجب ان نتنازل عن الفيللا لليو سدادا لتلك الرهنية ، وان نتركها ونمضى الى مكان آخر لكى نشنق انفسنا فيه .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مغتصبة فقالت كارلا : لماذا تبتسم ؟ .. ايدعو هذا الأمر الى الابتسام ؟

ـ لماذا ابتسم ؟ .. لأن كل سيان .. بل انه لأمر يسرنى .

ـ ليس هذا صحيحا .

ـ بل انه صحيح تماما .

ومن غير ان ينطق بكلمة اخرى ترك كارلو مكانها ، حمقاء ، مذعورة تقريبا ودلف الى الصالون .

كانت امه لا تزال تتناقش مع ليو فى غير كلفة ، ولكنها ما كادت ترى ابنها حتى تظاهرت بانهـا تتبادل هى وعشيقها حديثا عاديا فابتسم الشاب فى رثاء وتقزز وقال لهـا دون ان يحيى ليو ومن غير ان يلقى اليه نظرة واحدة :

ـ اظن انه قد حان الوقت لتناول العشاء .

وصاح ليو يقول فى ابتسامته العـادية : ولـكن من ارى ؟ .. عزيزنا ميشيل ! .. تعال هنا يا ميشيل . لقد مضى وقت طويل لم ارك فيه .

ـ لم يمر اكثر من يومين .

وحدق ميشيل فى ليو وهو يحاول ان يتكلف البرود ، ويود لو ان يقول له « قلما التقينا كان ذلك افضل » فى حين عاد ليو يقول :

ـ اتظن ان يومين شىء قليل ؟ .. ان فى مقدور المرء أن يضفى الكثير فى يومين .

وانحنى ، وظهر وجهه البشوش وسط الضوء وقال : ولكن .. هذه بذلة جميلة .. من الذى حاكها لك ؟

كانت بذلة زرقاء جيدة الصنع ، ولكنها كانت مستهلكة جدا ، وكان ليو قد رآها عليه أكثر من مائة مرة ، ولكن ميشيل ، وقد مست هذه اللمسة المباشرة غروره ، نسى على الفور كل نواياه من الحقد والجفاء ، وقال وهو لا يفلح فى اخفاء ابتسامة راضية :

ـ اهذا صحيح ؟ .. انها بذلة قديمة ، وانا البسها منذ وقت طويل ، وتيتو هو الذى حاكها لى .

وبحركة غريزية استدار نصف دورة وعرض عليه ظهره وهو يشد طرفى الجاكيت لكى تلتصق بخصره . ورأى نفسه فى المرآة التى امامه . لم يكن هناك شك فى ان البذلة كانت جيدة التفصيل ، ولكن بدا له شكله مضحكا وسخيفا ، اشبه بتلك التماثيل المعروضة فى الفترينات والاسعار ملصقة على صدرها ، وخامره احساس خفيف من القلق ، وانحنى ليو الى الأمام وراح يجس القماش ثم اعتدل وهو يقول :

ـ انها جميلة جدا ، ومن نوع جيد .

ثم أردف يقول وهو يربت على ذراع الشاب : ان عزيزنا ميشيل شاب مدهش ، لا غبار عليه دائما .. لا هم له الا اللهو والمرح .. وهو لا يفكر ابدا فى اى شىء .

ولم يلبث ميشيل ان ادرك من لهجة ليو ومن ابتسامته ان مجاملته لم تكن تهدف الا الى هذه السخرية . اين اذن السخط والحقد اللذين تصور انه يشعر بهما نحو عدوه ؟ .. لقد تلاشيا فى أحشاء نواياه . وتملكه الارتباك بصورة فظيعة ، ولم يدر كيف يغادر الغرفة ، وراح ينظر الى امه .

وقالت له هذه الأخيرة : انك اخطأت بعدم بقائك معنا اليوم ، فقد شاهدنا فيلما رائعا .

قال الشاب : آه ... حقا ؟

ثم تحول الى الرجل وبدأ يقول بلهجة شـديدة قاسية بقـدر ما استطاع : ليو .. انني ذهبت اليوم الى مدير اعمالك .

ولكن الرجل أتى باشارة من يده قاطعه بها وقال : ليس الآن ... انني فهمت .. سنتكلم فى هذا فيما بعد ... بعد العشاء ... كل شىء فى حينه .

أجاب ميشيل فى هدوء غريزى : كما تشاء .

ولكنه لم يلبث ان ادرك ان الرجل فرض عليه نفسه مرة اخرى وقال يحدث نفسه . كان يجب ان أقول الآن حالا ، وان ابدأ الحديث واتكلم بصوت مرتفع . لم يكن هناك حل آخر غير هذا . وتملكه الغيظ فان ليو فى بضع دقائق ، وجد الوسيلة لأن يوقعه مرتين فى اخاديد الغرور وعدم الاكتراث .

ونهضت امه هى وليو ، وقال هذا الآخير : اننى جائع ... جائع جدا .

وضحكت المراة ، وتبعها ميشيل وهو يحاول أن يذكى غضبه قائلا في نفسه : بعد العشاء ... لن تتخلص منى بهذه السهولة .

وتوقف الثلاثة امام الباب . وافسح ليو الطريق أمام مارى جريس قائلا : تفضلى .

وبقى الرجل والشاب وجها لوجه . وقال ليو فى لهجة رقيقة وهو يضع يده على كتفه : تفضل ... تفضل ... فأنت رب البيت .

وباشارة ابوية وابتسامة ودية بحيث بدت كأنها ساخرة دفع ميشيل فى رفق . وقال هذا الاخير يحدث نفسه فى غير غضب : « رب البيت ! .. هذه نكتة جميلة ! .. ان رب البيت انما هو انت » . ولكنه لم ينطق ، ودخل خلف امه الى الطرقة .

الفصل الثانى

كانت الثريا ذات الأدوار الثلاثة ترسل نورها على سطح المائدة الأبيض فتلألأت الأطباق والاكواب الزجاجية بحيث بدت المائدة كقطعة من الرخام خدشها ازميل النحات ... كانت هناك بقع ، فقد كان النبيذ احمر اللون والخبز اسمر والدخان يتصاعد من أطباق الحساء الأخضر . وكانت كارلا جالسة تنتظر فى فروغ صبر .

وكانت الأم اول من دخل ، وادارت راسها نحو ايو ، وكان يمشى خلفها ، وقالت فى لهجة ساخرة مؤثرة :

– ان المرء لا يعيش لكى يأكل وانما يأكل لكى يعيش ، ولكنك تعكس الأمر ... وهذا خير لك .

أجابها ليو وهو يدخل خلفها : كلا ، كلا . انك اسأت فهمى ، فاننى قلت : عندما يفعل المرء شيئا لا ينبغى ان يفكر فى شىء آخر ،فانا مثلا ، عندما اشتغل لا افكر الا فى عملى . وعندما آكل لا افكر الا فى الأكل ، وهكذا دواليك ... وبهذا يكون كل شىء على ما يرام .

وكان ميشيل يمشى فى المؤخرة ، وقد ود لو أن يسأله : « وعندما تسرق الناس ؟ » ولكنه لم يكن جديرا بأن يكره ذلك الرجل وانما كان يغبطه ، وقال يحدث وهو يجلس : « الواقع انه على حق .. اننى افكر اكثر من اللازم » .

وعادت الأم تقول متهكمة : هذا خير لك . أما انا فان الامور تجرى معى على أسوأ ما يكون .

وجلست . وتكلفت وقارا كئيبا واطرقت ، وراحت تقلب الحساء بملعقتها لكى يبرد .

– الأمور تجرى معك على اسوأ ما يكون ؟ .. وكيف ذلك ؟ لو اننى مكانك لما فكرت فى الشكوى ، فان لك ابنة فاتنة .. وابنا ذكيا يفتح المستقبل له ذراعيه ... وبيتا جميلا ... ماذا تشتهين اكثر من ذلك ؟

قالت الام وهى تتنهد تنهيدة مكتومة : اوه ... انك تفهمنى بالاشارة .

وكان قد فرغ من الحساء فألقى ملعقته واردف يقول : ثم انكم جميعا غير راضين . لا تحسبى انك وحدك ايتها السيدة العزيزة ... هل تريدين ان نقوم بتجربة ؟ .. انت مثلا يا كارلا ؟ .. هل أنت راضية بمصيرك ؟ .. أجيبى بصراحة .

رفعت الفتاة عينيها اليه .. هذه الروح البشوشة ، وهذه الطيبة الزائفة ... كان كل ذلك يثير أعصابها . كان يدور على المائدة التى تجلس اليها نفس الحديث كل ليلة ، والامور العادية المألوفة هى فى الواقع اقوى من الزمن ، وخصوصا النور العادى . ذلك الذى لا وهم فيه ولا أمل ... النور اليومى المستهلك استهلاك قماش ثوب قديم لا يفارق جسد صاحبه بحيث انه اذا انير فجأة يخيل لهـــا انها ترى وجوها أربعة تظهر امامها ... وجوه امها وأخيها وليو ووجها هى نفسها .. معلقة فى هذه الهالة الحزينة .. كان كل هذا سبب مللها ، وكان لابد لليوان يثير غيظها فى هذه النقطة الحساسة بالذات . ولكنها عرفت كيف تتمالك نفسها ، وقالت موافقة :

ــ الواقع ان الأمور لن تجرى أحسن ...

وأطرقت براسها من جديد ، فصاح ليو منتصرا : اليس كذلك ؟ .. لقد كنت واثقا من انك ستقولين هذا .. وليس هذا كل شىء .. انى مقتنع بأن ميشيل هو الآخر .. ما رايك يا ميشيل ؟ .. أراهن ان لا شىء يروق لك ...

نظر ميشيل اليه ولسان حاله يقول : هذه هى اللحظة المناسبة لكى تفضى اليه بالحقيقة ، لكى تهينه وتخاصمه وتفرغ منه الى الأبد .. ولكن قلبه لم يطاوعه واكتفى بأن قال فى هدوء :

ــ الا تفزع من هذه اللعبة الصغيرة ؟ ... انك تعرف كيف تسير الامور خيرا منى .

صاح ليو يقول : آه .. ايها الماكر .. ايها المخادع . انك تراوغ ولا تريد أن تجيب ، ولكن من الواضح وضوح الشمس انك غير راض أنت ايضا ، والا ما راينا هذا الوجه الشاحب .

وقدمت له الخادم طبقا فأمسك عن الكلام لكى يأخذ منه نصيبه ثم عاد يقول :

ــ اما انا سيداتى ، سادتى ، فاننى على العكس ، اصر على القول

بأنه فيما يتعلق بى فان الأمور تسير على ما يرام .. بل ازيد فأقول انني راض جدا وانني ، اذا كان ولابد ان أولد من جديد لاخترت ان أولد كما أنا الآن بلحمي ودمي وباسم ليو ميروميسى .

صاح ميشيل متهكما : يا لك من رجل سعيد ! يمكنك على الاقل أن تلقننا طريقتك .

راح الآخر يقول وفمه مملوء بالطعام : طريقتى ! .. حسنا . ما عليك الا أن تنظر الى . ولكن هل تريدون ان تعرفوا انتم ايضا لماذا لاتشبهونني ؟

ـ نعم .. لماذا ؟

ـ لأنكم تشغلون انفسكم بأمور تافهة .

وامسك لكى يشرب . وسادت لحظة صمت . واحس الثلاثة الآخرون بأنهم اصيبوا فى كبريائهم . وقال ميشيل يحدث نفسه : « بودى ان اراك مكانى » واخذت كارلا تفكر فى حياتها المليئة بالفخاخ والمكائد مع ذلك الرجل . وكانت هناك اسباب وجيهة تجعلها تعيسة شقية . ولكن الأم كانت أول من تكلم ، مدفوعة بعصبيتها وثرثرتها ، فقد حز فى نفسها وساءها ان توضع فى مستوى واحد هى وابنها بحجة ميل مزعوم للسخط والاستياء ، وبدا لها كأن فى هذا الأمر خيانة ، وقالت فى مرارة :

ـ كما تشاء . اما انا يا عزيزى فان هناك ما يدعو الى استيائى حقا ، فانني لست طفلة ككارلا .. انني امرأة حنكتها التجارب وعرفت الألم .. آه ، نعم ، عرفت الألم . (وازدادت انفعالا وهى تتكلم) وقد اجتزت كثيرا من الصعاب وتألمت . ولكنني على الرغم من كل ذلك عرفت كيف احتفظ بكرامتى ، وكيف أكون فوق الجميع . نعم يا عزيزى ميروميس .. فوق الجميع ، حتى انت .

بدا ليو يقول : لم يخطر لى ابدا ...

وادرك الجميع الآن ان غيرة مارى جريس قد وجدت طريقا وانها ستسير فيه حتى النهاية . وتوقع الجميع فى تقزز وملل العاصفة الحقيرة التى راحت تتجمع تحت ضوء المصباح .

واستطردت الأم تقول وهى تحدق فى عشيقها بعينها الشاردتين : أما انت يا عزيزى فقد تكلمت الآن دون أى تفكير ... ولا ريب انك اعتبرتنى واحدة من صديقاتك الانيقات اللاتى لا يعرفن معنى للشرف او الضمير ولا يفكرن الا فى اللهو والمرح وقتل الوقت ، يوما مع فلان

وآخر مع علان ... ولكنك اخطأت يا صديقى لأننى أعتقد ...
— ولكننى لم ابد اية اشارة ...

استطردت مارى جريس تقول فى انفعال بالغ : اننى امراة تستطيع ان تعلمك كيف تعيش انت وغيرك ممن هم على غرارك . ولكننى من الرقة أو السخافة بحيث ادفع بنفسى الى الصف الاول او بحيث اكثر الحديث عن نفسى . الأمر الذى يجعل الجميع يسيئون فهمى ولا يقدروننى .. ولكن ليس هذا سببا (وارتفع صوتها عندئذ واصبح اكثر حدة وهياجا) ليس هذا سببا لاننى امراة طيبة جدا وكتومة جدا وسخية جدا ، وأعود فأقول ان هذا ليس سببا لكى اتحمل الاهانات فى كل وقت .

وبعد أن القت نظرة اخيرة صاعقة على ليو راحت تنقل فى حركات آلية كل الأشياء التى فى متناول يديها فوق المائدة .

وارتسم الوجوم الشديد على وجـوه الجميع . وقال ليو فى هدوء : لم يخطر لى ابدا ان اهينك . وانما قلت اننى الوحيد بينكم الذى لا يشكو ولا يتذمر .

اجابت الام فى تلميح خبيث : طبعا ، طبعا . اننا نعرف طبعا انه ليس هناك ما تشكو او تتذمر منه .

تدخلت كارلا عندئذ فقالت : ولكنه لم يقل شيئا يشتم منه اية اهانة يا امى .

واحست باليأس يعصف بها واخذت تحدث نفسها وتقول « لابد ان ينتهى كل هذا » . وهى تنظر الى امهـــــا .. تلك الام التافهة والناضجة والتى تجتر غيرتهـا وهى مطرقة الراس . « لابد ان ننتهى من كل هذا ، وان نغير الأمور بكل طريقة » . ومرت براسها قرارات ســخيفة « ان تترك البيت وان تختفى وتضيع فى خضم الحياة ويمتصها الهواء » . وتذكرت كلمات ليو « انت بحاجة الى رجل » هذه هى النهاية .. هو .. او اى رجل غيره .. آخر صبرها .. وانتقلت عيناها الحزينتان من امها الى ليو ، وقالت مارى جريس عندئذ :

— اما انت فاسكتى ... انك لا تستطيعين ان تفهمى .

احتج ليو قائلا : ولكننى لا افهم انا الآخر يا عزيزتى .

قالت الام وهى تضغط على كل كلمة من كلماتها : بل تفهم تماما .

قال ليو وهو يهز كتفيه مسلما : ربما .

ـ اسكت .. اسكت .. من الأفضل ان لا تنطق بشيء . لو اننى مكانك لحاولت ان أنسى نفسى وان أتوارى .

وساد صمت ، ودخلت خادمة ورفعت الصحاف . وقال ميشيل يحدث نفسه وهو يرى وجه امه الغاضب تنبسط اساريره شيئا فشيئا : آه .. لقد مرت العاصفة وبدأ الجو يصفو ويروق . وقال فى غير مرح :

ـ اننى أطاب الكلمة .. هل انتهى الأمر ؟

اجاب ليو فى توكيد : انتهى تماما . لقد تصالحنا ، انا وامك .

وتحول الى مارى جريس وقال : اليس كذلك يا سيدتى ؟

ارتسمت ابتسامة حزينة مترددة على وجه المرأة المصبوغ ، فقد عرفت هذا الصوت وهذه اللهجة المخادعة التى طالما سمعتها فى أوقات سعيدة ماضية عندما كانت لا تزال شابة وعندما كان عشيقها وفيا لها . وراحت تفحص يديها فى خبث وقالت :

ـ هل تظن ياميروميس ان من السهل أن نصفح ؟

وهكذا انقلب الأمر الى العاطفة ، واستشاطت كارلا غضبا ، وابتسم ميشيل فى احتقار وقال يحدث نفسه : حسنا ، ها نحن قد عدنا ... تعانقا ولينته الأمر .

وقال ليو فى جد مضحك : ان الصفح واجب كل مسيحى طيب .

ولكنه كان يحدث نفسه ويقول فى الوقت ذاته : فلنذهب الى الجحيم . لحسن الحظ ان هناك الابنة لكى تعوضنى عن الأم .

ونظر الى الفتاة بطرف عينه من غير ان يحرك راسه ... انها شبقة أكثر من امها ، على اهبة الاستسلام طبعا .. سوف ينتهز فرصته بعد العشاء وسوف يطرق الحديد وهو ساخن ولن يؤجل الأمر الى الغد .

وقالت مارى جريس وقد استردت كامل هدوئها : فلنكن طيبين ، وليصفح كل منا عن الآخر .

وانبسطت الابتسامة التى كانت تتردد على وجهها وكشفت عن صفين من الأسنان الباهتة ، واختلج جسدها كله بالرضا والسرور ، وأردفت تقول فى حماسة امومة :

ـ وبهذه المناسبة ، لا تنس ان غدا عيد ميلاد عزيزتنا كارلا .

ـ ولكن لم يعد هناك من يحتفل بأعياد الميلاد يا امى .

قالت الام فى عظمة : اما نحن فسوف نحتفل بعيد ميلادك . وأنت ياميروميس ، اعتبر نفسك مدعوا ظهر الغد .

انحنى ليو انحناءة كبيرة فوق المائدة وقال : لى الشرف ، واشكرك يا سيدتى العزيزة .

ثم تحول الى كارلا يسألها : كم عمرك ؟

وتبادلا النظر ، ورفعت الأم اصبعين وأشارت بشفتيها كلمة « عشرون » . وفهمت كارلا وترددت . ولكن ريحا من القسوة اجتاح روحها وفكرت تقول : انها تريد ان تصغر سنى لكى لا تبدو هى مسنة امامه . وقالت دون أية مراعاة لرجاء امها الصامت :

ـ اربع وعشرون سنة .

واطبقت سحابة من خيبة الأمل على وجه مارى جريس فى حين تمتم ليو يقول فى دهشة وسخرية :

ـ اكبيرة فى السن الى هذا الحد ؟

كررت كارلا : نعم ... كبيرة فى السن .

ونهرتها الأم قائلة : ما كان يجب أن تطلعيه على حقيقة عمرك .

وضاعفت البرتقالة اللاذعة من حدة صوتهـــا وهى تقــول : ان الانسان انما يبدو بمظهره ، ومظهر لا أنت يدل على انك لا تزيدين عن ... تسعةعشر عاما .

وازدردت الفص الأخير من البرتقالة . وفرغوا من تناول العشاء .

واخرج ليو علبة سجائره وبسطها للآخرين . وارتفعت سحابات من الدخان فوق المائدة فى غير انتظام . وبقى الأربعة لحظة لا يتحركون وهم يتبادلون النظر ، ثم نهضت الام قائلة :

ـ فلنمض الى غرفة الصالون .

وخرج الاربعة ، الواحد خلف الآخر ، من غرفة الطعام .

الفصل الثالث

بضع خطوات فى الممر . وهو ممر صغير ولكنه مشحون بجو من التوتر والقلق ، وراحت كارلا تنظر الى الارض وهى تفكر فى غموض فى ان العبور اليومى لا ريب قد استهلك نسيج السجادة القديمة التى تغطى البلاط وان المرايا البيضاوية المعلقة لصق الجدران لابد قد احتفظت بأثر صورهم التى تعكسها مرارا كثيرة كل يوم طوال اعوام او .. مجرد لحظة كل مرة لها ولأمها ريثما تتحقق كل منهما من ان احمر الشفاه على ما يرام ، ولميشيل ريثما يفحص عقدة رباط عنقه . كان السأم والملل يكمنان فى هذا الممر ، وكان كل منهم يحس بهما كل الاحســـاس وهو يمر به ... كان كل شيء ثابتـــا لا يتغير : السجادة والنور والمرايا والباب الزجاجى الذى يفضى الى الدهليز على اليسار وبير السلم المظلم على اليمين . وكان كل شيء يكرر نفسه . كان ميشيل يتوقف ويشعل سيجارته وينفخ فى عود الثقاب . أما الأم فكانت تسأل عشيقها فى رقة : ان وجهى يبدو متعبا الليلة ، اليس كذلك ؟ وكان ليو يرد عليها فى غير اكتراث والسيجارة بين شفتيه : ابدا .. أبدا .. لم ارك ابدا اجمل من اليوم .. رتابة محزنة .

ودخلوا الصالون ، وهو عبـــارة عن غرفة مستطيلة ، مظلمة وباردة ، يشطرها قوس الى قسمين متساويين . ومضوا فجلسوا فى الزاوية المواجهة للباب . وكانت هناك ستائر من المخمل الداكن تخفى النوافذ المغلقة . ولم يكن بالغـــرفة أية ثريا وانمـــا بضعة مصابيح جدارية ، ثلاثة منها كانت مضاءة ترسل نورا ضعيفا باهتا فى منتصف الصالون الصغير ؛ اما النصف الآخر فقد بقى غارقا فى ظلام اسود لا يميز فيه المرء انعكاس المرايا وشـكل المعزف الا بصعوبة كبيرة .

ولم يفتح احدهم فمه لمدة وجيزة . كان ليو يدخن فى شيء من

الندم ، والام تتأمل فى حزن اصابعها ذات الاظافر اللامعة . أما كارلا فقد جلست القرفصاء تقريبا وراحت تحاول اضاءة المصباح الذى فى الزاوية . وكان ميشيل ينظـــر الى ليو . واخـيرا اضيىء المصباح وجلست كارلا ، وبدأ ميشيل الحديث فقال :

ـ اننى ذهبت اليوم الى وكيل اعمال ليو ، وقد القى على محاضرات لا آخر لها . ويبدو أن اوضح ما فى الأمور . ان الرهينة على البيت سينتهى اجلها بعد اسبوع وانه لابد لنا عندئذ من اخلاء البيت لانه لابد من بيعه لسداد ديننا لمسيو ميروميس .

اتسعت عينا الأم وقالت : ولكن ذلك الرجل لا يدرى ما يقول .. لا ريب انه يلقى القول على عواهنه ... طالما قلت لكم انه يضمر لنا شرا .

وساد صمت قطعه ليو اخيرا بأن قال دون ان يرفع عينيه : ان هذا الرجل يقول الحقيقة .

نظر الجميع اليه . وقالت مارى جريس متوسلة ، ضامة يديها : ولكنك لن تلقى بنا الى عرض الطريق بالتأكيد .. امنحنا مهلة .

ـ لقد منحتكما مهلتين قبل ذلك ، وفى هذا الكتاب ، خاصة وان مهلة جديدة لن تفيد . كلما هناك أن البيع سيتأخر ، ولكن لابد منه .

سألته الأم : وكيف ذلك ؟

رفع ليو راسه اخيرا وقال : ما لم تجمعى ثمانمائة ألف ليرة فاننى لا ادرى كيف يمكنك أن تسددى دينك من غير ان تبيعى البيت .

ادركت الأم ، وتفتح أمام عينيها خوف كبير كالهاربة ، وشحب لونها ونظرت الى عشيقها ، ولكن ليو اكفى بأن راح يتأمل سيجاره ولم يبد اية محاولة لطمأنتها .

وقالت كارلا : وبمعنى آخر ، يجب ان نترك هذا البيت وان نسكن فى شقة صغيرة .

اجاب ميشيل : هو هذا .

وساد صمت . واتخذ خـوف مارى جريس أبعـادا هائلة . لم تحادل ابدا ان تعرف شيئا عن الفقراء ، ولم تحاول ابدا أن تسمع شيئا عنهم ، وطالما رفضت التسليم بوجود اشخاص مضطرين الى عمل شاق وحياة تعسة ... الشعب ؟ .. كانت تكتفى بأن تقول انهم أسعد منا ، فاننا اكثر منهم حساسية واشد مضاء وذكاء . ومن ثم فاننا نتألم اكثر منهم .. وها هى الآن مضطرة فجأة الى الاختلاط

بهم وزيادة عددهم ؟ .. هذا الشعور بالتقزز والمهانة والخوف الذى أحست به ذات يوم وهى تمر ، فى سيارة صغيرة وسط شعب متوعد وقذر من المضربين ، عاد اليها يجتاحها الآن زد على هـذا المضايقات والحرمان الذى سيكون من نصيبها . وافزعها الحزن الشديد الذى ستتعرض له . ماذا سيظنون بها ؟ وماذا سيقال عنها في المجتمع الثرى الأنيق الذى تعيش فيه . رات نفسها فقيرة .. فقيرة ووحيدة مع ولديها ، بدون أصدقاء وبدون علاقات لان الجميع سيتخلون عنها . لن تكن هناك حفلات ولا رقصات ولا اضواء وانما ظلام تام ... ظلام عار ...

وازداد شحوبا وفكرت تقول متعلقة بفكرة الاغواء والاغراء : يجب ان أتحدث اليه على حدة ، فى غياب كارلا وميشيل . سوف يفهم .. وتحولت الى عشيقها وقالت فى غموض :

– امنحنا مهلة اخرى يا ميروميس ، وسوف نجد المال بطريقة ما .

سألها الرجل وهو يبتسم نصف ابتسامة ساخرة : وكيف ذلك ؟

قالت : البنوك ...

انحنى لكى يحدق فيها وقاطعها قائلا : ان البنوك لا تقرض الاموال بدون ضمانات مؤكدة . ثم ان النقود اليوم نادرة بحيث لا تقدم البنوك قروضا لأحد ، واذا فرضنا جدلا بأنها وافقت على اقراضك فما هى الضمانات التى يمكنك أن تقدميها يا سيدتى ؟

قال ميشيل : هذا منطق سليم .

وود لو ان يتحمس ، فقد كانت مسألة حيوية بالنسبة للعائلة وقال يحدث نفسه « ان حياتنا فى خطر ، ومن لحظة لأخرى قد لا نجد الا الكفاف » . ولكن على الرغم مما بذل من جهد لكى يثور فقد بقى كالثلج لا يحفل بذلك الدمار ، وبدا كأنه يرى شخصا يغرق دون ان يفكر فى الاسراع الى نجدته .

اما الأم فقد اختلف الأمر معها وقالت فى اباء : امنحنا مهلة ، ويمكنك ان تتأكد من ان نقودك ستصلك يوم الاستحقاق .. الى آخر مليم .. ثق مما اقول .

ضحك ليو فى هدوء وقال : اننى لا أشك فى ذلك .. ولكن لماذا المهلة اذن ؟ .. لماذا لا تقولين الآن بما تريدين القيام به بعد شهر او بعد سنة لكى تسددى دينك على الفور ؟

كان يتكلم فى هدوء وقد أمال رأسه قليلا ، وكان قوله منطقيا

بحيث احست مارى جريس بالخوف . وحولت بصرها الى ميشيل ثم الى كارلا .. ولديها الضعيفين اللذين سيعرفان الفقر ، وقالت وقد غلبها حبها الأموى :

— اسمع يا ميروميس .. استطيع أن أقول لك كل شيء . ان الأمر لا يتعلق بى ، ولست اطلب هذه المهلة من اجلى ، فاننى مستعدة ان اذهب للاقامة فى غرفة على السطوح (ورفعت عينيها الى السماء) والله يعلم اننى لا افكر فى نفسى وانما فى كارلا .. فانها فى سن الزواج ، وأنت تعرف الناس .. ففى نفس اليوم الذى نبرح فيه هذه الفيللا للاقامة فى شقة ضيقة سوف يدير الجميع لنا ظهورهم .. هكذا هى الدنيا .. وعلى هذا فلن يتقدم احد للزواج من ابنتى .

قال ليو وهو يتصنع الجد : ان ابنتك جميلة ولن تفتقر الى طالبى الزواج .

ونظر الى كارلا ووجه اليها ايماءة ودية . ولكن الفتاة تملكتها موجة شديدة من الغضب وودت لو أن تصرخ بأمها : « وكيف تريدين ان أجد لى زوجا طالما هذا الرجل يعيش بيننا وصلته بنا هكذا ؟ » احست بالمذلة والهوان من الوقاحة التى تتكلم بها امها فهى لم تكن تحفل بها فى الوقت العادى ، ولكن ها هى الآن قد جعلت منها حجة مناسبة لأغراضها . لابد لها من ان تنتهى من هذا الأمر . سوف تستسلم لليو ، ولن يفكر احد عندئذ فى أن يتقدم للزواج منها . وحدجت امها وقالت فى صوت ثاقب :

— لا تهتمى بى يا أمى .. اننى خارج هذه المسألة تماما ، واريد ان ابقى هكذا .

وفى هذه اللحظة صدرت ضحكة حادة زائفة من المكان الذى يجلس ميشيل فيه ، فتحولت الأم اليه . وقال الشاب وهو يحاول أن يكسب صوته رنة ساخرة :

— ولكن ، هل تعرفين من أول من سيدير لنا ظهره اذا نحن غادرنا الفيللا ؟ .. فمتى .

— يا الهى ... لا ادرى .

صاح فى انتصار وهو يشير باصبعه : انه ليو .. صاحبنا العزيز يا ليو .

أتى ليو باشارة احتجاج فى حين سألته الأم مترددة : آه ... اهذا صحيح يا ميروميس ؟

وحدقت فى عشيقها محاولة ان تقرأ فى وجهه هل هو جدير حقا بمثل هذه الخيانة ، ثم تملكها الغضب فجأة وقالت :

ـ ولكن هذا صحيح . نعم . طبعا ... وما اغبانى ! لم يخطر هذا ببالى . ان هذا صحيح يا كارلا ، وميشيل على حق . سيكون هو اول من يتنكر لنا ويتظاهر بأنه لا يعرفنا بعد ان يحصل على نقودنا . لا داعى للاحتجاج ، فالذنب ليس ذنبك ، فان كل الرجال سواء ، وانى اقسم على هذا . اذا اتفق ومر بى وبرفقته احدى صديقاته الجميلات الظريفات الانيقـــات فسوف يدير راسه الى الناحية الأخرى بمجرد ان يرانى . ولكن طبعا يا صديقى ، هذا ما سوف يحدث ، واننى لواثقة من ذلك .

ولزمت الصمت لحظة ثم اردفت تقول فى لهجة الضحية التى تخلى عنها كل نصير : افلم يغدر بالمسيح أعز أصدقائه ؟

القى ليو سيجارة وقد راعته هذه الموجة من الاتهامات ، وقال مخاطبا ميشيل :

ـ انت صبى ولهذا لا اقيم وزنا لما قلت . ولكن ان تظنى انت يا سيدتى ان مجرد بيع بيت سبب كاف لكى ادير ظهرى الى اعز أصدقائى فهذا ما لم أكن أنتظره منك .. لم اكن أتوقع هذا منك أبدا .

وبعد ان فرغ من قوله هذا اخذ سيجارة . اما ميشيل فكان مسرورا وراح يقول فى نفسه : يا له من منافق ! أوه .. كم أود ان أهينه ، وان أتسبب فى وقوع شجار بينى وبين أمى » . ولكنه لم يلبث ان أدرك انه اضاع فى هذه الليلة فرصا عديدة مناسبة ، خصوصا عندما رفض ليو أن يمنحهم المهلة ... وقال وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف عاقدا ساقيه :

ـ لم تكن تتوقع هذا ؟ .. اهذا صحيح ؟ .. يا لك من وغد !

تحول الجميع اليه .. الأم مشدوهة ، اما الرجل فقد سحب سيجارة من بين شفتيه فى بطء وقال : ماذا قلت ؟

قال ميشيل وهو يتشبث بيديه بمسندى مقعده دون أن يجد فى عدم اكتراثه الأسباب التى دفعته الى اهانة الرجل :

ـ أعنى .. أعنى ان ليو قد دمرنا ويتظاهر الآن بأنه صديقنا ، فى حين انه غير ذلك .

وساد صمت كله استهجان . وقال ليو اخيرا وهو يرمى الشاب

بنظرة جامدة : اسمع يا ميشيل . انك تريد ان نثير شجارا ، وقد ادركت ذلك منذ بادىء الامر . اننى آسف . ولكننى احب ان اقول لك الآن فورا انه ليست هناك اية جدوى . لو انك كنت رجلا لعرفت كيف ارد عليك ، ولكنك لست سوى طفل طائش ، وافضل شيء الآن هو ان تأوى الى فراشك وتنام .

وامسك واخذ سيجارة مرة اخرى ثم قال فجأة : وتقول لى هذا فى نفس اللحظة التى كنت انوى ان اعرض عليكم فيها الاقتراحات المناسبة .

وساد صمت آخر قطعته الام قائلة : ان ميروميسى على حق ، ولست افهمك يا ميشيل . انه لم يدمرنا .. لقد كان صديقنا دائما ، فلماذا تهينه بهذه الطريقة ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يتميز غضبا من نفسه ومن الآخرين: انك تساندينه الآن . لو تعرفين مدى احتقارى لأعمالكم » .... وأثارته دهشة امه واندهاش اخته ومكر ليو ... بدا له ان كل ذلك امرا سخيفا ومرغوبا فيه ايضا ... نعم ... مرغوبا فيه لأن كل ذلك يثبت انهم ينتمون هم الثلاثة الى حقائق هذه الدنيا ، وانهم يعتبرون كلمة « وغد » اهانة ، فى حين ان الـــكلمات والحـــركات والمشاعر لم تكن بالنسبة له هو الا مجرد مجموعة من الأوهام .

ولكنه ، مع ذلك ، لم يشأ ان يتوقف فى منتصف هذا الطريق الجميل ، ونطق يقول فى غير اقتناع :

ـ اننى انما قلت غير الحقيقة .

رفع ليو كتفيه فى غضب ، ونفض رماد سيجارته ثم راح يقول : يسرنى ... يسرنى جدا ان ...

وكانت مارى جريس قد همت بمساندة عشيقها بأن تقول : ولكنك مخطىء تماما يا ميشيل ، عندما فتح باب الصالون واطلت منه راس شقراء قالت صاحبتها : هل يمكن ان ادخل ؟

تحول الجميع اليها وصاحت مارى جريس : أوه ، ليزا ... طبعا ، ادخلى .

وانفتح الباب تماما ودخلت ليزا ، كان يكسو جسدها البـــدين معطفا ازرقا يتدلى حتى قدميها الصغيرتين ، وتضع على راسها قبعة مستديرة زرقاء وفضية بدت راسها تحتها اصغر مما هى فوق كتفين قويين زادهما القماش السميك ضخامة . كان المعطف فضفاضا ،

ومع ذلك فقد انتفخ بصدر وخاصرتين كاشفا عما فيهم من فتنة وسحر. وعلى العكس من ذلك فقد كانت اطراف هذا الجسد الجميل تثير الدهشة بصفرها وضآلتها ، اذ كان المعطف يكشف عن ساقين رفيعتين جدا .

وقالت ليزا وهى تقترب منهم : الا ازعجكم ؟ .. اننى أعرف ان الوقت متاخر ، ولكننى تناولت عشائى على كثب من هنا ، ولم أستطع مقاومة الاغراء لزيارتكم وانا امر بالبيت .

قالت الأم : ما هذا الذى تقولين ؟

ونهضت ومضت للقائها : الا تخلعين معطفك ؟

ـ كلا . سأبقى دقيقة ثى انصرف .. ولكننى سأفتحه قليلا لكيلا أشعر بالحر .

وفكت الحزام فكشفت عن ثوب من الحرير الاسود ، لامع ، تزينه زهور زرقاء ، كبيرة ، ثم حيت الجميع قائلة :

ـ مساء الخير يا كارلا .. آه ، ميروميس ... محال أن لا تكون فى هذا البيت ... وانت يا ميشيل ، كيف حالك ؟

وجلست فوق الأريكة ، بجوار مارى جريس ، وقالت هذه الاخيرة وهى تتحسس ثوب ليزا : ان ثوبك جميل جدا ... بماذا تأتينا من اخبار ؟

ـ لا بشيء ... ولكن مالى اراكم واجمين هكذا ؟ .. اننى واثقة اننى قطعت عليكم شجارا .

اجاب ليو وهو يرمى ليزا بنظرة ساخرة من خلال دخان سيجارة : ابدا .

وقالت الأم : كنا نتحدث عن امور كثيرة .

وناولت صديقتها علبة من السجائر وهى تقول : هل تدخنين ؟

وتدخل ميشيل عندئذ فقال في غير مناسبة وهو ينظر الى ليزا نظرة كلها تأمل : هذه هى عين الحقيقة ... اننا كنا نتخاصم ، وقد قطعت انت حبل الخصام .

ضحكت ليزا ضحكة مفتصبة كلها خبث وقالت دون أن تتحرك : أوه ... سوف انصرف اذن ، فلست اريد ان أعكر اجتماعا عائليا .

احتجت الأم قائلة : وهل هذا كلام ؟ .. انك غبى يا ميشيل .

ـ غبى ؟ ... انا ؟ ...

وفكر : نعم ، طبعا غبى .. غبى اذ أريد ان احفل بما يفعلون

بكل طريقة . وطغى عليه شعور بالتفاهه والملل . والقى نظرة عدائية حوله فى الغرفة . بدا له ان ليو ينظر اليه مستهزئا ، فقد كانت ترتسم على شفتيه المكتنزتين ابتسامه خفيفة تنطق بالاهانة ما كان ليتغاضى عنها رجل قوى عادى . ولكن ميشيل لم يكن يبالى بأى شىء ، ولم يكن يشعر بشىء الا بشعور محط لشأنه الى جانب شفقة مزرية ، ومع ذلك فقد رأى ان يمضى ضد طبيعته وان يقاومه ولهذا تحول اليه وقال فى برود :

ــ ليس هناك ما يضحك .

بدا ليو يقول وهو يتظاهر بالدهشة الشديدة : أنا ... اقسم ...

ولكن ميشيل قاطعه قائلا وهو يبذل جهدا كبيرا : اسمع ...

كانت هذه هى الطريقة المثلى للمشاحنة ، فقد تذكر انه شاهد مشاجرة فى احدى عربات الترام ، بين رجلين بدينين يبدو على كل منهما ان له شأنه . وبعد ان استشهد كل منهما بالاشخاص الحاضرين راح يتكلم عن نفسه وعن مركزه ومهنته ، وعن الجراح التى اصيب بها فى الحرب ، وعلى العموم كل الحجج التى من شأنها ان تحرك شعور الجمهور ، وانتهى بأن غطى صوته على صوت غريمه وبأن يصرخ بحيث بلغ درجة معينة من الغضب الحقيقى ، وما عليه هو الآن الا ان يحذو حذوه .

ــ اسمع .. لا اظن اننى لن أجرؤ على أن اكرر أمام ليزا ما قلت لك منذ لحظة ... حسنا ؟ .. لك ما تريد اذن .. اننى كرر واقول لك انك وغد .

نظر الجميع اليه ، وصاحت مارى جريس ساخطة : ولكن ماذا دهاك ؟

ونظرت ليزا الى ميشيل فى فضول وقالت تسأل : ماذا حدث ؟

اما ليو فلم يتحرك . بدا ان الاهانة لم يكن لها أى تأثير عليه ، واكتفى بأن قهقه فى حدة وازدراء وقال :

ــ آه ... هذا جميل . لم يعد لنا الآن الحق فى الابتسام .

ولكنه لم يلبث ان اعتدل فى مقعده وهوى بقبضته على المائدة وصاح يقول : لقد طال المزاح ، وهذا يكفى . اما ان يعتذر ميشيل واما أن انصرف .

ادرك الجميع ان الأمر قد أصبح جديا ، وان قهقهة ليو لم تكن الا البرق الخاطف الذى يسبق الرعد . وقالت الأم :

– ان ميروميس على حق .

كان وجهها صارما وصوتها حاسما ، واحست . بسخط شديد نحو ابنها لأنها خشيت ان ينتهز عشيقها هـذه الفرصة ويقطـع ما بينهما من صلة :

– ان سلوك شائن . وانى آمرك بأن تعتذر .

وقالت ليزا برغبتها الواضحة فى تعقيد الأمور : ولكننى لا افهم لماذا تقول ان ميروميس وغد .

اما كارلا فكانت هى الوحيـدة التى لزمت الصمت وهى تشـعر بالتقزز . احست فى نهاية ذلك اليوم بأن الموجة الطاغية للأحداث الحقيرة تكتسح صـدرها . واطبقت عينيها وراحت تراقب ، بين اهدابها الوجوه الحمقاء الثائرة للأربعة الآخرين .

وقال ميشيل دون أن يتحرك :

– اوه .. أوه .. انت تأمرينني ؟ .. واذا رفضت ؟

اجابت مارى جريس فى وقـار اشـبه بوقار ملـكة على خشبة المسرح : اذا رفضت فانك ستسبب حزنا شديدا لأمك .

نظر اليها لحظة قبل ان يرد . كان يحدث نفسه فيقول : ان ليو عشيقها على كل حال ، ولن تتردد لحظة فى أن تقوم بدورها كأم ، ولكن عبارتها هذه « ستسبب حزنا شـديدا لأمك » عبارة كريهة مقززة » فحول عينيه عنها ونسى فجأة كل قراراته الجميلة للمقاومة الحازمة . ولماذا لا اعتذر وأوفر عليها هذا الحزن الشديد ؟ .. وبدأ يقول :

– هل تحسبين اننى لست قادرا على الاعتذار لليو ؟ .. لو تعرفين الى أى حد لم أعد ابالى ؟

قاطعته مارى جريس تقول : جميل منك أن تقول هذا .

استطرد ميشيل يقول فى حماس : تماما يا أماه .. لا تخشى شيئا .. سأعتذر لليو .. هل ينبغي أن اقبل قدميه ؟

وكانت ليزا قد تابعت كل ما تقدم فى اهتمام كبير فتدخلت عندئذ قائلة : كلا ، لا تعتذر .

تحول الجميع اليها ، وقالت مارى جريس فى لهجة تمثيلية :

- اننى اشكرك يا ليزا .. اننى اشكرك حقا اذ تؤلبين ابنى على .

اجابتها ليزا فى هدوء : اننى لا اؤلب ابنك عليك ، ولكن يبدو لى ان الأمر لا يستحق كل هذا .

نظر ليو اليها فى استياء وقال فى لهفة قاسية : لا يروق لى ان اعامل هكذا من فتى ، واننى اريده ان يعتذر .

قالت كارلا : اليس من الافضل ان ننسى كل هذا وان نتصالح ؟

قالت الام : كلا . ان ميروديس على حق . يجب ان يعتذر ميشيل له .

نهض ميشيل وقال : سأعتذر له فلا تخافى ... ليو ، ارجو ان تغفر لى اساءتى لك « وامسك لحظة وقد أدهشه ان جرت هذه الكلمات المهينة على لسانه ، واردف يقول فى صوت هادىء وبدون مبالاة » واعدك اننى لن أعود الى ذلك .

قال ليو من غير ان ينظر اليه : لا بأس ... لا بأس ...

واذ رآه ميشيل واثقا من نفسه الى هذا الحد ود لو أن يصرخ فى وجهه ويقول : ايها الغبى ! « ايها الغبى ! » . ولكن امه قالت فى لهجة رقيقة وهى فى منتهى الغبطة والسرور :

ــ ان ابنى ميشيل طيب ومطيع .

وقال ميشيل فجأة : الآن وقد اجبتكم الى ما طابتم ، فاسمحوا لى أن امضى لكى انام فاننى مرهق .

ودار على عقبيه وخرج دون أن يحيى احدا .

ولكنه ، بينما كان يجتاز البهو ، رأى شخصا يتبعه ، فالتفت واذا به ليزا . وقالت وهى تلهث قليلا وفى عينيها نظرة غريبة :

ــ اننى جئت عن عمد لكى أخبرك بأننى استطيع ان اقدمك ، اذا اردت ، الى قريبى الذى حدثتك عنه .. انه سيجد لك وظيفة حتما فى شركته او فى اية شركة اخرى .

قال ميشيل : اننى اشكرك كثيرا .

ــ ولكن يجب ان تأتى الى بيتى لكى تلتقى به .

ــ حسنا ... متى ؟

وكانت ليزا كلما ازداد ارتباكها كلما ازداد الشاب هدوءا ومجاملة.

ــ غدا .. غدا صباحا .. تعال مبكرا . سيأتى هو نحو الظهر ، ولكن هذا لا يهمه ، فيمكننا ان نتحدث ، انا وانت .

ونظرت اليه فى صمت لحظة ثم تجرات فجأة وقالت : ولماذا اعتذرت الى ليو ؟ .. ما كان يجب أن تفعل .

سألها : ولماذا ؟

قالت ليزا فى تردد وغموض : سيطول بنا الحديث الآن ، وقد يظن

الآخرون بنا الظنون ، ولكن تعال غدا وسوف تعرف .
ــ حسن جدا . الى الغد .
وشد على يدها ومضى نحو الدرج .
وعادت ليزا الى غرفة الصالون ، حيث الثلاثة الآخرون ، وكانت مارى جريس تتحدث عن ميشيل ، وكانت تقول لعشيقها وهى متألقة الوجه :
ــ من الواضح ان الأمر كان شاقا عليــه ، فانه ليس من الــذين ينحنون بسهولة . انه متكبر .
وأردفت تقول فى تحد : ان له روحا أبية ومستقيمة ، مثلى انا .
قال ليو وهو يرفع حاجبيه ليلقى نظرة طويلة على كارلا .
ــ اننى واثق من ذلك ، ولكنه فى هذه المرة انحنى وكان على صواب .
وسكت ثلاثتهم فقد استهلك الموضوع ، واجتازت ليزا الصــالون فى خطوات صامتة وبدون اسراع ، وقالت :
ــ هل معك سيارتك ياميروميس ؟
هز ليو رأسه وقال : سيارتى ! .. طبعا .
ــ سأصحبك اذن ، اذا لم يكن لديك أى مانع .
ــبكل سرور ، ولكن لابد من الانصراف اولا .
ونهض ، وزرر جاكتته . كان غاضبا لأن اموره ، من ناحية كلارا لم تتقدم ، ولأنه لابد له الآن من الانصراف .
ولكن غيرة مارى جريس العمياء العنيدة انقذته ، فمنذ سنوات عدة كان ليو وليزا صديقين حميمين ، بل كانا على وشك الزواج ، ولكن مارى جريس كانت قد غدت ارملة فتدخلت بينهما فجأة وخطفت من صديقتها العزيزة خطيبها ، وكانت هذه حكاية قديمة ولكنها خشيت مع زوجها ان تعاود صديقتها صلتها به ، فتحولت اليها وقالت :
ــ لا تتعجلى الانصراف ، فان لدى ما احدثك به .
قالت ليزا وهى تتظاهر بالارتباك : وددت ذلك ، ولكننى اخشى أن لا يستطيع ميروميس اصطحابى .
اسرع ليو يقول وهو فى منتهى السرور : اوه ، لا تقلقى . استطيع ان انتظركما فى البهو . خذا حريتكما كما يحلو لكما .. ستبقى كارلا بصحبتى .

نهضت «كارلا» فى تكاسل ، وتقدمت وهى تهز راسها وتقول لنفسها.
« انتهينا . اذا ما ذهبت معه الى البهو فسوف ينتهى كل شىء » .
ولمحت فى نظرة « ليو » شيئا من الخبث ، وبدا لها هذا التواطؤ المسبق بغيضا . ولكن ما الجدوى من المقاومة . واستولى عليها تلهف اليهم ، وراحت تقول : « لابد من وضع نهاية لهذا الأمر » واحست بأنها تتهاوى فى استسلام مترددة كريشة فى بئر السلم ولهذا لم تبد اى اعتراض .

ولكن « مارى جريس » اعترضت قائلة : امض يامبروميس . انك لا تعرف كم من الوقت سنبقى . سوف نستدعى سيارة اجرة لكى تقلها .

صوت مخادع .. صوت الغيرة القلقة .. وكان ليو مجاملا وصلبا فى نفس الوقت ، اذ قال :

ـ ابدا .. سأنتظر .. دقيقة اكثر او أقل .. اؤكد لك اننى سأنتظر طواعية .

احست الأم بأنها خسرت القضية وانها لن تفلح فى التفريق بين ليزا وليو ، وفكرت وهى تنظر اليهما : انه يصر على انتظارها طبعا ، وسوف يمضيان الى بيته معا بعد ذلك . وبدت لها هذه الفكرة فظيعة وازداد شحوبها . وومضت الغيرة ، صريحة ، فى عينيها ، وقالت اخيرا :

ـ حسنا . امض وانتظرها فى البهو . سأعيدها اليك حالا ... لا تخف .

واتت باشارة من يدها ، متوعدة ، وارتجفت على شفتيها الحمراوين ضحكة مريرة ، ونظر ليو اليها مليا ثم هز كتفيه من غير ان ينطق وخرج . وتبعته كارلا .

وفى البهو ، ومن غير ان يبدو عليه انه يدرى بما يفعل طوق خصرها بذراعه . وادركت هى ذلك ولكنها قاومت فكرة الاغراء بالتحرر وحدثت نفسها تقول : « هذه هى النهاية .. نهاية حياتى القديمة » وعكست المرايا التى تلمع فى الظل صورة شخصين متعانقين ، وقالت فى صوت مسموع :

ـ ارايت ؟ .. ان امى تفارق ليزا .

لم ينطق ولكنه جذبها اليه بذراعه . ودخلا البهو وهما متلاصقان بهذه الصورة . واردفت تقول وهى تحس بتفاهة مهينة :

ــ ومن يدرى ؟ .. لعلها على حق فى غيرتها هذه .

توقف الرجل هذه المرة ، ومن غير ان يطلقها من يده حول وجهها اليه وقال وهو يبتسم ابتسامة حمقاء مثيرة :

ــ هل تعرفين من يجب أن تغادر على العكس ؟ .. منك انت ! .. نعم .. منك انت يا صغيرتى .

فكرت : « ها نحن قد وصلنا » . وقالت فى وضوح : منى أنا ؟ .. عجبا ! ولماذا ؟

وتلاقت عيناهما ، وقال ليو فى لهجة أبوية تقريبا : هل ستأتين الى بيتى ؟

ورأى كارلا تطرق براسها دون ان تنطق بلا او نعم . وفكر . « لقد أقبلت اللحظة الحاسمة » وجذبها اليه وهم بأن ينحنى لكى يقبلها عندما ارتفع صوت حديث فى الممر عرف منه ان ميرى جريس مقبلة . وكاد ان يختنق من الغضب ، فقد كانت هذه هى المرة الثانية التى تأتى فيها عشيقته فى هذا اليوم لتفسد كل شىء فى اللحظة الملائمة . وفكر « فلتذهب الى الجحيم » وابطأت مارى جريس وليزا فى الظهور ولكن صوتهما كان مسموعا فى الممر . واستبد القلق بكارلا فأتت بحركة لكى تتخلص من ليو وهى تقول :

ــ دعنى .. ان امى قادمة .

نظر ليو الى الباب فى غضب ، وردد البصر حوله دون أن يستقر منه العزم على اطلاق هذا الخصر اللدن . وفجأة وقعت عيناه على ستارة على يمين البهو تخفى بابا فمد ذراعه واطفأ النور وتمتم يقول فى الظلام وهو يحاول أن يجر كارلا الى ذلك المخبأ .

ــ تعالى .. تعالى هنا .. سندبر مقلبا لأمك .

وقاومته من غير أن تفهم ، ومضت عيناها فى الظلام ، وقالت : لماذا ؟ .. ولكن لماذا ؟ ..

ومع ذلك ، فقد انتهى بها الأمر الى الاستسلام ، واختفيا خلف الستارة : لصق الباب . وامسكها ليو من خصرها من جديد وتمتم : « سوف ترين » ولكن كارلا لم تر شيئا ، بل وقفت معتدلة ، متوترة. واطبقت عينيها فى ذلك الليل الذى يطفو فيه ظل من الغبار ، وتركت يد ليو تتحسس عنقها ووجنتيها وهو يقول : « سوف ترين » . واهتزت الستارة من اسفل الى اعلى ، واقتربت الاصوات

فاعتدل ليو وقال في الظلام « ها هى » ثم ضم كارلا اليه فى قوة حميمة وودية وفى ثقة كان قد افتقدها حتى هذه اللحظة .

وفتح الباب الزجاجى . وازاحت كارلا الستارة قليلا ونظرت من خلالها . رأت فى اطار الباب المضىء أمها وعلى وجهها امارات الدهشة وسمعتها تقول : ولكنهما ليسا هنا .

واجابها صوت ليزا ، من الممر يقول : واين ذهبا ؟

سؤال بقى بلا جواب . ومدت الأم راسها ، كما لو لتفحص البهو . كان الظل يحفه قسماتها ويجعل من وجهها الرخو المصبوغ قناعا مذهولا فى تعبير التيه المثير للعواطف . كانت غضونها وفمها المفتوح وعيناها وكل وجهها ، كان كل ذلك يبدو كأنه يصرخ ويقول : ليو ليس هنا ... انه انصرف .. هجرنى » . ونظرت كارلا اليها فى فضول ورثاء ، وضمنت الخوف الذى يرتجف خلف هذا القناع ، وخامرها احساس بأنها ترى مسبقا وجها للأيام المقبلة ... وجه أمها عندما تعلم بخيانة عشيقها وابنتها ، واستمر هذا المشهد لحظة ثم اختفت الرأس .

وقال الصوت : لعلهما فى الصالون الصغير .

وابتعدت المرأتان ، وقال ليو : هل رأيت ؟

وانحنى ، وضم كارلا الى صدره من جديد . ومرة أخرى قالت : « هذه هى النهاية » وبسطت له فمها ، وراق لها هذا الظلام الذى يمنعها من رؤية الرجل ويترك لها كل أوهامها . وافترقا اخيرا ، وقالت وهى تزيح الستار :

– فلنخرج يا ليو .. لنخرج .. والا انكشف امرنا .

واضطر الى الرضوخ على كره منه ، وخرجا من مخبئهما ، كل منهما وراء الآخر ، كما لو كانا لصين . وسطع النور .

وسألته كارلا : هل تشوش شعرى ؟ .. واذ هز راسه نفيا أردفت تقول : والآن ماذا سنقول لامى ؟

اضاءت وجه الرجل الأحمر الهائج نظرة خبيثة ، وربت بيده على كتفها وهو يضحك ثم قال : هذا مقلب جميل وايم الحق . ولكن هذا صحيح .. ماذا سنقول لها .. سنقول اننا كنا هنا طبعا ، واننا لم نتحرك لحظة واحدة .

قالت كارلا بلهجة الشك وهى تعقد يديها فوق بطنها : كلا ... حقا ؟

ـ طبعا .. آه .. ها هما .

وانفتح الباب وظهرت الأم وصاحت تقول وهى تتحول الى ليزا : ولكنهما هنا .. اننا بحثنا عنكما فى كل مكان ... أين كنتما ؟

اتى ليو بحركة تدل على الدهشة وقال : اننا لم نتحرك من هنا .

نظرت مارى جريس اليه كالمجنونة وقالت : ما هذا السخف ! اننى اتيت منذ لحظة ، ولم يكن بالبهو احد ، ثم انه كان مظلما .

قال الرجل فى برود وهو يتناول معطفه : انك واهمة بلا ريب . اننا لم نخرج من البهو ، أليس كذلك يا كارلا ؟

اجابت هذه الأخيرة بعد لحظة تردد : هذا صحيح .

وساد صمت كله وعيد . احست الأم بأن الجميع يهزاون بها ، ولكنها لم تستطع ان تفهم لماذا . ودارت براسها الشكوك وراحت تنظر الى وجوه الآخرين الثلاثة فاحصة وهى لا تدرى ماذا تفعل . واخيرا قالت :

ـ انك مجنون . لم يكن بالبهو اى احد منذ خمس دقائق ، وليزا تشهد على ذلك .

وقالت ليزا فى هدوء : الواقع انه لم يكن هناك احد .

وساد صمت جديد . وقال ليو وهو يغمز بعينه غمزة لهـــا معناها : وكارلا تشهد بأننا كنا هنا . هذه هى الحقيقة ، أليس كذلك يا كارلا ؟

اجابت فى ارتباك : نعم .

قالت مارى جريس فى خشونة : كما تشاءان ... انا مجنونة ، وليزا كذلك .

وما أن استردت نفسها حتى تحولت الى ابنتها وقالت : اذا شاء ليو ان يقوم بمثل هذه الدعابات فهذا شأنه . ولكن انت ؟ .. يجب ان تخجلى من نفسك اذ تهزئين بأمك هكذا ... اهـذا هو الاحترام الذى يجب أن تكنيه لأمك ؟

احتجت كارلا قائلة : ولكنها الحقيقة يا أمى .

وآلمتها الدعابة ، واحست انها شوكة انغرزت فى كيانها ، وودت لو أن تصرخ فى قسوة : نعم ، اننا كنا فى البهو ، وكنا مختبئين خلف الستار ، متعانقين » . وتصورت الشجار الذى سيقع عندئذ ، ولكنه ، على الأقل سيكون الأخير .

وقالت ليزا عندئذ فى ملل : حسنا يا ميروميس . هل ننصرف ؟

وكان الرجل قد تأهب للانصراف فبسط يده لمارى جريس وهو لا يملك الا ان يقول مبتسما : فكرى فى هذا الأمر ... فكرى فيه طوال الليل .

ولكن الأم هزت كتفيها وقالت : اننى انما انام طوال الليل .

ثم عانقت ليزا وهمست فى أذنها قائلة : تذكرى ما قلت لك .

وفتحت كارلا الباب ، وهبت فى البيت نسمة من الهواء البارد . وخرج ليو وليزا وابتلعهما الليل .

الفصل الرابع

صعدت الام والابنة معا الى الطريق العلوى . ولم تفتح مارى جريس فمها فى السلم ، فقد ساءتها المزحة التى تعرضت لها . ولكنها سألت ابنتها وهما فى الطرقة عما تنوى أن تفعل فى اليوم التالى فأجابها كارلا :

ــ انني سأذهب لكى ألعب التنس .

ثم مضت كل منهما الى غرفتها من غير ان تتبادلا العناق .

وكان المصباح مضاء فى غرفة كارلا ، فقد نسيت ان تطفئه . وفى النور الابيض بدا كأن قطع الاثاث والتحف تنتظر عودتها ، وما أن دخلت حتى وقفت فى حركة آلية امام المرآة . لم يكن فى وجهها اى شيء غير عادى فيما عدا عينيها المتعبتين والمتألقتين بصورة غريبة . كانت هناك هالة زرقاء سوداء تحيط بهما . واقلقها بصرهما كما لو كانتا عينا شخص آخر ينظر اليها . وبقيت لحظة دون حراك ، وقد اعتمدت بيديها على المرآة ثم اطلقتهما ومضت فجلست فوق فراشها ونظرت حولها . كانت الغرفة تبدو كما لو كانت غرفة طفلة فى الثالثة أو الرابعة من عمرها ، فقد كانت قطع الأثاث بيضاء اللون ، منخفضة وصحية . والجدران بيضاء بديكور لازوردى ، وصف من الدمى ذات الأطراف المعوجة والعيون المضطربة مصفوفة فى اهمال فـوق اريكة صغيرة أمام النافذة . كان الأثاث هو نفس اثاثها وهى طفلة ، فان امهـا كانت خالية الوفاض ، ولم تستطع ابدا استبداله بغيره مما يتناسب مع سن ابنتها . ومهما يـكن فى حاجتهـا الى غرفة جديدة ؟ .. انها ستتزوج وسـتغادر البيت . وهكذا كبرت كارلا وترعرعت فى النطاق الضيق لأبعد سنوات عمرها ، ومع ذلك فان الغرفة لم تعد كما كانت ، صبانية جرداء ، فان كل سنة من سنها تركت فيها أثرها من تحف وثياب بحيث ازدحمت بمـا يناسب وما لا يناسب ، فانك ترى فيها خصوصيات المرأة ، فطاولة الزينة مثلا مشحونة بالعطـور والمساحيق والمراهم والأصباغ الى جانب

ربطتى الساق المعلقتين بجوار المرآة ، كما ترى فيها خصوصيات فتاة صغيرة تتمثل فى فوضى خفيفة قوامها ثياب ملقاة فوق المقاعد وقوارير مفتوحة واحذية مبعثرة .

راحت كارلا تنظر الى هذه الاشياء فى ذهول هادىء دون ان يخطر بذهنها اى خاطر . كانت جالسة فوق فراشها ، فى غرفتها ، والمصباح مضاء ، وكل شىء مكانه كما هو فى كل ليلة .. وهذا كل شىء . وبدات تنضو عنها ثيابها فخلعت حذاءيها وثوبها وجوربها فى حركات عادية لم تكن لتمنعها من أن تردد البصر حولها ، فتارة تنظر الى راس مشعثة لدمية . ومرة الى المشجب المشحون بالثياب، وأخرى الى طاولة الزينة ثم الى المصباح ... وهذا النور الذى لا يشبه اى نور آخر .. هذا النور الهادىء المألوف ، كان يبدو كأنه جزء لا يتجزأ من اثاث الغرفة ، وكان يوصى ، بسبب النافذة المغلقة والستائر المسدلة باحســـــاس من الأمان المريح وبالقـــلق بعض الشىء ... لم يكن هناك اى شك ممكن ... انهـــا فى غرفتها حقا ... لم يكن هنـــاك شـــك فى ان ألليل مخيم خارج هـــذه الجدران ، ولكنها كانت معزولة عنه بحدود منطقة داخلية بحيث انه كان فى مقدورها أن تنساه وان تحلم بأنها وحيدة فى منجاة من العالم .

وفرغت من خلع ملابسها وهزت رأسها وهى عارية تماما ، ثم نهضت ومضت الى الدولاب لكى تأخذ بيجامة جديدة . وقطعت هذه الخطوات القلائل فى رشاقة ، وعلى طرفى قدميها وفتحت درجا ولاحظت وهى تنحنى ان نهديها الكبيرين يتحركان بحركة خاصة ، تحت عينيها . واذ اعتدلت رأت نفسها تماما ، وأدهشتها الهيئة الخرقاء والمخجلة لهذا الجسد العارى وعدم تناسب راسها الكبير مع كتفيها النحيفين . قد يكون ذلك بسبب شعرها . واخـــذت مرآة يدوية ووضعتها خلف قفاها ... نعم ، ان شعرها طويل ... « يجب أن أذهب الى الحلاق غدا » .

ونظرت الى نفسها مرة اخرى .. آه ! .. ان ساقيها معوجتان قليلا ... ولكنه اعوجاج تحت الركبة يكاد لا يلحظ ... والصدر ؟ منخفض أكثر مما يجب . ورفعته بيديها الاثنتين وهى تقول : « هكذا يكون افضل » وأدارت رأسها محاولة ان ترى ظهرها ، ولكن فيما هى تحاول ان تحتضن بعينيها هذه الصورة الاخرى من نفسها لمست التناقض بين تفاهة مثل هذه الحركات وجسامة الاحداث التى

وقعت فى هذا اليوم . فمنذ دقائق قبلها ليو ، واذ تذكرت ذلك القت بالمرآة وعادت الى فراشها .

جلست ، وبقيت لحظة جامدة تحدق بعينيها فى الارض . كان ذلك بداية حياة جديدة حقا . ورفعت راسها ، وبدا لها ان هـذه الغرفة الهادئة ، الطاهرة ، البعيدة عن الريب والظنـون لا تكون مع كل هذه العادات الصغيرة الحمقاء الا شيء واحد حى ... شخص محدد المعالم ، تعد له دون ان تدرى ، وبتكتم ، مباغتة خيانة لا مثيل لها ، وقالت فى ابتهـاج مرير : لن البث ان اودع كل هـذا الى الأبد » ومن مكانها فوق الفراش ، كما لو كانت فوق سفينة توشك على الابحار ، حيث بيدها الأشياء التى تحيط بها ، ودار بذهنها أوهام مجنونة وحزينة . وبدت لها بعض الظروف يربطهـا رباط محتوم وقالت تحدث نفسها : « اليس غريبا اننى ساستسلم لليو غدا ، وان غدا عيد ميلادى ؟ ... وفكرت عندئذ فى امها فجاة واردفت تقول : « وسوف ارحل مع رجلك يا اماه .. نعم ، مع رجلك انت » .. راقت لها هذه المنافسة وهذه المصادفة المقززة . كل شيء نجس وقذر ... رغبة مبهمة فى الدمار تحل فى هذه المغامرة محل الود والحب . وفكرت . ان اخلق موقفا فاضحا ، موقفا حرجا جدا وان اغوص فى اعماق الغضب والخزى » ورفعت راسها فجاة ورات نفسها فى مرآة الدولاب . وبدا جسدها يرتجف كله دون ان تدرى لماذا ... ودت لو أن تبكي وتصلى . خيل لهـا ان افـكارها قد اضاعتها ، وراحت تكرر قائلة : اين امضى ... أين أمضى ... واين تمضى حياتى ؟

واخيرا ، لم يعد لهذه الكلمات اى معنى ، ورات انها لم تعد تفكر فى شيء وانها عارية وجالسة على حافة فراشها ، وان المصباح مضاء ، وان كل شيء فى مكانه المعتاد ، وانه لم يبق من تحمسها القصير غير مرارة فارغة ، واحست بانها قد بلغت تقريبا بعد جهد كبير نقطة اساسية من مشكلة ما دامت قد غربت عن بالها بطريقة غامضة . وفكرت قائلة : « فليقع ما يقع » ثم اخذت بيجامتها وارتدتها فى تكاسل ، واندست تحت الغطـاء واطفـأت المصباح واطبقت عينيها .

الفصل الخامس

لم يكن احد من الخدم يرقد فى بيت ليزا ، فلم تكن تريد أن يبقى احد منهم اثناء الليل . اما شئون المطبخ التى لابد منها ، والتنظيف، فكانت تعهد بها الى زوجة البواب ، وهى امراة قصيرة القامة قوية الجسم .

وفى ذلك الصباح ، استيقظت فى وقت متأخر ، فمنذ ايام كثيرة كانت تعود بعد انتصاف الليل وتنام دون استمتاع وتصحو متعبة واكثر عصبية من الامس . وقد افاقت فى ذلك الصباح بصعوبة كبيرة وراحت تدور ببصرها حولها فى الغرفة . كانت هناك ظلمة خفيفة يتخللها الغبار وتخترقها آلاف من خيوط النور تملأ الغرفة . وفى تلك العتمة كانت العين تكاد تميز قطع الأثاث العتيقة الجامدة والميتة ، والمرايا الصامتة والثياب المعلقة والباب . كان الهواء ثقيلا تختلط فيه رائحة النعاس برائحة النهار ، وكانت النافذة مغلقة . ووثبت ليزا من الفراش وهى ترفع شعرها الذى تهدل فوق وجهها المبتل بالعرق ، ومضت الى النافذة وفتحتها . وغمر نور النهار الغرفة ، وأزاحت الستائر . كان زجاج النافذة يغشوه البخار، وكان الجو ينبىء بالبرودة . وخلال هذا الندى كانت تظهر الوان مبهمة بيضاء وخضراء كما لو كانت مذابة فى بحيرة من الماء . ومزقت بيدها هذا الستار السائل ، ورات على الفور جزءا من سطح احمر أدركت من منظره دون أن ترفع عينيها ان السماء ملبدة بالغيوم . وغادرت النافذة وتقدمت بضع خطوات فى الغرفة المزدحمة . كان الفراش يشغل اكبر مساحة من الغرفة ، وكان قائما بجوار النافذة بحيث أنها فى ليالى الشتاء كان يروق لها أن ترى على بعد متر وهى مستلقاة تحت الغطاء الدافىء مياه المطر وهى تهطل كالسيل فى الليل العاصف وترتطم بزجاج النافذة . وكان هناك غير الفراش دولابان كبيران بمرآتين صفراوين . وكانت الغرفة متوسطة الطول ، ولكن

بذلك الفراش وبالدولابين لم يكن هناك ما يكفى من المكان لكى يتحرك المرء كما يحلو له .

ومشت الى دولاب الملابس . لم تكن ترتدى غير قميص قصير شفاف جعلته مفاتن جسدها يبدو اقصر مما هو كانت ساقاها مكشوفتين تماما حتى الثنية العميقة التى تفصل فخذيها البيضاوين عن استدارة ردفيها . وبدا جسدها غضا بضا كما لو كان جسد فتاة فى العشرين من عمرها . ورأت نفسها على هذه الصورة فى المرآة ، نصف عارية فارتدت قميص الحمام ومضت الى دورة المياه .

وعادت بعد ان اغتسلت وجففت نفسها فجلست أمام طاولة الزينة . وكانت زينتها وجيزة . كانت لا تستخدم الاصباغ ولا المراهم ... فاكتفت بتمشيط شعرها وبقليل من العطر والمسحوق ثم ادارت راسها للمرآة وانحنت لكى تلبس جوربيها ، ولم يكن يدور براسها عندئذ غير خاطرين اثنين ، أولهما فطورها وثانيهما ميشيل. وكانت تحب الطعام الشهى مع القهوة فى الصباح : المربى الحلوة والفطائر والزبد والكعك . وكانت نهمة لا تغادر المائدة الا بعد ان تشبع ، ولكنها اليوم بالذات خشيت ان تبقى من غير طعام . « فقد يبكر ميشيل فى الحضور ومن الافضل الا يأتى وأنا اتناول الطعام . حسنا ، سوف أعوض ذلك مرة اخرى » . ونهضت وارتدت قميصا وردى اللون ومن فوقه جاكيت ضيق وجونلة شدت صدرها كما لو كانت مشدا ، فقد شاء لها خيالها أن تتوهم فى ميشيل عاشقا شديد الوجد ، وشابا خجولا لا تجارب له ، تبذل له نفسها وهى ترتجف غبطة وفرحا ... حب طاهر اخيرا ... وفكرت تقول فى اقتناع : « ان فى هذا الحب خيرا كبيرا بعد الحياة التى قضيتها حتى الآن » ... ليال بلا رقاد وملذات مرهقة مجردة من المتعة الحقيقية ... سوف تنقشع هذه السحابةغير السليمة . سيأتيها ميشيل بالشمس وبالسماء الزرقاء والنضارة والحمية . سيحترمها وسيعاملها كما لو كانت معبودا وبضع رأسه على ركبتيها . كانت تشعر برغبة عارمة فى ان يفعل ذلك وفى أن تنهل من شبابه المتدفق وأن تعود الى هذا الحب الجديد المتلجلج المحتشم الذى نسيته منذ عشرين سنة . سيكون ميشيل النقاء ذاته . ستبذل نفسها لهذا الفتى دون شبق او احتدام ، ستمضى للقائه وهى تكاد ترقص فرحا

وستقول له « انا لك » وسيكون هذا حبا مدهشا ... حبا لم يعد احد يرى مثيلا له هذه الأيام .

وكانت قد فرغت من ارتداء ثيابها فخرجت من غرفتها وعبرت ممرا ضيقا مظلما ، ودخلت مخدعها الذى يسطع بالنور ، وهو عبارة عن غرفة بيضاء ووردية فالأثاث أبيض والسقف كذلك . اما السجادة والمفروشات والاريكة فكانت كلها وردية اللون ، ينساب نور النهار اليها من ثلاث نوافذ كبيرة . وكان كل شيء يبدو للوهلة الاولى نقيـــا وجديدا ، فهذه سلة للشغل ، وهذا دولاب كتب وهذه زهور فوق مناضد مزخرفة ، ولصق الجدران لوحات مرسومة بالمـاء . صفوة القول ، مجموعة من تفاهات تعطى للمرء صورة من مخدع فتاة ، ولكنه لا يلبث ، اذا ما أمعن النظر أن يدرك ان المخـدع ليس جديدا وانه كباقي الشقة ، فان الطلاء قد تقشه وعلاه الاصفرار والسجادة حال لونها وبلى صوفها فى اكثر من موضع ، وفوق الاريكة والمساند مفارش بالية . ونظرة اخرى ويتبدد كل وهم فالستائر ممزقة واللوحات قذرة والكتب يعلوها الغبار والسقف به شقوق ، ولكى تتم الصورة نقول انه اذا ما ظهرت صاحبة البيت فى هذا المخدع فان وجه المرأة وحده يفسر كل ما فى المخدع من تلف وفساد .

جلست ليزا امام مكتبها وانتظرت . كانت بها رغبة شديدة فى ان تتناول فطورها ولكن ما العمل ؟ وحدثت نفسها وهى تنظر الى ساعتها على مضض : « لو اعرف فقط فى اية ساعة سيأتى » . ولكنها استطاعت مع ذلك ان تسيطر على نفسها ، واقصت هذه الرغبة عنهـا

وقطع عليها حبل تأملاتها صوت رنين الجرس فتسارعت دقات قلبها وابتسمت . والقت نظرة الى المرآة وخرجت الى البهو .

واضاءت النور قبل ان تفتح . ودخل ميشيل . وقال وهو يعلق معطفه وقبعته : اظن اننى بكرت فى الحضور .

اسرعت تقول : ابدا .

ومضت الى المخدع ، وجلسا فوق الاريكة وسالته : كيف حالك ؟

وعرضت عليه سيجارة رفضها . وجلس ويداه فوق ركبتيه وقد بدا عليه القلق ، وقالت ليزا بعد صمت قصير :

اذا سمحت فسوف أستلقى .

ورفعت ساقيها وتمددت فوق الوسائد . ولمح ميشيل فخذين

بيضاوين فابتسم وقال يحدث نفسه « انها تحاول اثارتى بكل تأكيد » ولكنه بقى على هدوئه وبروده ، فان ليزا لم تكن تروق له على الاطلاق .

ونظرت الى الشاب وهى تتساءل ماذا تقول له ، واستولى عليها الارتباك . كانت راسها فارغة وقلبها فى صخب . وكان أول شىء عاد الى ذهنها ذلك الشجار الذى وقع بالامس بين ليو وميشيل. وترددت فى ان تطرق هذا الموضوع ولكن خطر لها انها قد تستطيع الانتقام من عشيقها القديم اذا هى كشفت لميشيل عن علاقة ليو بأمها وهى تقول لنفسها انه ربما لا يعلم بها ، وبأنهـا قد تصل بذلك الى أغراضها المثيرة فقالت :

ـ أراهن انك متلهف لكى تعرف لماذا طلبت منك بالامس ان لا تعتذر لليو .

تحول اليها وهم بأن يقول : بل انت الذى تتلهفين لكى تقولى لى ذلك ، ولكنه قاوم نفسه وقال : هذا صحيح .

ـ اظن انه من حقى دون اى شخص آخر أن أفتح عينيك ؟

ـ لا شك عندى فى ذلك .

ـ اننى لم اقل شيئا منذ وقت طويل ، واتظاهر بأننى لا ارى شيئا . ولكن الكيل طفح ، وما رايته امس احنقنى جدا .

قال ميشيل : وهل أستطيع ان اعرف ما الذى أحنقك ؟

ـ اعتذارك لليو ، خاصة وان امك هى بالذات التى عرضتك لمثل هذه المهانة .

ارتسمت امارات السخرية على وجه الشاب وفكر : آه ... انها تريد ان تسوق لى ذلك النبأ الكبير وهو أن الأمى عشيقا .

واحس بالتقزز من ليزا ومن نفسه وقال : ربما لم يكن فى ذلك اية مهانة .

ـ كان امرا مهينا على كل حال ... ومهينا جدا . وستفهم عندما تسمع ما سوف اقول لك .

ـ لحظة واحدة . لا ادرى ما سوف تقولين ، ولكن اذا كان الأمر يبدو خطيرا فاننى أريد ان اعرف اولا لماذا تقولينه لى .

وتبادلا النظر ، وعادت ليزا تقول وهى تخفض عينيها : لماذا ؟ .. ولكن لأننى اهتم بك كثيرا ، ولاننى احبك كثيرا ، ولان هناك ، كمـا سبق ان قلت لك امورا كثيرة تثير حنقى .

ولم يكن يجهل العلاقة التى كانت تربط بين ليو وبين هذه المرأة وفكر « ان الذى يحنقك هو ان ليو قد طار من بين يديك » ولكنه هز راسه فى جد وقال :

- انت على حق ... ما الذى اثار حنقك الى هذا الحد ؟

- لقد اقدمت امك على حماقة كبيرة ، فقد تعرفت بميروميس منذ عشر سنوات و ...

قاطعها في ذعر زائف قائلا : لعلك لا تريدين ان تقولى لى ان ليو عشيق امى ؟

اجابت ليزا فى بساطة مؤلمة : اننى آسفة ، ولكن هذه هى الحقيقة ، ولعلك تفهم الآن حفيظتى عندما رايت امك تحملك على التذلل امام هذا الرجل .

لم يأت بحركة ولم ينطق بكلمة . راى بعين الخيال ليو وامه ، وراى نفسه بالذات كطفل خجول مرتبك يعتذر ويطلب العفو . ولكن هذه الذكرى لم تقلقه ولم تثر فى نفسه اى احساس ، وود لو ان يكون الامر غير ذلك وان يشعر بالسخط والحقد والغضب . وآلمه جدا وحز فى نفسه عدم اكتراثه الى هذا الحد .

وراى ليزا تعتدل وتجلس الى جواره . والقت يدها على راسه فى حركة خرقاء مواسية وقالت : تشجع . اننى ادرك ان هذه المحنة تثير شجنك . ان الواحد منا يعيش على ثقة من الآخرين وعلى احترامهم وتقديرهم ، ولكن لا يلبث أن ينهار كل شيء حوله ... ولكن لا تهتم ، فان فى هذا درسا لك .

هز راسه وهو يجز على شفتيه لكى لا يضحك . وحسبت ليزا ، على العكس ، بأنه يحاول التغلب على حزنه ، وقالت فى لهجة رثاء معسولة دون ان تكف عن مداعبة شعره :

- رب ضارة نافعة . ان كل هذا يقرب ما بيننا . هل تريد ان اكون لك كما كانت عليه امك حتى اليوم ... هل تريد ان اكون صديقة لك ؟

كانت مخلصة فى قولها هذا ، ولكنها تكلمت فى لهجة حادة زائفة بحيث ان ميشيل ود لو ان يطبق فمها بيده ، غير انه لم يفعل . راى نفسه جالسا بجوار المرأة ، على حافة الاريكة ... كان منظرا مضحكا يثير السخرية الى حد انه لم يجد امامه غير وسيلة واحدة

لكى لا يضحك ، وهى الجمود التام . وازدادت ليزا حماسا وراحت تقول :
ـ سوف تأتى لزيارتى من وقت لآخر .. وسوف نتبادل اطراف الحديث .. وسنحاول ان نعيد بناء حياتنا وان ننظمها .
نظر اليها من طرف عينه . كانت منحنية الى الأمام وقد اصطبغ وجهها بالرغبة وفكر : « هذه اذن هى بداية البناء والتنظيم » . ثم تذكر ذلك القريب الذى يجب ان يأتى . لماذا لا يستفيد من هـذه المغامرة ؟ .. ولماذا لا يظل على تصنعه وتظاهره ؟ .. وقال وهو يرفع راسه كما لو كان قد افلح من التغلب على حزنه :
ـ كانت ضربة قاسية ، ولكنك على حق .. يجب ان ابدا حياة جديدة .
اسرعت ليزا تقول فى حماس : طبعا .
خيم بعد ذلك صمت عميق . كان كل منهما يتصنع لاغراض مختلفة ، ويتكلف الحديث . وجلسا ، متجاورين ، واطرقا براسيهما الى الارض .
واخيرا ، دس ميشيل ذراعه خلف ظهر المراة وطوق خصرها فقالت «كلا» فى صوت واضح دون ان تأتى بحركة الجمود واحدة كما لو كانت ترد على سؤال داخلى . وابتسم ميشيل على كره منه ، فقـد احس بشىء من الارتباك على الرغم من ذلك ، وجذب ليزا اليه وهو يزيد من ضغطه عليهـــا . وعادت تقـول : « لا .. لا ... » ولكن فى صوت ضعيف ثم استسلمت والقت المضطربة على كتف الشاب ، وبعد لحظة من الجمود العاطفى امسك بذقنها . وعلى الرغم من احتجاج عينيها الصامت قبلها فى فمها . وابتسمت ليزا ابتسامة راضية وقالت : يا شقى ... نعم .. انت شقى ، وجرىء .
نهض ميشيل وهو يتغلب على مشاعره ، وراح يسير فى المخدع ويداه فى جيبيه ، ووقف أمام أللوحات المرسومة بالماء ، واخذ يتأملها وهو فى شدة الاستياء ، وفجـــأة سمع صوت ليزا من خلفـــه تقول :
ـ هل تروق لك ؟
ـ انها اسوأ ما رايت فى حياتى .
قالت مفمومة : حقا ... انها تروق لى .
وعادا الى الاريكة . كانت رأس الشـــاب تدور . واضطربت

وجنتاه ، وفكر فى تقزز : كل هـذا بغيض ، ومع ذلك فمـا كادا يجلسان حتى القى بليزا فوق الوسائد كما لو كان يريد امتلاكها . ورآها تطبق عينيهـا وتستسلم لنوع من النشوة بصورة مضحكة ومقززة . وكان الانطباع من القوة بحيث تلاشت رغبته فقبل فم المراة فى برود ثم القى بوجهه فوق صدرها وهو يتنهد فى صوت مكتوم وفكر : « سابقى هكذا حتى لحظـة الانصراف ، وبهذه الطريقة لا اراها ولا اقبلها » .

واحس بيدها تداعب شعره وسمع صوتها الزائف يقول : ماذا دهاك ؟

اجاب فى جد وهو مغمض عينيه : اظن انه يكفى ان نبذل جهدا بسيطا لكي نكون صريحين ولان نعترف ان كلا منا يكره نفسه لـكى يتبع طريقا مختلفا .

وتنهد وقد خيل له انه وصف نفسه وفكر : « لماذا انا هنا ؟ ولماذا الكذب ؟ .. ليس اسهل من أن اذكر الحقيقة وان انصرف .

قالت المراة دون ان تكف عن مداعبة شعره : هو ذلك ... هذا صحيح . ولكن دعك الآن من افكارك المحزنة ... انك لم تعـد بحاجة الى الآخرين ، فأنا هنا الآن ، وقد اصبحنا اثنين ، انا وأنت ، وسوف نتجاهل الدنيا بأسرها ، (ونطقت بهذه الكلمات فى حماس جعل ميشيل يرتجف) سنعيش بعيدا عن الاشياء التى لا تروق ... بعيدا عن كل هذه المضـايقات .. وستروى لى حياتك وآلامك واشجانك ، وسأمنحك انا كل الحب الذى لدى والذى ادخرته لك . ساكون رفيقتك ، فهل تريد ؟ .. رفيقتك الوفية المتواضعة .. رفيقة تستمع اليك فى صمت وتواسيك بمداعباتها ... هكذا .

وتوترت يداها فوق راس ميشيل ، وانحنت فوقه وقبلت شعره وقفاه فى قوة وهى تتشبث بأصابعها المضطربة على كتفيه . وخفق قلبها وهى تقول : « اخـيرا .. اخيرا .. وجـدت من يحبنى واحبه » .

ولكن ميشيل لم يتحرك ، فلم يسبق له ان راى الانفعـال والسخرية والمهزلة والحقيقة مختلطة الى هذا الحد . وتملكه ارتباك شديد ، وراح يقول لنفسه : « ليتها تسكت على الاقل » واحس برغبة جنونية فى أن يقول الحقيقة الجافة وان ينصرف ، ولكن منعه

من ذلك احساسه بالشفقة ، ثم ، الم يسهم هو فى هذا الموقف ويضاعف من اوهامها ؟ .. الم يبدأ بتقبيلها ؟

وعادت المرأة تقول : حبيبى .. حبيبى ، لا يمكن ان تتصور مدى حبى لك .

وود ميشيل ان يقولها لها : « انك تبالغين » . ولكن عينيه كانتا مملوءتين بالظلام . خيل له انه لم ير النور ابدا ، فان هذا الصوت وهذه المداعبات اعطته انطباعا بليل لا أمل فيه . ورفع راسه ودعك عينيه وهو يقول :

ـ آن .. أن انصرف .. ولكن قريبك ؟ .. متى يأتى ؟

ولم تكن ليزا تتوقع هذا السؤال فقالت : سأمضى واتصل به تليفونيا .

وخرجت . وبقى هو وحده . فنهض ومشى ثلاث خطوات ، ووقف فى شرود الى احدى اللوحات . واقترب من الباب ودار به . كان التليفون فى آخر الممر المظلم ، ولكن ليزا لم تكن هناك . كان خروجها مختلفا . لقد كذبت لكى تحمله على المجىء الى بيتها ، وليس هناك وجود لهذا القريب .

واغلق الباب ، وعاد يتأمل الصور من جديد وقد خامره تقزز خفيف وأحس بضيق كذلك الذى يسبق التقيؤ . وفتح الباب بعد لحظة ودخلت ليزا وقالت :

ـ اننى آسفة . انه مشغول ولا يستطيع المجىء . ولكنه وعدنى ان يأتى غدا .. فهل تستطيع ان تأتى بعد ظهر غد ؟

أجاب ميشيل وقد ازداد ضيقا : كلا . لن آتى .

قالت المرأة فى اصرار وفى شىء من الوقاحة : ولكنه سيأتى ، واذا اتت لم ...

وضع ميشيل يده فوق كتفها وحدق فيها قائلا : كلا .. هذا مضحك .. انه لن يأتى .. لماذا لا تقولين الحقيقة ؟

رآها تضطرب ، واسوا ما فى الامر انه رآها تتحاشى نظرته وتبتسم ابتسامة فاجرة ... ابتسامة امراة لا يهمها انها اخذت على غرة ، وقالت وهى لا تكف عن الابتسام :

ـ اية حقيقة ؟

اجاب ميشيل فى برود : اننى نظرت الى الممر ، فلم ارك تتكلمين فى التليفون ، ولا وجود لهذا القريب .

وساد صمت قطعته ليزا اخيرا بأن قالت فى هدوء وبساطة وهى تبتسم وتهز كتفيها : اذا كنت قد نظرت الى الممر فلماذا كل هذه الأسئلة ؟

نظر ميشيل اليها وهو يقول لنفسه : الا يمكن ان تفهم انه كان فى مقدورها ان تتصرف بطريقة اخرى ؟

واراد ان يبذل جهدا اخيرا فقال : كلا ، لا تتكلمى بهذه اللهجة .. ان الأمر هام . لماذا قمت بهذه المهزلة ؟ .. ولماذا لم تقولى لى بكل بساطة « تعال غدا لكى نتناول العشاء معا » .

اجابت بلهجة عادية دون اى اضطراب : اعلم انه كان يجب أن اقول ذلك ، ولكنك ســـتأتى على كل حال ، اليس كذلك ؟ .. ثم . لا تخف . اننى لم اتكلم مع قريبى بعد ، ولكننى سأتحدث اليه فى اقرب وقت ممكن .

قال ميشيل يحدث نفسه : آه . انها تظن اننى اصبت بخيبة امل لأننى لن ار هذا القريب .

وقسمت قسماته وقال : كلا . لن آتى . ولا فائدة من ان تقولى اى شىء .

واولاها ظهره وخرج الى الممر ، وقالت فى ذهول وتوسل وهى تناوله قبعته : احقا لن اراك غدا ؟

نظر اليها . راى ان محاولته لم تجد شيئا ، وان تقززه ورثاءه لم يكن لهما اية فائدة ، فقد ظلت على خطتها .

وقال وقد زاد تقززه :

ـ وما الفائدة من العودة ؟

ـ ماذا تعنى ؟

ـ ان هذا لن يجدى (وهز راسه) هكذا خلقت ولن تتغيرى .. لا فائدة .. انكن جميعا سواء .

عادت تقول وقد اصطبغ لونها رغما عنها : ماذا تعنى ؟

ود لو ان يقول لهـــا : انتن تافهـات ، لا تفـكرن فى شىء غير الحب والجنس . ولكن حز فى نفسه ان يقسو عليها وان يقول لها هذا واكتفى بأن قال :

ـ حسنا . سوف آتى على كل حال . ولكن هناك شيئا أود ان اسألك اياه . ما دمت واثقة من اننى ... احبك ، ومن اننى ساعود

فلماذا استخدمت هذه الحيلة بدلا من ان تتكلمى بصراحة ؟ .. لم يكن هناك داع لذلك .

قالت فى خضوع : نعم . انك على حق . ولكن من منا بلا خطيئة ؟ ثم ان قريبى هذا موجود حقا ، وهو ثرى جدا ... غاية ما فى الامر اننى لم أره منذ مدة طويلة .

قال ميشيل : حسنا . هذا يكفى . الى الملتقى اذن .

واخذ يدها . ولكنه راى فجأة ان ليزا تنظر اليه بطريقة غريبة وانها تبتسم له فى استفزاز فأدرك ما تنتظره وقال : « آه .. لا بأس » . وانحنى ، واخذ المراة بين ذراعيه وقبلها فى فمها ثم اطلقها من بين ذراعيه وخرج . وعند الباب تحول لكى يحييها ، ورأى عندئذ انها اختبأت فى خوف خلف معطف وقد اعتراها الخجل ، ورأى لو كانت فتاة تقع فى الحب لأول مرة . ورفعت اناملها الى شفتيها وأرسلت اليه بقبلة أخيرة فقال فى نفسه : يا لها من مهزلة شائنة .

واسرع يهبط درجات السلم دون ان يحاول رؤية المزيد .

الفصل السادس

فى ذلك اليوم فرغت مارى جريس من ارتداء ثيابها فى وقت متأخر جدا ، وكانت لا تزال جالسة امام طاولة الزينة فى الظهر ، تحاول أن تصبغ بالفرشاة اجفانها المتورمة باللون الاسود . كانت اشباح الغيرة قد امضتها منذ ان استيقظت ، ولكنها لم تلبث أن تذكرت ان اليوم يوم عيد ميـــلاد ابنتها فغمرتها موجة عارمة من الحب الاموى ... وراحت تقول وقد اغرورقت عيناها بدموع الحنان « حبيبتى كارلا .. صغيرتى العزيزة كارلا .. انها المخلوق الوحيد الذى يحبنى فى العالم » . ونهضت واخذت ترتدى ثيابها وهى تفكر فى كارلا وفى عيد ميلادها الرابع والعشرين . بدا لها هذا العيد حدثا مؤلما مثيرا للدموع ، ومن ناحية أخرى راحت تفكر فى غير انقطاع فى الهدايا والمسرات التى ستقدمها لابنتها « ليس لديها ثياب كثيرة ، وسوف اشترى لها الكثير .. وسأشترى لها معطفا من الفراء ايضا ، فهى تريد معطفا منذ وقت طويل » ولكنها لم تفكر من أين تأتى بالمال اللازم لكى تشترى هذه الاشياء . « يجب أن تجد زوجا وبذلك تتحقق كل امنياتى » وامضتها فــكرة أن ان ابنتها قد بلغت الرابعة والعشرين من عمرها ولما تتزوج بعد . وأحست بغضب شديد من نحو الرجال » . كل هؤلاء الشــبان الحمقى ... انهم لا يفكرون الا فى ملذاتهم وفى تضييع وقتهم . اما الزواج فلا يهتمون به اطلاقا . ولكن كارلا ستتزوج على الرغم من كل ذلك دون اى شك ، فهى جميلة » وراحت الأم تعدد صفاتها على أصابعها . « بل هى جميلة جدا ، ثم انها طيبة كالملائكة وذكية ومثقفة ، وقد لقيت تربية ممتازة فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟ .. المال ؟ .. هذا هو بيت القصيد . ستدخل كارلا بيت زوجها عارية كالطفل الوليد ، لا يضنيها شىء الا فضائلها . ولكن هل صحيح ان الفتيات الثريات هن وحدهن اللواتى يتزوجن . ولكن هناك فتيات كثيرات لا يملكن

بائنة استطعن أن يتزوجن » وغادرت مارى جريس مخدعها ومضت الى غرفة الانتظار وقد شدت هذه الفكرة من عزيمتها .

كانت هناك باقة جميلة من الورد ، وبجوارها صندوق صغير ، ومع الورد رسالة اخذتها الأم وفضتها وقرات فيها هذه الكلمات : « الى كارلا .. ابنتى تقريبا ، مع أحسن امنياتى ، ليو » . وأعادت الرسالة وسط الباقة وهى تقول مسرورة « ما ارق قلبه ! رجل آخر غيره ما كان ليعرف كيف يتصرف مع أولاد صديقته . أما هو فانه يعرف كيف يزيل كل الشكوك . انه أب بالنسبة لها » . وهمت أن تصفق بيديها لفرط سرورها ، واو ان ليو كان موجودا فى هـذه اللحظة لقبلته . ثم فتحت الصندوق ووجدت به كيسا صغيرا للنقود مصنوعا من الحرير المطرز وبه ياقوتة زرقاء في المشبك . وطارت مارى جريس من الفرح واخذت الباقة والصندوق وأسرعت الى غرفة كارلا وصاحت تقول :

ـ ارايت الى هذه المفاجأة الجميلة يا ابنتى !

وكانت كارلا جالسة وفى يدها كتاب ، فنهضت دون أن تنطق وقرات الرسالة ... هذا التهور من ليو ومحاولته اذ دعاها « بابنته تقريبا » أعادا الى ذهنهـــا بطريقة جعلتها ترتجف السمة المقلقة والمحرمة نوعا ما لمغامرتها الغرامية ، ورفعت عينيها فرات عينى أمها تتألقان سرورا فابتسمت وقد تملكها الانفعال ، وضمت الباقة الى صدرها فى غباء وقالت :

ـ هذه حركة جميلة منه ... وماذا فى هذا الصندوق ؟

اجابت الأم فى حماس : كيس للنقود .. كيس انيق للسهرة . لا ريب ان ليو دفع فيه ما لا يقل عن خمسمائة فرنك .

وفتحت الصندوق وقدمت الكيس لابنتهـــا وهى تقول : اليس جميلا ؟

اجابت كارلا : انه جميل جدا .

ووضعته فوق المائدة ، وتبادلت المرأتان النظر . وقالت مارى جريس فجأة : ها انت قد بلغت الرابعة والعشرين اليوم ، ومع ذلك فانه يخيل لى انك لم تكونى بالامس غير طفلة صغيرة .

اجابت كارلا فى شىء من السخرية : نعم يا اماه . وانا ايضا يخيل لى ذلك .

ولكنها كانت تحـدث نفسها فتقول : ابتداء من اليوم لن أكون طفلة .

ونظرت الام الى ابنتها وقالت : ولم تعد لى غير امنية واحدة هى أن اراك متزوجة .. سيسعدنى ذلك كثيرا .
ابتسمت كارلا وفكرت : سيسعدك انت ولـكن هل سيسعدنى انا ؟
واجابت وهى تطرق براسها : وددت ذلك . ولكن يجب أن نكون اثنين لكى نتزوج .. انا .. وهو .
صاحت الأم بلهجة كلها ثقة : هو ؟ .. لسوف يأتى . قد يبدو لك قولى هذا سخيفا ولكن لدى احساسا بأنك ستتزوجين خلال هذه السنة التى بدأت اليوم .. او ستخطبين على الاقل . لدى هذا الاحساس وان كنت لا أدرى له سببا .
ولكن هناك أمورا لا يمكن ان نجد لها تفسيرا وسوف ترين .
فكرت كارلا « بل سوف ترين انت شيئا آخر » . فقدعقدت العزم على أن تبذل نفسها لليو فى نفس اليوم . وسبب لها ضلال امها احساسا من الظلام الاسود والدياجير التى لابد من ان تحيط بهما دون اى أمل فى الخـــلاص . وابتسمت واجابت فى صوت ثابت : طبعا . لابد من أن يحدث شىء ما .
عادت أمها تقول فى اقتنـاع : ان لدى احساسا بذلك . وهـذه الزهور ، أين نضعها ؟
ووضعنا الزهور فى الاناء ، وانتقلنا الى غرفة الانتظار . وكانت هناك ستارة فوق زجاج الباب المؤدى الى السلم تحجب النور ، وجلست المرأتان فوق الاريكة ، وأسرعت الام تقول :
– أخبرينى ، كيف تراءت لك حالة ليزا بالامس ؟
– كعادتها .
– حقا ؟ .. ولكننى ارى انها ازدادت سمنة ... ثم ان السن بدأت تظهر عليها .
قالت كارلا : لم الحظ ذلك .
وادركت ما الذى تعنيه أمها وفكرت تقول : انما يجب أن تغارى منى انا يا أماه ، وليس منها .
واستطردت مارى جريس تقول : وذلك الثوب الذى كانت ترتديه ... لم ار ابشع منه ابدا ... ثم ، ارأيت كيف هاجمت ليو ، واصرت على ان يصطحبها معه ؟ .. اظن انها تتلهف على تجديد علاقتها القديمة به . ولكن ليو لم يعد يحفل بها ، واذا اراد فانه يجد اجمل منها بكثير ، فقد ترهل جسدها ولا ادرى لماذا تثير فى

نفسي التقزز والاشمزاز ... انها تبدو لى دبقة ومضطربة وتشتعل حرارة ... عندما تنظر الى الرجال بعينيها البراقتين فكأنها تدعوهم وتقول لهم « تعالوا معى » . ولكن لو اننى كنت رجلا فاننى ما كنت لألمسها باصبعى لانها تثير فزعى .

وامسكت عن الكلام لحظة اذ سمعت صوت باب يقفل فى الطابق الارضى ، ونهضت واقفة وقالت :

ـ لا ريب انه ميروميس ... سأعود حالا .

احست كارلا بقلبها تتسارع دقاته ، وهبطت السلم درجة درجة فى بطء كما لو كانت تخشى ان تخور قواها . ودخلت غرفة الصالون ، وكان ليو واقفا بجوار النافذة ، وكان يوليهـا ظهره . وقال وهو يمسكها من ذراعها ويجلسها فوق الاريكة : آه . اهذه انت ؟

قالت : شكرا لهيديتك . ولكن لماذا كتبت « الى ابنتى تقريبا » ؟

ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة وقحـــة وراضية فى نفس الوقت وقال : انما كتبت ذلك مراعاة لأمك ، ولأنه يروق لى أن أتصور انك ابنتى .

وفكرت تقول : يا للعار .. يا للفظاعة .. ولكن النزوع الى الدمار كان فيها اقــوى من الاشمئزاز فقالت وعلى شفتيها نصف ابتسامة :

ـ انا ابنتك ؟ .. الحق ان ذلك لم يخطر لى ابدا .. من أين جاءتك مثل هذه الفكرة ؟

اجاب ليو فى هدوء : جاءتنى مساء امس ، بينما كنا خلف الستارة ، تذكرت فجأة اننى عرفتك وانت طفلة ، بضفائرك خلف ظهرك ، وساقيك العاريتين ، وقلت لنفسى عندئذ : كان فى مقدورى ان أكون ابا لها ، ومع ذلك ...

أتمت قوله وهى تنظر اليه مليا : ومع ذلك فان كلا منا يحب الآخر ، ولكن الا ترى ان هذين الأمرين متناقضان ؟

قال ليو وهو لا يكف عن الابتسام : ولماذا ؟ .. قد يكون ذلك من الامور العادية ، ولـــكن كل امرىء يتصرف حسب مشاعره فى الحالات الخاصة .

ـ ولكن هذا شيء يتعارض مع الطبيعة .

راح ليو يضحك وهو يرى امارات الجد والقلق المرتسمة على وجهها وقال : نعم . ولكن بما انك لست ابنتى حقا فليس لهـــذا

اهمية ... وبهذه المناسبة ، وقبل ان انسى .. بعد ان نفرغ من تناول الطعام ، أنتحلى عذرا واهبطى الى الحديقة .. وسألحق بك على الفور .. اتفقنا ؟

أشارت براسها ان نعم ، وانبسطت أسارير ليو وعقد ذراعيه ورفع عينيه الى السقف . لم يشأ ان يلثم كارلا او ان يلمسها لأنه كان يتوقع ان تدخل مارى جريس من لحظة لاخرى ، وكان يفكر ويقول : اخشى ان ابقى على اضطرابى ورغبتى ، والاوفق ان اؤجل كل شيء الى ما بعد ، حين نكون وحدنا ، وحين يكون امامى كل الوقت . ولكنه كان لا يكاد ينظر الى كارلا حتى يضطرم وجهه وتستبد به رغبة ملحة فى ان يضمها بين ذراعيه وان يمتلكها فوق الاريكة فى اللحظة نفسها .

وضاعفت رغبته المكبوتة من حقده على مارى جريس ، وتذكر غيرتها الشديدة التى تعرض لها بالأمس ، فعصف به غضب لا حد له وقال فجأة :

ـ ان امك غبية من الدرجة الأولى .

فتحت كارلا فمها لكى ترد ، ولكنهما سمعا الباب يفتح ، ودخلت الأم ممسكة بميشيل بيدها وهى تكاد تجره جرا . وقالت تخاطب عشيقها وهى تشير الى ابنها :

ـ صباح الخير يا ميرومس . يقول ميشيل اننا اذا بعنا الفيللا بالمزاد بدلا من أن نتنازل لك عنها فاننا نستطيع عندئذ أن نسدد لك دينك وأن يتبقى لنا بعد ذلك نحو عشرة آلاف ليرة أو أكثر .

تجهم وجه ليو وقال : هذه حماقة ، فما من احد يمكن ان يقدم ثمنا لمنزلكم أكثر مما اقدمه لكم .

قال ميشيل : ولكنك لا تقدم لنا شيئا فى الواقع ... انك انما تطردنا منه ولا أكثر .

أجاب الآخر محنقا ومتضايقا : اننى قدمت لكم الكثير حتى اليوم . ومع ذلك يمكنكم ان تفعلوا ما يحلو لكم ، وأن تبيعوا البيت ، ولكن لا تعتمدوا على ، وليكن معلوما لكم ... لابد ان يصلنى المبلغ يوم الاستحقاق .

كان ليو يعلم الخطر الذى يتعرض له بقوله هذا فانهم اذا باعوا الفيللا بالمزاد فسوف تظهر قيمتها الحقيقية ، وتتبخر احلامه عندئذ ، ولكن لحسن الحظ ان مارى جريس لم تكن تعرف ما هو

البيع بالمزاد ، وان مثل هذا الاجراء مشبوه ، وانها كانت تخشى على الخصوص ان يهجرها عشيقها ؛ ولهذا اسرعت تقول تطمئنه :

ــ كلا . لن نبيعها بالمزاد . ولكن الا تستطيع يا ميروميس أن تقدم لنا شروطا افضل . نستطيع ان نصل الى تسوية .

سألها الرجل وهو لا ينظر اليها : اى نوع من التسويات ؟

أجابت الأم فى حماقة : ان تدعنا ننتفع مثلا بالفيللا ريثما يكتسب ميشيل قوته وتتزوج كارلا .

قابل اقتراحها هذا بقهقهة كبيرة مفتصبة وقال بعد ان هدأ : سأنتظر الى ما شاء الله اذن .. نعم ، الى ما شاء الله .

سألته الأم وهى تتميز غيظا : ماذا تعنى ؟

اجاب ليو : افهمينى جيدا . لست أشك فى ان كارلا ستتزوج قريبا ، واتمنى لها ذلك من سويداء قلبى . ولكننى لا اعتقد ان ميشيل سيستطيع ان يكسب قوته قبل سنوات ، هذا اذا كان ينوى حقا اكتساب قوته .

ولم يكن ميشيل قد تكلم حتى ذلك الوقت ، وان كان قد جر الى الاشتراك فى هذه المناقشة جرا . ولكنه ما ان سمع ليو يتهمه بالعجز والخمول حتى اخذته انتفاضة وفكر :

آن الأوان لكى أغضب . وقال فى صوت بدا زائفا :

ــ لست كما تتصور . سأثبت بالأفعال اننى أعرف كيف اعمل واكسب قوت يومى . وسترى اننى سأعرف كيف أتكفل بنفقاتى ونفقات اسرتى .

صاحت مارى جريس وهى تداعب راس ابنها فى زهو : تماما سيشتغل ميشيل وسيغدو ثريا . اننا لسنا بحاجة الى معونة من أحد .

ولكن ليو لم يكن غبيا الى هذا الحد فهز كتفيه فى غضب وقال : هراء . ان المرء لا يعرف ابدا اذا كان ميشيل يجد أو يهزل ... انك مهرج صغير .. نعم ، مهرج صغير .

كان فى ذروة الغضب ، فلم يكن ابغض الى نفسه من الهزل فى العمل . وود لو أن يتخلى عنهم عندئذ وينصرف . وتقدم ميشيل خطوة الى الأمام وهو يتساءل هل عبارة مهرج سبة واهانة تجرح شرفه ؟ ان استخفاف ليو وعدم مبالاته وهو ينطق بها تدل على انها عبارة عادية ، ولكن اذا نظرنا الى المعنى الذى تنطوى عليه

فانها لتكون اهانة عندئذ . وفكر فى شىء من الثمالة « يجب أن اتصرف وأن اصفعه مثلا » . ولم يكن ينبغى أن يفوت هذه الفرصة فان ليو كان يقف أمامه على بعد خطوة ويواجهه تماما ، ولا يمكنه ان يخطىء الهدف .

وقال فى صوت اجش : آه .. انها مهرج صغير ؟ الم يخطر ببالك ان مثل هذه العبارة قد تهيننى ؟

اجابه ليو وهو يبتسم فى غير اكتراث : لك أن تشعر بما تريد .

ــ خذ اذن .. اليك هذا .

رفع ميشيل يده ولكن ليو كان اسرع منه فأمسك بيد الشاب بيد من حديد ، وقبل ان يدرى ميشيل كيف وقع هذا رأى نفسه محصورا فى زاوية النافذة وليو ممسك برسفيه الاثنين .

وقال هذا الأخير فى سخرية هادئة :

ــ آه ! . كنت تريد أن تصفعنى ؟ .. ولكنك مخطىء يا صفيرى ، فلم يخلق ذلك الذى سيصفعنى .

وصاحت مارى جريس تقــول خلف ظهره : ولــكن ... ماذا حدث ؟

وقالت كارلا بدورها وهى تضع يدها على كتف اخيهــا : دعه يا ميروميس . انك تستطيع ان تكلمه كما تريد من غير أن تمسكه هكذا .

أطلق ليو سراحه وهو يقول فى حدة : ليس لدى ما أقول أكثر من ان الوقت قد حان لكى نفرغ من كل هذا . ان هذه الاساليب غير مقبولة ، ثم انها ليست احس وسيلة للوصول الى تسوية .

وقال سيشيل محتدا : لماذا دفعتنى الى التدخل فى هذا الامر اذن ؟

ولكن مارى جريس استطردت تقول دون أن تحفل به : واذا اردت أن تتكلم فى هذا الموضوع فتكلم فيه معى أنا .

قال ليو : حسنا . سأعرض عليك شروطى للمرة الاخيرة . سأترك لكم الفيللا الى أن تجدوا لكم مسكنا ، وسأقدم لــكم فوق ذلك مبلغا معينا ... ثلاثين الف ليرة مثلا .

قالت الام وقد اتسعت عيناها : ثلاثون الف ليرة ! كيف هذا ؟

ــ انك تؤكدين ان قيمة الفيللا تربو بكثير على مبلغ الرهنية ، وأصر أنا على ان الامر غير ذلك . ولكن ، ولكى ابرهن لك على حسن نيتى

وعلى اننى اتصرف كصديق حقا فاننى اقدم ثلاثين الف ليرة اضافية ، ولنقل انها نظير الاعمال والترميمات التى ادخلت بعد الرهنية .

قالت الأم وهى تتحسر تقريبا : ولكن البت يساوى اكثر .

قال ليو فى هدوء : اذا كان الامر كذلك فاليك نصيحتى . بيعى البيت الى اى شخص آخر ، وسترين عندئذ انه لن يتبقى لك ثلاثين الف ليرة وانك لن تجدى معك يا يكفى لتسديد الدين ، فاننا نعيش فى ازمة خانقة والجميع يريدون البيع ، ولـــكن ما من احد يريد الشراء . يكفى ان ترى صفحة الاعلانات فى الجرائد للتحقق ممـــا اقول ، ثم ان البيت يقع خارج المدينة ولن يكون من السهل العثور على شخص يرضى بالمعيشة بعيدا عن وسط البلد . ولكن افعلى ما يحلو لك ، وسألوم نفس طوال حياتى لاننى لم انصحك بما فيه الكفاية .

قالت كارلا : لو اننى مكانك لقبلت شروط ميروميس ، فأنا ، من ناحيتى ، ليس لى غير امنية واحدة ، وهى ان اغادر هــذا البيت واعيش فى مكان آخر حتى ولو كانت عيشة الكفاف .

اتت الأم باشارة محنقة وقالت : هل لك ان تسكتى ؟

وساد صمت مذهل وتراءى البؤس لمارى جريس . ورات كارلا نهاية حياتها القديمة . أما ميشيل فلم ير شيئا ، وكان اكثر الثلاثة يأسا .

وقال ليو ، ممها يكن ففى مقدورنا ان نبحث هذا الامر .. تعالى بعد غد الى مكتبى يا سيدتى العزيزة ، وسوف نبحث هذا الامر كما يحلو لنا .

قالت الأم فى حماس مؤلم : حسنا ... بعد غد اذن .

وبعد صمت قصير ، وعلى اثر كلمة من مارى جربس انتقل الجميع الى غرفة الطعام .

وكانت المائدة قد اعدت فى ابهة ودقة ، فصفت عليها الاوانى الفضية والكريستال واطباق العائلة الثمينة ، واخذت الام مكانها وهى تقول :

ـ كنت أود أن أعد وليمة فاخرة احتفالا بعيد ميلاد كارلا ، ولكن لم يعد ذلك متاحا فى هذه الايام . ان عندى طاهية لديها كل الامكانيات ولكنها ليست قديرة ، أنا تفتقر الى الحمية ومن يفتقر الى الحمية لا يجيد شيئا .

قال ميشيل بلهجة الحد : انك على حق يا اماه . ان من يفتقر

الى الحمية لا يجيد شيئا ، فقد حاولت ان اصفع ليو ولكننى لم اتمكن ... اننى افتقر الى الحمية .

قالت مارى جريس وهى تتميز غضبا : ولكن ما علاقة هذا بما اقول ؛ وما دخل ليو فى حديثنا هذا .. اننى أتكلم عن الطاهية . انك لن تتغير ابدا ، حتى فى مثل هذا اليوم ، وهو عيد ميلاد أختك ، فحيث يجب ان ننسى وان نصفح وان نطير سرورا وفرحا تتكلم انت عن الصفع والعراك .

قال ليو من غير ان يرفع عينيه عن طبقه : دعيه يتكلم يا سيدتى العزيزة ، فهو بالنسبة لى لا يتكلم .. وانا لا أصغى اليه .

وخيم الصمت من جديد . ودخلت الخادمة بأطباق اخرى ، وكانت مارى جريس لم تكف عن التحديق فى عشيقها بعينيها الفاحصتين ، وقالت فجأة :

— هل استمتعت جيدا مساء امس يا ميروميس ؟

نظر ليو الى كارلا نظرة تعنى « ها نحن قد عدنا » ولم ترد عليه كارلا وانما سمعته يقول « متى ؟ .. واين ؟ .. » وفى نفس اللحظة ضغط بقدمه على قدمها فعضت شفتها وقد اشمئزت من هذا الرياء الحقير .

وعادت مارى جريس تقول : أين ؟ .. ولكن مع ليزا طبعا .

— رحماك يا الهى ! .. اذا كنت تظنين ان فى مصاحبة الناس الى بيوتها استمتاعا .

قاطعته الأم وهى تضحك فى خبث : كلا . اننى لا أظن ذلك ، فان هناك اناسا أتضايق من مصاحبتهم . ولكن اذا كنت انت تنشد مرافقتهن فمعنى ذلك انهن يرقن لك .

هم ليو بأن يرد عندما تدخل ميشيل بقلة ذوقه كعادته وقال مرددا نفس الكلمات التى خاطبته بها امه منذ لحظات : آه يا أماه ... انك لن تتغيرى ابدا ... حتى فى يوم كهذا ، يوم عيد ميلاد أختك .. كلا ،عفوا .. عيد ميلاد ابنتك ، فحيث يجب ان ننسى وأن نصفح وان نطير فرحا وسرورا تأتين انت وتتحدثين عن ليزا وعن مصاحبة الناس الى بيوتهم ... انك لن تتغيرى ابدا .

كان من اثر هذا التهريج ان ابتسمت كارلا رغما عنها ، كما ضحك ليو وقال : احسنت يا ميشيل .

ولكن الأم نظرت الى ابنها محنقة وصاحت : وما دخلك انت ؟ ان

لى الحق فى ان اتحدث مع ميروميس كما يحلو لى فى الامور التى تعنينا من غير ان تتدخل انت .

ــ ولكن ليس فى يوم كهذا .

هزت كتفيها غاضبة وقالت : لا دخل لك انت .. اننى انما أشرت .. ولكن فلنتكلم فى موضوع آخر على كل حال ، وانت يا ميروميس، عليك منذ اليوم ان تختار مكانا آخر للقاء عشيقاتك ، فاننى لا ادير بيتا للقاءات العابرة ... فهل فهمت ؟

كانت هذه اول مرة تترك فيها مارى جريس العنان لمثل هــذا العنف . وحدث عندئذ شىء غير متوقع ، فان كارلا لم تكن قد نطقت بشىء حتى هذه اللحظة ولكنها تدخلت عندئذ فقالت فى حدة وشفتاها تختلجان :

ــ هناك شىء احب ان اعرفه ... هل يجب ان نعيش دائمــا فى مثل هذا الملل وهذه المضايقات ، وان نرضى بهذه الحماقات التى تدور برؤوسنا ، وان نتجادل ونتخاصم ونعود دائمـــا الى المطاعن وان لا نرتفع أبدا الى ما هو اسمى وأفضل ... (ورفعت يدها فوق المائدة واستطردت تقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع) نعم ، أريد ان اعرف اذا كنت تجدين هذا جميلا ... ولكن الا ترين نفسك ؟ .. يجب ان تنظرى الى المرآة وانت تتكلمين وتتجادلين . سوف يصطبغ وجهك خجلا وتفهمين الى أى حد يمكن أن يؤدى بنا الملل والتقزز ، وكيف يدفعنا كل هذا الى اشتهاء حياة جـــديدة مختلفة عن حياتنا هذه .

وسكتت وقد اضطرم وجهها واحمرت عيناها ، وراحت تزدرد الطعام وهى لا تدرى ما تفعل . وأخــــيرا أفاقت الام من دهشتها وقالت :

ــ آه . لقد طفح الكيل . ابتداء من اليوم يجب أن أستأذن ابنتى لكى أتكلم . خيل لى اننى أحلم وأنا أصغى اليها . هذا عجيب .

قال ميشيل فى هدوء : أرى على العكس ان كارلا لم تذكر الا الحقيقة . كل هذا مزعج ومقزز ولكن لا جدوى من الاحتجاج . هذا هو الواقع .

وقال ليو : لا داعى للمبالغة . ان كارلا لم تعن شيئا من كل هذا .

اجابت الأم : بل عنت كل ما قالت . اننى أعرف ابنائى جيدا

يا ليو . ان كارلا وميشيل انانيان ولو امكنهما ان يهجرا البيت ويتركاني وحدى لفعلا منذ وقت طويل .

وتهدج صوتها .. نعم ، انهما ليتركانها وحدها لو استطاعا حقا . فلم يكن هناك اية فائدة .. لا يمكن استنفاد البحر بكوب من الماء ، وكذلك ليو . ونظرت كارلا الى أمها وقد أخذها الندم لأنها تكلمت ، وستبقى امها كما هى دائما ، مدعاة للهزؤ والسخرية ، وغبية ضائعة فى دياجيرها ، ولن تتغيـــر حتى اذا وقعت معجزة . ولا فائدة من الاصطدام بها عمدا . والاوفق ان تنصرف وتهجر البيت اليوم بالذات وان لا تعود اليه . وغالبت نفورها وتقززها وقالت :

ـ ولكننى لم اشأ اهانتك يا أماه . انما اردت أن اطلب منك أن تنسى وتصفحى لان اليوم يوم عيد ميلادى ، كما قلت انت بالذات :

قالت الام وهى تبتسم نصف ابتسامة : انت داهية . حسنا . فلننس ما دام اليوم هو يوم عيد ميلادك ، ولولا ذلك لـكان لى معك شان آخر .

قالت كارلا بنفس اللهجة الهادئة : حسنا جدا يا اماه . اننى اشكرك . والآن ، فلنتحدث فى شىء آخر ، ويمكنك يا ليو ، وانت يا ميشيل أن تقصا علينا بعض القصص المضحكة .

وجاءت الخادمة بزجاجتين من الشراب فى هذه اللحظة ووضعتهما فوق المائدة ، وقال ليو :

ـ حسنا يا كارلا ، اليوم تبدءين حياة جديدة ، أليس كذلك ؟

قالت كارلا وهى تكتم تنهيدة : ارجو ذلك .

كانت هناك فكرة واحدة تؤرقها . متى تستسلم لليو ؟ .. أفى هذه الليلة بالذات أم فى يوم آخر .

وقالت الأم : جديدة فى اى معنى ؟

ـ فى كل المعانى يا أماه .

قالت مارى جريس : اننى لا أفهمك يا عزيزى .. اذكرى لى مثلا .

ـ جديدة ... اعنى اقل حماقة واقل سطحية واكثر نفعا واعمق من الحياة التى قضيتها حتى الآن .. جديدة ومختلفة كل الاختلاف .

قالت الأم فى قسوة : ولكننى لا ارى كيف يمكن لفتاة محترمة ان تغير حياتها بغير الزواج .. انها بذلك تعيش حياة جديدة تماما فأمامها مسئولية البيت ، ولابد لها من أن تعنى بزوجها وأن تربى

اولادها ... هناك اشياء كثيرة يمكن ان تغير عاداتنا ، وانمنى لك ذلك من كل قلبى ، ولكن يبدو لى ان الاحتمال قليل فى أن تتزوجى ما بين يوم وليلة ، ولهذا لا ارى كيف يمكن ان تتغير حياتك لا لشىء الا لأنك تريدين ذلك .

قالت كارلا فى انفعال : ولكن هناك أحداثا أخرى غير الزواج يمكن ان تغير حياة المرء ، فقد التقى اليوم مثـــلا بمدير شركة سينمائية أمريكية يأسره جمالى فيقدم لى عقدا ... الا تتغير حياتى ما بين يوم وليلة بهذه الطريقة ؟

مطت الأم شفتيها استنكارا ، وقالت : انك تتكلمين كما لو كنت طفلة صغيرة ولا يمكن التفاهم معك ابدا .

قال ليو : كل شىء ممكن .

ـ ماذا تقول ؟ .. هل تقصد ان تغدو ابنتى ممثلة ؟ .. انك لا تدرك ما تقول .

قالت كارلا : لندع المزاح جانبا . اظن أننى فهمت اننا سوف نضطر الى الانتقال من الفيللا والاقامة فى مسكن آخر ... ثم لابد لنا من خفض نفقاتنا . ستكون هذه حياة جديدة ، اليس كذلك ؟

قالت مارى جريس وهى تحدق بعينيهـــا فى عينى عشـــيقها فى صفاقة يائسة :

ـ من قال اننا سننتقل من البيت ؟ .. ســـــنبقى فيه الى ان تتزوجى ، اليس كذلك يا ميروميس ؟

نظر الجميع الى ليو ، وكان هذا الاخير يقول فى نفســه :

« فلتذهب الى الشيطان » . ولكنه لم يشأ أن يتسبب فى شجار، وحرص على أن يكتسب ود كارلا فقال :

ـ نعم ، نعم ، ستبقون .

صاحت الأم فى لهجة الانتصار : ارايتما ؟ لقد وعدنى ميروميس ، ولن يتغير شىء فى الوقت الحاضر .

تمتم الرجل يقول فى صوت خافت لم يسمعه احد « نعم ، فى الوقت الحاضر » . واجتاحت كارلا عنـدئذ ثورة من الغضب مرة اخرى ، ورآها الثلاثة الآخرون وقد احمر لونها ، وهوت بيدها على المائدة فجأة وقالت فى صوت حاد :

ـ اما انا فلا اصدق شيئا من هذا . انك تريدين منى ان اختنق يا اماه ... ولكننى افضل ان اسير الى النهاية والى اســـفل

سافلين . اننى قلت هذا لليو فى اليوم السابق ، وما كدت استيقظ من النوم حتى قلت لنفسى « ان سنة جديدة تبدأ ويجب ان تختلف حتما عن السنة التى انقضت ، لأن من المستحيل ان يستمر هذا .. من المستحيل .

وفجأة تغير لونها من الاحمرار الى الاصفرار ، واحنت راسها واخذت تبكى . ونظر الجميع اليها مرتبكين . ونهضت مارى جريس، ولا ريب ان بكاء ابنتها بدا لها صادقا بما فيه الكفاية لكى تنسى الاتهامات التى سبقته لانها اقتربت منها وقالت :

— ولكن لماذا تبكين هكذا من غير سبب ؟ .. فى يوم عيد ميلادك .. لايجب أن تبكى .

رفعت الفتاة عينيها وقالت وهى تجفف دموعها : انك على حق . ان اليوم عيد ميلادى .

وكانوا قد فرغوا من الطعام فصب ليو النبيذ فى الكئوس ،وتناولت الأم كأسها وقالت : نخب صحتك يا كارلا .

وتلاطمت الكئوس فى ود ، وشرب الجميع نخب كارلا ثم عادوا فشربوا نخب الأم فنخب ميشيل فنخب ليو . وقال هذا الأخير وهو يتحول الى كارلا : لنشرب الآن نخب صحة زوجك المقبل .

اسرعت مارى جريس تقول وهى فى منتهى الابتهاج : سأشرب هذا النخب انا ايضا .

ترددت كارلا . كانت رأسها قد بدات تدور من تأثير الشراب ، واهتزت الاشياء امامها وراحت تختلط بعضها ببعض ، وقالت : جرعة اخرى لا أعى بعدها شيئا . وابتسمت ابتسامة حائرة ورفعت كأسها وهى تغالب غيثانها وشربت . واحست على الفور بأنها قطعت فى سماء السكر شوطا كبيرا . وغمرها فرح شديد واحست برغبتها فى الكلام ، لكى تظهر للآخرين انها ما زلت متمالكة لكل حواسها ، فقالت فى صوت واضح :

— أريد أن اشرب نخب زوجى المقبل طبعا ، ولكن من هو هذا الزوج يا ترى ؟

قالت الأم : الله وحده يعلم من هو .

وقال ليو : لولا اننى اعتبرك كابنتى لتقدمت انا نفسى ... هل تقبلينني ؟

صاحت الفتاة وهى تشير اليه باصبعها : انت ؟ .. انت زوجى ؟..

ولكن (ونظرت اليه لحظة ، ولكن اليس هو عشيق أمها) . ولكنك بدين جدا يا ليو .

صاحت الأم غاضبة : اوه كلا . انه ليس بدينا ابدا ... وأتمنى لك زوجا مثله .

قال ليو فى اصرار وهو يبتسم : اترين ؟ .. سنمضى شهر العسل فى باريس و ...

قاطعته كارلا فى لهجة نائحة : كلا . اننى افضل الهند .

ــ فلتكن الهند اذن ... سأمنحك سيارة وبيتا وكل ما تشائين ، فهل تقلبين ؟

نظرت كارلا اليه وقد شوش السكر أفكارها . لماذا يتكلم ليو هكذا ، ربما لكى يهزأ من أمها ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فيجب أن تضحك . واجابته أخيرا : عنى انا ليس لدى اى مانع ، ولكن لابد من موافقة امى أولا .

قال ليو وعلى ملامحه نفس الابتسامة الهادئة : حسنا يا سيدتى ، هل تقبليننى صهرا لك ؟

وراقت هــذه المهزلة للأم وهى تحت تأثير الشراب فابتسمت وقالت : ولكن ، هل تشغل وظيفة طيبة ؟

اجاب ليو فى تواضع : انا موظف فى وزارة العدل ، واتقاضى مرتبا قدره ثمانمائة فرنك فى الشهر ، ورؤسائى راضون عنى ، وسوف أنال ترقية قريبا .

عادت الأم تقول وهى تغالب ضحكها : واسرتك ؟

ــ ليس لى أسرة ... اننى وحيد فى العالم .

ــ هل يمكنك اسعاد ابنتى ؟

قال ليو وهو ينظر الى كارلا مليا : طبعا .

قالت مارى جريس اخيرا وهى لا تملك نفسها من الضحك : ما دام الأمر كذلك فتزوجا على بركة الله .

وقالت كارلا دون اى مرح : فلنتزوج يا ليو .

وضحك ليو وقال : يبدو لى ان التجــربة العامة سارت على ما يرام ، وليس امامنا الآن الا ان نبحث عن الزوج الحقيقى .

وتناول الزجاجة الثانية وملأ كأس كارلا وهو يقول لنفسه : يجب ان تشرب وان تفرط فى الشراب .

وقال فى صوت مسموع : والآن . نخب المدام .

اخذت كارلا كأسها بيد مضطربة وشربت . وعندئذ . وفجأة اجتاحها الخوف وادركت انها سكرى ، فقد دارت راسها وجفه حلقها واختلطت الأشياء امام عينيها . وفي الامكان القول بأنها فقدت الوعي والادراك منذ هذه اللحظة فلم تعد ترى أو تسمع شيئا ما . بدت لها الاواني الفضية والزجاجية التي فوق المائدة شديدة الوضوح واللمعان بحيث آلمت عينيها وأصبحت وجوه الجالسين جامدة قاسية القسمات بحيث بدت كالاقنعة . كانوا يتكلمون حولها ولكنها لم تستطع ان تفهم كلمة واحدة مما يقال على الرغم من محاولاتها وفكرت تقول : « انني الآن سكرى ، فكيف استطيع التحدث الى ليو في الحديقة » واستبد بها الخوف وندمت لأنها افرطت في الشراب وودت لو ان تبكي .

وكانت الزجاجة الثانية قد فرغت فقال ليو في مرح : اننا اتينا على الزجاجتين . مرحى يا كارلا . ولكن ما الخبر ؟ .. هل تحسين بدوخة ؟ .. خذي سيجارة .

اخذت السيجارة وراحت تدخن في صعوبة كبيرة ، ولكن حالتها لم تزد الا سوءا فتهاوت راسها فوق المائدة وخيل لها انها ستموت .

واذ رات امها ذلك نظرت اليها في استهجان وقالت : اخرجي الى الحديقة . سوف ينعشك الهواء .

نهضت ، ورات على الفور انه سيتعذر عليها ان لا تقع ، فقد راحت الغرفة كلها تدور حولها ، واستطاعت بشق النفس ان تخرج من الغرفة وتختفي في البهو . وقالت الأم :

– انها غير معتادة على النبيذ .

ضحك ليو واخذ الزجاجة وصب القطرات التي فيها في كأس كارلا وقال وهو يلتفت الى الشاب : نخب صداقتنا يا ميشيل .

ولكن ميشيل لم يجب وانما اطرق براسه وقد اجتاحه تقزز كبير مشوب بوخز الضمير والمهانة ، فقد سخر ليو منه وانتصر عليه واخذ نقوده كما اخذ امه واصبح هو خاوي الوفاض لا يملك شيئا الا الرضوخ للواقع .

فرغت الزجاجتان : واخذ دخان السجائر يتبدد وتسلك نور أبيض هادىء من خلال السحب وعادت الأم في غبائها وغيرتها الهوجاء الى شجارها القديم وقالت :

– لماذا لا تشرب نخب الصديقة البعيدة .

واردفت تقول فى لهجة يرثى لها : البعيد عن العين بعيد عن القلب .

اما ليو فقد اضطجع فى مقعده الى الخلف وقد اثقل عليه الطعام ولم يجب ، وراح ينظر بعين كئيبة وقد خيم على المكان صمت ثقيل لم يكن يقطعه غير صوت جهاز التدفئة وهو يدور فى الطـــابق الارضى .

الفصل السابع

انتقلت كارلا من الطرقة الى البهو . كان كل شيء يتحرك ويدور حولها .. هذه الستارة ، حيث اختبأت خلفها امس مع ليو .. تشبثت بها حتى لا تقع ، ثم خرجت وهبطت السلم درجة بدرجة . وكان يخيم بالحديقة التى تقع خلف الفيللا صمت قاتل ، وهنـــاك جلست فوق مقعد خشبى واخذت راسها بين يديهـــا وهى تحس بتوعك لم يسبق ان احست بمثله من قبل . وبقيت هكذا نحو عشر دقائق ثم احست بيد تلمس كتفها ففتحت عينيها ، واذا بها ترى ليو واقفا امامها .

قال : ماذا بك ؟ .. ولماذا تمسكين راسك هكذا ؟

رفعت عينيها اليه . كان يقف ومعطفه فوق ذراعه وسيجارته بين شفتيه ، ووقفت فى استرخاء ، وما كادت تفعل حتى تشبثت به بكلتا يديها قائلة :

– لست على ما يرام . امسك بى جيدا . لماذا حملتنى على ان اجرع كل هذا الشراب ؟

اجاب ليو : ولماذا شربت انت ؟

قالت وقد انفكت عقدة لسانها فجأة : اننى شربت لكى لا اراكم .. انت وامى وميشيل . ولكن لو اننى عرفت ان الشراب سيضر بى هكذا لما شربت .

قال ليو فى صوت قوى أثار دهشته هو نفسه : كفى عن هذه الحماقات . انك شربت لأنه طاب لك ان تشربى .

رآها تبتسم فى غموض وسألته فى لهجة ودية : لعلك تعتقـــد اننى احبك .

وتبادلا النظر ، كارلا فى جد وبجنون السكر فى عينيها الصافيتين، وهو بعينيه المضطربتين واللتين تبدو فيهما الشهوة والسخرية فى نفس الوقت . وفجأة خفض ذراعه وامسكها من خصرها فى غلظة ، فأطلقت ضحكة حادة ، وراحت تقاوم محركة ساقيها فى اضطراب

أقرب الى عدم الحياء وصاحت تقول وهى تضحك : ليو .. ليو ، لا تنظر الى هكذا ... دعنى .

وكتمت الاغصان المتشابكة صوتها . وكانت ترى أثناء تحركاتها والتواءاتها وجه الرجل المحتقن لفرط الشهوة والرغبة التى يحس بهما ، ولم تدر هى نفسها لماذا تقاومه هكذا ، واخيرا تغلب ليو عليها وضمها اليه . ونظر لحظة الى عينيها اللتين تجلى فيهما الخوف والى فمها المفتوح ثم انحنى فوقها وقبلها .

وافترقا . وتقدما مرتبكين ، بضع خطوات بين الاغصان ، وفجأة توقفت كارلا وضغطت على ذراع رفيقها ، وتمتمت تقول : ليو ... لا يجب ...

ولكنها امسكت فجأة ، فقد انسابت هذه العبارة من بين شفتيها دون وعى منها . وقال ليو : حسنا . ما هذا الذى لا يجب ؟ .. ولكننى أعرف ذلك جيدا ، وقد وقع المحظور على كل حال .

ودفعها الى الأمام وهو يقول : سيرى بضع خطوات أخرى .

وبلغا آخر الحديقة ، وهناك أفضى بهما الطريق الى منحن فى آخره كوخ صغير تـكاد الأغصان المتشابكة تخفيه عن الأنظار ، ولم يكن يبدو منه غير باب معوج تظاهر ليو بالدهشة وهو يراه وقال :

ـ ما هذا ؟

ـ انه بيت البستانى ؟ .. وهل يقيم البستانى فيه ؟

ـ كلا .

عاد ليو يقول كما لو ان شيئا خفيا جعله يستطيب هذه الكلمات ! بيت البستانى ؟ .. حسنا ، هلمى بنا لزيارته .

ضحكت كارلا . كان كل ذلك يبدو لها سخيفا ، ولكنها اطاعته . ودفع ليو الباب فاذا بهما على عتبة غرفة منخفضة السقف ، وهى الغرفة الوحيدة بالبيت .. ارضيتها من الخشب يعلوها الغبار وجدرانها عارية ، بها فراش من الحديد فوقه مرتبة ممزقة ، وامامه فى ركن من الغرفة ركيزة من المعدن ذات ثلاث قوائم فوقها طست يعلوه الصدأ . وراحت كارلا تتأمل كل هذه الاشياء كما لو كانت فى حلم . وبلغ غثيانها حدا لا يطاق . وودت لو ان تعود الى الفيلا وان تستلقى فوق اريكتها . ولكنها استسلمت لسـكرها ، وثنت ركبتيها وجلست فوق الفراش الحديدى . وتأوهت قائلة :

ـ لماذا ... لماذا جعلتنى افرط فى الشراب ؟

ونظرت الى الالواح الخشبية وقد تهدلت خصلات شعرها فوق عينيها وامتلأ فمها باللعاب . وجلس ليو بجوارها وهو يقول : « هذه هي اللحظة المناسبة » . وطوقها بذراعيها قائلا : « كوني عاقلة » اذا كنت قد شربت فذلك لأنك أردت . ومع ذلك فهذا امر لا أهمية له .

وسحبها من كمها وقبل كتفها العاري وهو لا يحول عينيه عن جيدها وصدرها المكشوف . وامسك بها فجأة والقاها فوق الفراش ، وقاومته وهي تقول « دعني » ولكن مقاومتها لم تجد وانهكها الجهد . وفي فتور غريب كفت عن كل مقاومة ، ومن سقف الغرفة الذى راحت تحدق فيه بعينيها الذائفتين والمتألمتين رات وجه ليو يهبط نحوها كما لو كان نيزكا . وهبطت القبلة على عنقها وانزلقت على ذقنها ثم استقرت أخيرا على شفتيها .

وفكر ليو « آه .. يا للصغيرة الجميلة ! » وانحنى لكى يقبلها من جديد عندما رآها ترفع راسها مذعورة وقد شحب لونها مصدرة اصواتا من حلقها وقد اطبقت شفتيها فى قوة ، واطلقها عندئذ وارتد خطوة الى الوراء . وجلست كارلا فوق الفراش واشارت بعينيها وذقنها الى الركيزة الموجودة فى ركن الغرفة . وفهم ليو وامسك بالطست وجاءها به فى الوقت المناسب فقد اندفع من فمها المفتوح سائل كثيف متعدد الألوان يتصاعد منه الدخان . وتوقف لحظة ، وارتجفت بطنها المضطربة ثم عاد السائل يتدفق من جديد . وراح الرجل يتأملها فى غضب وهو ممسك بجبينها ويحدث نفسه قائلا : انا السبب ، فأنا الذى دفعتها الى الشراب ، ولا داعى لأية محاولة فلم يعد هناك ما يمكن عمله الآن . ونظر اليها وهو يكاد ينفجر من الغضب ، فقد كانت فتاة أحلامه امامه مستسلمة على استعداد لبذل نفسها له ، وفكر يقول : « لو اننى لم احملها على الشراب لكانت ملكى الآن » .

وبعد ان افرغت كارلا ما فى بطنها ابعدت الطست عنها ، فأخذه الرجل فى اشمئزاز ووضعه فوق الركيزة ، ثم تحول ونظر الى الفتاة . كانت لا تزال عارية ، جالسة على حافة الفراش ، مطرقة الرأس . وقال : بماذا تشعرين الآن ؟

— لست على ما يرام .

ونظرت الى الارض وهى تحرك فى فمها لعابا حامضا . وكان بصرها

يتعلق احيانا بثيابها المشوشة فوق بطنها النصف عارية . وبدأت تشعر بالبرد ، وعصف بها تقزز ونفور كبيرين وراحت تقول لنفسها « انتهى كل شيء » ورفعت رأسها في رفق ونظرت الى ليو بعينين مغرورقتين ولم يسعها الا ان تسأله قائلة : والآن ؟

أجابها الرجل في غضب مكبوت : البسي ثيابك ولننصرف .

ونهض ، وراح يمشي جيئة وذهابا وهو ينظر من وقت لآخر الى كارلا وهي ترتدى ثيابها . وعادت الرغبة تتولد فيه من جديد ، وساءل نفسه اكثر من مرة اذا لم يكن من الأوفق أن ينتظر حتى تتغلب الفتاة على وعكتها لكي يعاود الهجوم . ولكنه لم يلبث ان راى انها فرغت من ارتداء ثيابها فقال في نفسه محنقا « كلا . لقد زال السحر ولم يعد هناك ما يمكن عمله اليوم » . واقترب من الفراش وقال :

ــ كيف حالك الآن ؟

اجابت : احسن .

وخرجا من البيت دون أن يتلامسا . وفى الخارج كانت الاوراق الميتة تطقطق ، وقال ليو : آه . انها تمطر .

وأزعجه صمت كارلا فحاول أن يتظاهر بالمرح . وكان الهواء تحت الاغصان هادئا وخانقا ولكن الماء راح يتساقط عند قدميهما مع كل خطوة وعاد ليو يقول :

ــ هذا غريب . ان الطقس لا يتغير هذه الايام ، فهو جميل فى الفجر ومكفهر فى النهار ثم يبدأ المطر من بعد الظهر حتى الليل .

لم تنطق كارلا بكلمة فسألها : سنلتقى مساء الجمعة طبعا ؟

توقفت كارلا . كانت تريد ان تجيبه قائلة : لن نلتقى بعد الآن ابدا ، ولكن خاطرا حبس الكلمات فى حلقها ، وقالت لنفسها « يجب ان امضى حتى النهاية ... حتى النهاية » وعادت تمشى من جديد ، وقالت وهى تطرق براسها الى الأرض : ربما ... لا ادرى .

واذ بلغا آخر الممر توقفا من جديد ، وقال الرجل وعلى شفتيه ابتسامة وهو يضغط على ذراعها : حسنا ... ما أجملك حتى وانت مريضة !

وتبادلا النظر . كانت لا تزال مضطربة من تأثير الشراب . وربت ليو بيده على صدغها وقال : يا لك من صغيرة حمقاء ... ما كان يجب أن احملك على الشراب .

ثم جذبها اليه واستطرد يقول : فلنتعانق ولننس كل هذا .
وتعانقا . ثم انفلتت كارلا بين الاشجار واسرعت راكضة ، تحت المطر ، ولم تلبث ان اختفت خلف زاوية البيت . أما ليو فقد سار نحو الباب الحديدى للحديقة وهو يقــول لنفسه : يا له من يوم ردىء ، وما أسخفه ! وكان المطر يتساقط وابتلت الارض . وانطلق ليو وهو ساخط فان حفلة كارلا كلفته خمسمائة ليرة ، وجاءت هــذه الخمر الخادعة فأنهت مغامرته معها بطريقة سخيفة ومقززة . وفكر محنقا : « لم تكن كارلا تريد شيئا آخر ، ولم تكن هناك اية حاجة لكى أسكرها ، وعلى الآن أن ابدأ من جديد » .
وكان قد خرج الى الشارع عندما تذكر ان ليزا طلبت منه مساء الأمس أن يزورها فى النهار . وبدت له فكرة عودته الى عشيقته القديمة سخيفة فى بادىء الأمر ، فلم يكن يطيب له ابدا ان يرجع الى الطرق التى سبق له ان سلكها ، وبدت له هذه الزيارة مبتذلة . ولكن كان لابد له من ارضاء شهوة الجنس التى أيقظتها كارلا فيه ، وراح يقول لنفسه وهو يسير تحت المطر « اذا لم ارض حاجتى فاننى سأنفجر » .
ووضعت هذه الفكرة اجنحة فى قدميه ، فاستقل سيارة ومضى بها الى بيت ليزا ، وصعد السلم وهو يتذكر فى شىء من الرضا عدد المرات التى ارتقاه ، منذ عشر سنوات . ودق الجرس ، وما ان فتحت ليزا الباب حتى قالت دون تفكير : آه ... أهو انت ؟
وجلست ، ونظرت اليه كما لو كانت تريد ان تسأله عن سبب زيارته فقال مشدوها : أما كنت تتوقعين حضورى ؟ .. ومع ذلك فقد جعلتنى أعتقد العكس بالأمس .
قالت وهى تشد جونلتها فوق ركبتيها : كان ذلك بالأمس وكان الوقت ليلا ، ولم اكن ادرى ما اقول .
قال يحدث نفسه : انها ماكرة وتتمنع لكى تزيدنى وجدا على وجد .
وادنى مقعده منها وقال : ولكننى كنت مقتنعا بأنك لا تهزلين .
قالت فى حدة : لعلنى غيرت رأيى ، وربما وقعت امور وامور ما بين الليل والنهار . ثم ان لديك مارى جريس ، فكيف تحفل بى ؟
— ان كل شىء قد انتهى بينى وبين هذه المرأة ، واننى احفل بك

الآن بالذات ، وقد جئت لكى أقول لك فلننس الماضي ولنتصالح .
وبسط يده الى ليزا ، فنظرت اليه ثم الى يده وقالت : نتصالح ؟ .. ولكننا لسنا على خصام .
قال ليو : آه . دعك من هذا الكلام ، فلا جدوى منه ، وارجوك الا تتظاهرى بالبراءة ، ولا تكونى بلهاء . انك تفهمنى غرضى تماما ، وقد تكلمت فى وضوح ، وعندما قلت لك فلننس كل شيء عنيت كل شيء حقا . نتصالح ؟ ولم لا ؟ اننى لأفعل طواعية ... أعنى ان نبدأ كما كنا من قبل . اننى لا أتكلم فى غموض . والكلمة لك الآن .
نظرت اليه مليا . ارادت ان تقول له ان الأمر بينه وبينها قد انتهى الى غير رجعة ، وانها تحب رجلا آخر يبادلها حبا بحب ، الا انها رات ان تماشيه حتى النهاية فقالت :
ــ ولكن من الذى يضمن لى انك تحبنى حقا ، وان حبك هذا ما هو الا نزوة عابرة تعود بعدها الى مارى جريس ؟
قال الرجل وهو ينظر اليها بعينين ملأهما الشهوة والرغبة العارمة : كلا . اننى لن أعود الى مارى جريس لان كل شيء بيننا قد انتهى .
والقى يده على كتفها ، وأدنى وجهه من وجهها ، ولكنها حاولت أن تتخلص منه قائلة :
ــ آه . كلا . دعنى ... لا احب ان يلمسنى أحد .
قال ليو فى بطء ، وهو يزداد اقترابا منها بوجهه : ولكنك كنت تحبين ذلك فيما سبق .
ــ ربما . ولكننى لم اعد كما كنت فيما سبق ... دعنى .
وحاولت أن تتخلصى منه من جديد فصاح : آه ... هذا هو الامر اذن !
ونهض فجأة ، وانحنى فوقها وأمسكها من شعرها وطوحها الى الخلف لكى يقبلها ، ولكن ليزا اسرعت فوضعت يدها فوق فمها فقال : كفاك تمنعا .
بدا له انها وضعت يدها فوق فمها امعانا لاثارته وانه أوشك ان ينتصر وان يتغلب عليها ، ولكن المرأة عصف بها غضب اعمى فجأة فرفعت يدها عن فمها وصاحت محنقة : قلت لك دعنى .
غير ان الرجل انتهز هذه الفرصة واكب على شفتيها . وتحملته

قبلته وهى متوتره فى محاولتها للتحرر منه . واخيرا دفعته عنها فى غلظة بحيث فقد توازنه ووقع فوق المقعد .

ونهض ورتب هندامه وهو يقول : ولكن فيم هـــذا التصرف الأحمق ؟ الم نتفق على المصالحة ؟

اشارت الى الباب فى حركة مسرحية وقالت : اخرج .

امسكها ليو من شعرها فى غلظة ، ودفع المقعد بقدمه واخذها بين ذراعيه . ومرت بضع لحظات وهى تحاول التخلص منه ، وهو يحاول اعاقة حركاتها . وافلحت فى التخلص منه اخيرا ، واسرعت راكضة نحو الباب ، واعتمدت بظهرها عليه وصاحت تقول :

ـ اخرج .. اخرج والا صرخت فى طلب النجدة .

واصطبغ وجهها وتشوش شعرها ، وتهدل ثوبهـا عند كتفيهـــا واعتمدت بيديها على الباب وراح صدرها يعلو ويهبط وعادت تقول : اخرج من بيتى .

ولكنها احست بأن شخصا يدفع الباب من الخارج محاولا الدخول فقالت دون ان تلتفت : لا داعى يا ماريا .. اننى لست بحـــاجة اليك .

واجابها صوت رجل من الخارج يقول : افتحى ... انا لست ماريا .

انسحبت ليزا بحركة آلية ، فانفتح الباب ودخل ميشيل .

كان ممسكا بقبعته فى يده ويرتدى معطفا بلله المطر . ونظر الى ليزا المشوشة اللاهثة والى ليو الذى احمر وجهه وسرعان ما ارتسمت فى ذهنه صورة لما حدث .. اقبل ليو ليجدد علاقته بها ولكنها صدته ... وتجنب التصرف نتيجة لذلك ، بل انه احس احساسا مبهما بأنه يجب ان يغتنم هذه الفرصة لكى يقطع علاقته بليزا نهائيا ، فقد كان هذا هو التصرف الوحيد الذى تمليه مثل تلك الظروف ، وقال فى صوت واه حاول ان يجعله ساخرا : معذرة . كنت قـد قررت الا اعود ، ولكننى عدت . اننى ازعجتكما فألف معذرة .

ثم انحنى انحناءة متوترة مضحكة ، واستدار على عقبيه وخرج . وهدأ ظهوره وخروجه من انفعال ليو فابتسم وقال :

اهذا هو الحب الكبير يا ليزا !

اومات براسها ان نعم وهى مذهولة مكتئبة . وفجاة لم تحتمل فكرة رحيل ميشيل من غير ان يودعها ، ربما الى الابد ، فأسرعت

الى النافذة وفتحتها على مصراعيها واطلت منها على الشارع . وكانت السماء تمطر ، ورات ميشيل يمشى فى هدوء على الرصيف المقابل مرتديا معطفه الاخضر فنادته قائلة : ميشيل !

وراته يدير ظهره وينظر اليها فى استغراب ، ثم يعاود سيره فصاحت فى صوت أقوى « ميشيل » . وفى هذه المرة اشار الفتى بيده مودعا . واذ رات ليزا ذلك غادرت النافذة ، وكان ليو لا يزال واقفا فى منتصف الغرفة يتأملها ، فقال فى رفق كاذب :

ـ انه سيعود فلا تقلقى .. اننى اعرفه فهو من ذلك النوع الذى لا يستقر على حال ، ولك ان تطمئنى .

أثارها صوته واهانها وادماها . ومشت في وقار كبير وقرعت جرسا مثبتا فى الحائط ، اقبلت الخـــادمة على اثره . فقالت تخاطبها :

ـ ماريا ... شيعى السيد الى الخارج .

كانت هذه هى النهاية ... نهاية مبتذلة مثيرة للسخرية . ومشى ليو نحو الباب وهو يغمغم فى سفالة : حسنا ... اننى خارج يا ليزا .. اننى خارج ، وتحياتى الى ميشيل .

وانعش المطر روحه ففتح مظلته وسار بضع خطوات دون ان يفكر فى شىء ، وعندما بلغ آخر الشارع انعطف الى ميدان كبير وقفت فى ناحية منه عند محطة الاوتوبيس جماعة من الناس فاقترب منهم وراى بينهم ميشيل ، فبادره يقول :

ـ آه ... اهذا انت ؟

اجابه الشاب وهو ينظر اليه فى ضجر : نعم . اننى انتظر .

وساد صمت قصير قطعه ليو بأن قال : حسنا . اننى عائد الى بيتى . سأصطحبك معى فى التاكسى ... تاكسى !

وقبل ميشيل الدعوة ، وفى سيارة الاجرة ، كان ليو اول من تكلم فقال :

ـ هل يمكننى ان اعرف لماذا انصرفت ؟ الم تفهم انها لم تكن تريد شيئا اكثر من بقائك معها .

لم يجبه ميشيل على الفور ، وراح ينظر من خلال نافذة السيارة الى واجهات البيوت المبتلة ثم قال اخيرا : اننى متأكد من ذلك .

ـ لماذا لم تبق اذن ؟

ـ لأننى لا احبها .

ابتسم ليو وقال : ولكن هل تعتقد انه لابد للمرء من أن يحب المراة التى يعاشرها .

اجاب ميشيل فى لهجة جادة دون أن يلتفت اليه : نعم ، أعتقد ذلك .

تمتم ليو يقول : اوه ، فى هذه الحالة ... انا مثلا ، التقيت بعدد من النساء لم احبهن ، وليزا نفسها عاشرتها دون أن أحبها ، ولم اندم على ذلك . وانما استمتعت كثيرا . انها امراة لا يستهان بها ... سمينة ولكنها صلبة العود .. ثم انها تستطيع ان تمنحك ما لا تستطيع أن تمنحه لك اية واحدة من هؤلاء الفتيات الصغيرات ... انها امراة شبقة ... امراة حقيقة ناضجة ... ومن ناحية اخرى ، لا يمكن ان تجد عشيقة مثلها ، لها بيت تستقبلك فيه ، تدخله وتنصرف منه دون أن تجد من يعترض طريقك ، ولست مضطرا الى ان تختلف واياها الى احد هذه الفنادق الصغيرة التى قد يجد فيها شاب مثلك لم تصقله التجارب بعد ما لا تحمد عقباه . أضف الى كل هذا ان ليزا لن تكلفك سنتيما واحدا ، فماذا تريد أكثر من هذا ؟

فكر ميشيل فى حزن ان كل هذا صحيح ، واخذ يتساءل ماذا عساه يفعل فى حين استطرد ليو يقول :

ــ لا تتردد يا عزيزى . ان الأمر اسهل بكثير مما تظن ، وليزا لا تنتظر غيرك . عد اليهـــا الليلة ، وسوف تستقبلك بذراعين مفتوحين .

ــ على اذن ان أتظاهر بأننى احبها و ...

قاطعه ليو يقول : ولكن من الذى يجبرك على التظاهر ؟ .. انها على استعداد لان تضاجعك وهـــذا هو المهم ... اقبل واغتنم الفرصة .

وبقى ميشيل يفكر وأخيرا قال : انزلنى هنا .

وتوقفت سيارة الاجرة ، وهبط ميشيل منها ، وخاطبه ليو قائلا : اعمل بنصيحتى وامض الى ليزا .

وذكر عنوانه للسائق بعد ذلك ، وبلغ بيته بعد دقائق . وكان جالسا فى مكتبه يرتب بعض أوراقه عندما صلصل جرس التليفون فأمسك بالسماعة وسمع صوتا يقول : مع من أتكلم ؟

وعرف فى الصوت صوت مارى جريس فقال : هنا رقم ٣١٤٩٦ ،

فعاد الصوت يقول : هل اتكلم مع مسيو ميروميس ؟ .. انا مارى جريس . ان كارلا لا تريد ان تذهب لكى ترقص فى الرتيز ، فهل تأتى معنا ؟

اجاب : ليكن .. سأكون لديكم بعد نصف ساعة .

وفرغ من تحرير رسالته ثم كتب رسالة أخرى دون ان يتعجل ، ولم يكن لديه اية أعمال حقا ، وكان كل نشاطه مقتصرا على ادارة املاكه وبعض المضاربات العاقلة ، ومع ذلك فقد كانت أمواله تزداد سنة بعد سنة ، فقد كان ينفق ثلاثة أرباع دخله ويستخدم الربع الباقى فى شراء الشقق وبيعها . وبعد ان فرغ من خطاباته مضى الى مخدعه وحلق ذقنه ثم استبدل ثيابه ، ولم تمض نصف ساعة أخرى حتى كان يطرق باب آل اردنجو .

وكانت كارلا جالسة فى الصالون ، وكانت ترتدى ثوبا خفيفا وردى اللون ، وقد تجملت استعدادا للخروج ، وقالت :

ــ ستأتى أمى حالا .

قال ليو وهو يجلس هو الآخر ويفرك يديه : حسنا ، وانت ؟ كيف حالك ؟

ــ لا بأس .

وساد صمت قصير ، واخذ ليو يد الفتاة وطبع عليها قبلة قائلا : حسنا . ماذا نفعل ؟

اجاب : سوف نرقص ، وسوف تتناول العشاء معنا الليلة ، اليس كذلك ؟

ــ العشاء ؟ .. ربما لا .. ولكننى سآتى بعد العشاء حتما .

وتناهى الى سمعهما صوت أبواب تفتح ، فسحبت كارلا يدها على الفور ، ودخل ميشيل وصاح يقول فى مرح مصطنع : أوه ... ما هذه العظمة ! .. طاب مساؤك يا ليو ؟ .. اين تذهبون ايها القوم الأثرياء السعداء بكل هذه الأناقة .

اجابت كارلا كما لو كانت فى حلم : سنذهب للرقص .

جلس ميشيل وهو يقول : الرقص ؟ .. سآتى معكم اذن ؟ هل تدعينني ؟

ــ ان ليو هو الداعى .

ارهف ليو اذنه وقال يحدث نفسه : على اللعنة اذا كنت قد دعوت احدا ما .

وقال ميشيل محتجا : لا اريد أن اثقل على ليو ، فما زال معى ثمن الشاى .

واسرع ليو يقول تحت نظرة كارلا : ما هذا القول . اننى انا الداعى ، وسأدفع عن الجميع .

ولزموا الصمت لحظة ثم قالت كارلا : ستأتى معنـــا يا ميشيل اذن ؟ .. ولكن امض واستبدل ثيابك اولا .

وما أن اغلق الباب خلفه حتى تمتمت تقول : اننى حزينة .

ــ لماذا ؟

ــ لا أدرى .

ونظرت الى النافذة ، وكان المطر لا يزال يهطل فى الخارج ، وقالت : ربما بسبب الطقس .

ومالت رأسها فى وهن نحو الرجل ، فأخـذها هـذا الاخير بين ذراعيه وطبع قبلة على شعرها فقالت فى هدوء وبدون حياء : سوف ترقص معى . ومعى وحدى ، وسوف تترك امى فى مقعدها .. عليها أن ترقص مع غيرك .. أو مع ميشيل .. ولم لا ؟

وضحكت ضحكة جافة ، وبدا كأنها كبرت سنة .. نعم .. كانت هذه هى النهاية . وتعانقا ، ثم قال ليو فى هدوء :

ــ ستأتين عندى الليلة .. أليس كذلك ؟

ــ عندك ؟ .. أين ؟

وامتقع وجهها فى حين اجاب هو : فى بيتى طبعا .

ونظر اليها ، ورآها تتردد وتحنى رأسها كما لو كانت تبحث عن شىء فوق الأرض . وقالت اخيرا : كلا .. هذا محال .

ولزما الصمت ، وراح ليو يتأملها . اثاره صدرها الذى راح يعلو ويهبط تحت ثوبها ، واضطرم وجهه وراح يفكر قائلا : « لسوف تكون عشيقة رائعة » . وتوترت شفتاه لفرط الرغبة ، وامسك كارلا من خصرها وقال :

ــ يجب ان تأتى .. يجب ان تأتى حتما .. والا .. والا فكيف يتسنى لك ان تبدئى حياة جديدة ؟

نظرت اليه هى الأخرى وهى تفكر قائلة : « انه لا يبحث الا عن لذته . انه على حق . والحياة الجديدة ؟ » وادركت انه لـكى تغير حياتها لابد لها من أن تدمرها دون اية رحمة ، بيد ان فكرة

ذهابها ليلا الى بيت غريب سبب لها نفورا ودعرا ، وقالت فى بساطه زائفة :

— افضل ان يكون ذلك بالنهار . سآتى ذات يوم وسنتناول الشاى معا ... ونتبادل الحديث .

قال ليو : ليس الشاى ما اريد وانما اريدك أنت سأنتظرك فى الشارع بسيارتى ، وسأعود بك قبل طلوع النهار ... وسوف ترين ... ستقبلين بحيث تعودين كل ليله .

قالت فى شيء من الدعر : كلا .. كلا .. يجب ان يكون كل شيء واضحا قبل اى شيء آخر .

وفكرت . « كل ليله ! » .

وقال ليو : اننى واثق انك ستأتين .. اليس كذلك ؟

تشبثت بحجة اخيرة فقالت : ولكننا لم نتحاب الا منذ يومين ، فلماذا لا ننتظر قليلا .. الا تظن ان لكل امراة كبرياؤها .

اسرع ليو يقول : طبعا يا حبيبتى ... سأنتظرك اذن .

ولكنها ترددت مره اخرى وعقدت حاجبيها ، وقالت اخيرا : سأقول لك أثناء الرقص .. نعم ، اثناء الرقص .

قال ليو يحدث نفسه « الحمد لله » وقبلها .

واقبلت مارى جريس على اثر ذلك وقالت : حسنا يا ميروميس .. هل نخرج ؟

اجاب وهو ينهض : نعم . فلنخرج . اننا على استعداد .

ونهضت كارلا هى الاخرى ، وتقدمت للقاء امها . وقالت لها هذه الاخيرة وهى تفحصها من اعلا راسها الى اخمص قدميها : لماذا لم تأخذى الكيس الذى اهداك ميروميس اياه ؟ انه يتلاءم تماما مع هذا الفستان .

قالت كارلا : سأذهب لكى آتى به ثم اعود .

وخرجت ، وصعدت الى غرفتها راكضة . كان الكيس فوق طاولة الزينة ، وكان انيقا حقا ويدل على ذوق سليم . وفيما هى تضع يدها عليه خطر ببالها ان هذه الهدية انما هى الاولى من هدايا كثيرة . ووقفت مذهولة وهى ترى نفسها بعين الخيال جالسة فوق ركبتى ليو يلاطفها ويداعبها . سوف يصطحبها الى محلات الازياء الراقية ويشترى لها كل نفيس وغال . وسوف يكون كل هذا جذابا . وسوف نمتلك ايضا سيارة وبيتا ومجوهرات ، ونسافر

وترى الناس والبلدان .. صفوة القول ، سوف لا تقف عند حدود نشاطها الخاص ورغباتها الخاصة . يا له من حلم جميل ! وابتسمت على الرغم منها وهى تفكر فى كل هذا ، ولكنها لم تلبث ان سرت فى بدنها قشعريرة فجاة فقد رات فوق عنقها بقعة صغيرة حمراء . ولم تفهم معناها فى بادىء الأمر ، وراحت تحكها باصبعها ، ثم تذكرت اخيرا ان ليو قبلها منذ لحظات فى الصالون ، وتملكها خوف كبير خشية من أن تكون أمها قد راتها ، واخذت بدارتها وراحت ترش المسحوق فوقها ، وفيما هى تتلوى امام المرآة لكى ترى اذا كانت البقعة قد اختفت بدت لها دعوة ليو بأن تذهب الى بيته الليلة مرتبطة بتلك الهدايا والازياء التى تتمناها ، وقالت تحدث نفسها فى فزع مصطنع : يا الهى ! .. اهذه هى حيـــاتى الجديدة ؟ ولم تجد متسعا من الوقت لمزيد من التفكير فقد تناهى الى سمعها ، من الحديقة صوت بوق السيارة وهو يستعجلها فأسرعت بالهبوط .

وكان البهو مظلمـــا فاجتازته وهى تتحسس طريقها وفتحت الباب ، واستقبلتها أصوات فرحة من أمها ومن ليو وميشيل . وكانوا ينتظرونها فى السيارة . وكان المكان غارقا فى الظلام ، ولم تميز كارلا الا السيارة من بريق معدنها الذى كان يلمع فى جوف الليل ومن مصباح باهت يلقى بضوئه داخلها . وسعدت كارلا وانطلقت السيارة .

ولم ينطق احد من الاربعة بكلمة واحدة طوال الرحلة . وبلغوا فندق الرتيز بعد لحظات . وكانت تقف أمامه وحوله بضع مئات من السيارات . ومروا أمام غرفة الثياب ، وكانت تعج بالمعـاطف المرقمة . واجتازوا بضعة صالونات مقفرة افضت بهم الى صالة الرقص . وكانت هناك ، بجوار الباب ، منضدة صغيرة يجلس امامها رجل يبيع تذاكر الدخول . ودفع له ليو ودخلوا جميعا .

وقالت الأم فى اعجاب وهى تردد البصر حولها : ان المكان شديد الازدحام . ستجدين يا كارلا اننا لن نجد مكانا نجلس فيه .

ومع ذلك ، فقد وجدوا منضدة شـــاغرة فى أحد الأركان ، فجلسوا ، وخلعت مارى جريس معطفها وقالت وهى تردد البصر حولها :

ـ انني ارى من المعارف اناسا كثيرين ... انظرى يا كارلا .. ها هم آل فالنتين .

ـ وها هم آل سانت اندريه يا اماه .

واردفت مارى جريس تقول : وآل كونترى .

وانحنت قليلا نحو ابنتها وعقبت قائلة : وبمناسبة آل سانت اندريه ، اظنك تعرفين انهم قضوا شهرين فى باريس فى رحلة شهر العسل .. حسنا ، عندما سافروا كانت عربة النوم تضم العريس والعروس وعشيق العروس .. انني نسيت اسمه .

ـ جورجيتى ... يا لها من قصة .. انها تبدو قصة خيالية .

وكانت الموسيقى قد سكتت . وعاد الراقصون الى اماكنهم بعد التصفيق . وارتفعت فى الصالة همسات الحديث على الفور . وتحولت الأم الى عشيقها وقالت :

ـ ما رايك فى ان نذهب الى المسرح الليلة لسماع هذه الفرقة الفرنسية .

أجاب الرجل وهو يلقى نظرة سريعة الى كارلا : لا استطيع الليلة ... فلدى موعد فى الساعة الحادية عشرة لا يمكننى التخلف عنه .

قالت الأم فى صوت حميمى وساخر فى نفس الوقت : موعد فى الساعة الحادية عشرة مساء ... قل لى يا ميروميس ، اهو مع رجل أم امراة .

تردد ليو .. هل يثير غيرة مارى جريس أم لا . واخيرا قال : موعد مع امراة طبعا . ولكننى لم أحسن التعبير ... انه ليس موعدا وانما مجرد زيارة ... دعوة للعشاء ... سأتناول العشاء عند سيدة تستقبل بضعة أصدقاء .

سألته الأم فى صوت قاس : ومن هذه السيدة ؟ هل يمكننى ان أعرف ؟

استولت الحيرة على ليو ، فهو لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال . وبحث فى ذهنه عن اسم امراة لا تعرفها مارى جريس وقال اخيرا :

ـ انها مدام سميتسون ... تلك السيدة التى تشتغل برسم اللوحات الزيتية .

ـ مدام سميتسون .. ما هذا القول ؟ .. ولكنها سافرت الى ميلانو منذ خمسة أيام .

صاح ليو : ماذا ؟
واسقط في يده ، وعادت ماري جريس تقول وهي تنفث كلماتها كما لو كانت تنفث السم الزعاف : امض اذن الى مدام سميتسون ... ولكنني أخشى ان لا تستطيع اللحاق بها ، حتى اذا ركبت القطار أو الطائرة .. آه ، يا صديقي العزيز ... ان للكذب سيقانا قصيرة .. ولكن هل تريد أن اقــول لك من هي السيدة التي يجب أن تزورها ؟ . لا ريب انها واحدة من بنات الهوى القذرات .
وما سمعت كارلا هذه الكلمات حتى امتقع لونها بحيث خشي ليو ان يغمى عليها أو ان تنفجر بالبكاء . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . واكتفت كارلا بأن قالت : هلم بنا نرقص يا ليو .
وسارا الى حلبة الرقص ، وكانت كارلا لا تزال ممتقعة اللون . ولكن وجهها كان متسما بنوع من التحفظ المتعالي . وعندما همت بأن تأخذ يده رفعت راسها اليه وقالت في عزم : سآتيك الليلة طبعا يا ليو ، وما عليك الا أن تنتظرني .
وخيل لليو انها تتــكلم وهي تجز على اسنانها فقال : أتعنين ما تقولين حقا ؟
ـ نعم . تماما .
وراحا يرقصان وكل منهما نهب لأفكاره . كان ليو يكاد يطير لفرط الفرح ، ويقول لنفسه : هذه المرة اصبحت لي ... اصبحت لي ... اما هي فقد استولى عليها الارتباك واخذت ترقص على مضض ، فقد كانت تود لو أن تخرج وتجلس في مكان ما وتطبق عينيها . ولكن الراقصين كانوا يدورون حولهــا بدون انقطاع بحيث لم تجد الجراة على أن تنتزع نفسها من بين ذراعي ليو .
وانتهت الرقصة . وعاد الراقصون الى اماكنهم ، ومن بينهم ميشيل وامه ، وكانا يتشاجران . وعادت ماري جريس تقول ساخطة :
ـ هذه آخر مرة أرقص فيها معك .
سألها ليو : لماذا ؟
ـ آخر مرة . تصور ... كان الجميع ينظرون الينا . ومن يدري ماذا كانوا يقولون عنا ... انه كان يرقص .. ماذا اقول ... كان يرقص كما لو كان لصا ..
قال ميشيل وهو يفتصب ابتسامة : وكيف يرقص اللص ؟ .. ومن هو اللص بيننا ؟ اهو انا أم ...

قالت الأم وهى تردد البصر حولها : اسكت .
ولكن ميشيل لم يسكت واستطرد يقول : يبدو لى انه كان يجب ان ارقص كالمسروق .. كرجـــل سلبت منه ثروته واحاسيسه وانفعالاته ولكى تعرفي كيف يرقص اللصوص يجب ان ترقصى مع رجل آخر ... بكل تأكيد .
ونظر الى ليو مليا وعاد يقول : نعم ... مع رجل آخر .
وقف ليو لحظة بين المراتين ، جامدا لا ينطق ، ثم ابتسم اخيرا وقال :
ـ اظن يا ميشيل ان شيئا قد حدث لك حقا . لا يمكن أن يستمر الأمر هكذا ... يجب أن تنصرف يا عزيزى ... أو لعلك تريد ان أنصرف انا ؟
تأوهت الأم قائلة : نعم يا ميشيل .. انصرف .
ولم يسع ميشيل عندئذ الا ان يقول : اذن فأنت تفضلين طرد ابنك بدلا من رجل غريب كليو .
ـ ولكن ليو هو صاحب الدعوة .
ولم يجد الشاب ما يقول بعد هذا فأحنى راسه وتمتم : انت على حق . اننى منصرف . امرحوا كما يحلو لكم ... ان اللص خارج .
وانصرف . وبعد خمس دقائق كان فى بيته . واجتاز الحديقة ركضا ، تحت المطر الـذى ازدادت حدته . وكانت الليلة حالـكة الظلام ، وكان البهو مظلما هو الآخر . والقى مظلته وقبعته فوق مقعد ومضى الى السلم دون ان يضىء النور وهو يتحسس طريقه ، ولكنه حين مر أمام الصالون راى بصيصا من النور من خلال ثقب المفتاح وسمع موسيقى هادئة ففتح الباب ودخل . وكان النصف الاول من الصالون ، حيث يجلسون عادة للحديث مظلما . أما النصف الآخر ، فيما بعد القنطرة الصغيرة فكان مضاء ، وكانت ليزا جالسة امام المعزف تجرى بأصابعها على ملامسه .
وقال ميشيل يحدث نفسه فى ضجر : « انها جاءت لكى تفسر لى موقفها ، كما لو كنت لم أفهم » . وجلس فوق مقعد بعيدا عن النور وقال فى هدوء : اننا ذهبنا الى الريتز ، ولكن تملكنى الضجر فانصرفت .. ثم ، تصورى اننى تشاجرت مع ليو .
مضت اليه وجلست بجواره بقدر ما استطاعت وقالت : ولماذا ؟ .. لعلكما تشاجرتما بسببى .

نظر ميشيل اليها وود لو ان يضحك . وكان الجواب حاضرا على شفتيه ، وود لو أن يقول لها « ايتها المسكينة ليزا ... ماذا يجب ان افعل لكى اقنعك بأننى لا احبك ؟ » ولكنه اشفق عليها واكتفى بان قال :

ـ كلا . لم تكونى انت السبب .. انما تشاجرنا بسبب امى .

قالت ليزا وهى تشعر بشىء من خيبة الأمل : آه ... اننى افهم . حسبتك غضبت منى ومن ليو .

اجاب ميشيل : أبدا ... ولماذا اغضب ؟

استطردت ليزا : « اننى افهمك . اوه ، نعم ، اننى افهمك ، ولهذا اتيت اليك لأفسر لك موقفى . اذا كنت تعتقد ان هناك شيئا بينى وبين ذلك الرجل فاننى أؤكد لك انك مخطىء . لا اخفى عليك أنه كانت بينى وبينه علاقة ... كان يحبنى » . واتت باشارة لكى تعبر بها انها تثير ماضيا بعيدا » وكنت انا صغيرة وبحـــاجة الى المساعدة ، وكان ملحا وساعدته الظروف فاستسلمت له .

قال ميشيل دون أن يقصد تقريبا : ولكننى سمعت انك تزوجت بعد ذلك .

اجابت فى بساطة كبيرة : هرب زوجى بعد عام من زواجنا ... واخذ معه كل مجوهراتى .

وبقيت حالمة لحظة ، ولكن من غير حزن أو ضيق كالشخص الذى يحاول أن يستأنف حديثه بعد مقاطعة تافهة : واستسلمت له ودامت علاقتنا ثلاث سنوات ... ثلاث ســــنوات عندما رايت فجأة اننى لا احبه واننى لم أحبه قط ، فافترقنا .

قال ميشيل يحدث نفسه : او بالأحرى هجرك بسبب امى .

ـ ولم ير أحدنا الآخر بعد ذلك الا بضع مرات حتى ... حتى اليوم .. جاءنى ولا ادرى بأية نوايا . كان يظن ان من الممكن ان يعود الماضى (وانفجرت ضاحكة كما لو كانت تريد ان تشير الى سخافة آمال ليو) كما لو انه كان باستطاعتى ان انسى سلوكه حيالى . وبما لو انه ليس فى الدنيا غيره . انه يتصور ان ما عليه الا أن يأتى لكى يحصل على ما يريد .. وكنت أهم بطرده بالذات حين اقدمت نت . هذه هى الحقيقة ، ولك ان تصدقنى ، وأقسم لك بكل عزيز لدى على ذلك .

وادنت وجهها من وجهه واردفت تقول : انني لا احب احـدا غيرك .

لم ينطق ميشيل ، وطوح برأسه الى الخلف قليلا ، ونظر اليها في اشمئزاز وضيق . وازدادت ليزا انحناء فوق انحناء مقعدها . وكان ثوبها ضيقا فانحسرت جونلتها عن ساقيها وكشفت عما فوق ركبتيها بقليل ، واثاره هذا المنظـــر وقال لنفسه : ان ليو على حق . انها امراة لا يستهان بها » ولكن خسة هذا الخاطر الذى خطر له ، واحساسه بالكذب الذى يعيش فى داخله اوحيا اليه بنفور كبير ارتجفت له شفتاه ، وتراجع فى مقعده الى الخلف وقد خفض عينيه .

وصاحت تقول قبلَ ان ينطق بكلمة وقد افزعها ان تراه متحفظا بعد ارتباكه القصير على اثر رؤيته عريها : لا تنظر الى هكذا ، ارجوك تكلم ... قل لى رايك .

وكان النور قد بدا يخفت شيئا فشيئا وهو يتكلم ، واخذ الظلام يلف الغرفة بما فيها لحظة بعد اخرى ولم يلبث ان انطفأ النور نهائيا فصاحت ليزا : ما هذا ؟

– لا شيء .. لقد انقطع التيار ، وما علينا الا الانتظار .

صمت وظلام وصوت هطول المطر وفجأة ، احس ميشيل بيد توضع فوق يده فقال لنفسه : « ها هى ذى اللحظة المناسبة لـكى انسى واصفح واستسلم للعاطفة فى الظلمات المواتية .

وراى بعينى الخيال فخذها العارى الذى اثار فيه كوامن الشهوة، ولم يشعر الا وهو ينحنى الى الامام ويقبل اصابعها . وفكر متقززا ومغتبطا فى نفس الوقت : « الآن انتهى كل شيء ، وما على الا أن اطوقها بذراعى واقبل فمها » وهم بأن يفعل ذلك عنـــدما تناهت اليهما اصوات وضحكات مرحة فتح باب الصالون على اثرها وانقشع الظلام على ضوء مرتجف منبعث من شمعة رسم فى السقف ظلالا كبيرة ، ودخلت مارى جريس ومن خلفها ليو وكارلا .

كانوا يتقدمون فى خطوات حذرة محاولين التعرف على الشخصين الجالسين ، وعرفت مارى جريس ليزا فصاحت : آه ... اهذه انت .

وقالت كارلا بدورها : هل اتيت ثانية ؟ هل انقطع التيار منـــذ وقت طويل ؟ .. اننا رقصنا ولهونا ... تصورى ان ليو حمل امى على ان ترقص الشارلستون .

قال ليو : وكانت بارعة فى هذه الرقصة .
تنهدت الأم قائلة : آه . لا تحدثنى عن الشارلستون بعد اليوم ياميروميس .
وارتمت فوق مقعد بادية التعب واستطردت : تصورى يا ليزا انه ابتعد عنى ونحن نرقص وراح يحرك ساقيه وهو يقول : « افعلى مثلى . » ولم أطعه فى بادىء الأمر ، ولكننى بعد خمس دقائق كنت أرقص خيرا من الآخرين . ان رقصة الشارلستون سهلة جدا .
قالت كارلا : ولكن لا يمكن القول بأنك تعرفين هذه الرقصة حقا .
ــ لا يمكن القول . . . أوه ، انظرى ، سأرقصها الآن وسترين كم هى سهلة حقا .
ونهضت الأم وقد ارتسمت امارات الغضب على وجهها وخلعت معطفها والقته فوق احد المقاعد ، وقالت تخاطب ليزا .
ــ هل لك ان تعزفى مقطوعة لاحدى رقصات الشارلستون يا ليزا .
جلست ليزا أمام البيان ، واخذت تبحث بين الاسطوانات ثم قالت تسأل : ماذا تريدين ؟ . . فوق الباخرة أو ليلة فى نيويورك ؟
ــ ليلة فى نيويورك .
بدات ليزا العزف فى حين وقف ليو بجوارها ممسكا بالشمعة ، وبقيت كارلا مكانها ، هى وميشيل فى الظلام ، لا يتحركان . وارتفعت انغام الشارلستون الحارة ، وراحت مارى جريس تتلوى وتتثنى والشمعة تلقى ضوءها على وجهها المتعب المتغضن ، وثوبها الضيق يعرقل حركاتها . ووراحت تطوح بقدميها يمينا ويسارا محاولة تتبع أنغام الموسيقى ، ولكن يبدو انها نسيت الدرس الذى لقنها ليو اياها لانها توقفت بعد دقيقة ونظرت الى عشيقها بخيبة أمل وقالت :
ــ لا ادرى . انها ليست نفس الرقصة التى رقصناها فى الريتز .
وقالت كارلا : أرايت يا اماه ؟ . . اننى كنت على صواب .
قالت الأم محنقة : ابدا . ولكنها ليست نفس الرقصة .
تقدم ليو وفى يده الشمعة ووقف بين المراتين وقال : هذا لا يهم . . . سوف تتقنينها فيما بعد .
لزم الحميع الصمت . وكان المطر قد اشتد فى الخارج ، وراح يهطل مدرارا ، وقالت كارلا
ــ هلموا بنا لكى نستبدل ثيابنا لتناول طعام العشاء .

وقالت الام وقد عقدت العزم على أن تنتزع من عشيقها موعدا فى اليوم التالى :

ستتناول العشاء معنا ياميروميس ... اليس كذلك ؟

اجاب ليو : كلا ... بل أعنى نعم .

ومضوا نحو الباب ، الواحد خلف الآخر . وكانت مارى جريس هى التى تحمل الشمعة عندئذ وقالت : من يحبنى يتبعنى . وضحكت كارلا . واقترب ليو من ميشيل ، وكان لا يزال جالسا وقال له : حسنا . هل عملت بنصيحتى . لا تنس ما قلت لك . ان ليزا امراة لا يستهان بها . سمينة بعض الشىء ، ولكنها ذات خبرة .

وصعدوا السلم جميعا وهم يتكلمون ويتزاحمون ، وفى الطابق العلوى وجدت كارلا شمعتين اخريين اخذتهما امها ، وجرت ليزا معها لكى تريها ثوبا جديدا .

وبقى ليو وكارلا وحدهما فى الصالة . أحدهما أمام الآخر . ووضع ليو الشمعة على المنضدة وقد بدت فى عينيه امارات الرغبة الشديدة وراح يضغط على يد كارلا وامسها من خصرها ، وكانت لا تتوقع ذلك فتمتمت تقول : كلا يا ليو .. كلا .. حذار .

وراحت تلقى حولها نظرات فزعة ثم استسلمت اخيرا . وظهرت ليزا فى هذه اللحظة ، ورأتهما متعانقين فى وسط الصالة ، فارتدت خطوة الى الوراء واختبأت خلف ستارة كبيرة ثم أزاحتها قليلا والقت نظرة متلصصة فرأتهما ما زالا متعانقين ويتمايلان يمنة ويسرة وقد التصقت شفاههما فى قبلة طويلة . وراح قلبها يدق فى عنف ، وكفت عن مراقبتهما وقد استولى عليها الرعب والارتباك . وعندما نظرت اليهما من جديد ، وفى حذر شديد كانا قد انفصلا وراحا يتكلمان .

قال ليو : يبدو لى ان هذه الستارة قد تحركت .

وأردف يقول ضاحكا : ايتها الروح ، اذا كنت هناك فدقى دقة واحدة ، واذا لم تكونى هناك فدقى دقتين .

كان يقلد هواة محضرى الأرواح . وراحت كارلا تضحك على مضض وقد توترت ملامحها شيئا ما . وودت ليزا وهى خلف الستارة أن تدق دقة ليعرفا بوجودها ... ما اشد ما يكون هلعهما عندئذ .

وقال الرجل : اجلس هنا على ركبتى .

— ولكن ... ربما يأتى احد يا ليو .

ـ لا تخافى .

حفيف ثوب . واتسعت عينا ليزا . كلا . انها تحلم . كانت كارلا جالسة فوق ركبتى ليو وقد توتر جسدها بعض الشيء .

ـ هيا يا صفيرتى . اذا كنت هنا فاعطنى قبلة ، واذا لم تكونى هنا فاعطنى قبلتين .

وصمت . احنت كارلا راسها فى وهن . وفجأة القت نفسها فى احضان الرجل فصاحت تقول « كلا يا ليو ، لا تفعل هذا » . وانتهزت ليزا الفرصة ففادرت مكانها وعادت الى غرفة الأم فى صمت ومن غير أن يصدر منها أى صوت .

اعقب دهشتها الأولى فرح انتقامى ، وحدثت نفسها تقول : سآتى الآن بمارى جريس واريها ماذا يفعل حبيبها ليو . ولكنها ما كادت تدخل الفرفة وتقع عيناها على صديقتها حتى هدأت ، وزال شعورها الانتقامى ، فقد الفتها تذرع الفرفة جيئة وذهابا وهى لا تنفعك ترنو فى زهو وخيلاء لكى ترمى تأثير فستانها الجديد ، وقالت تخاطب ليزا بمجرد أن وقعت عيناها عليها .

ـ اليس جميلا ؟ .. ولكن به عيبا يكاد لا يلحظ ، وهو هذه الثنية فوق الخصر مباشرة . ما رايك لو وضعت شريطا فوقها ؟ أو حزاما ذهبى اللون ؟ انها ثنية لعينة .

واعتراها شعور من الاشمئزاز لم تكن تعرفه من قبل ... شعور بالاشمئزاز يدور حول شباب كارلا والدمار الذى ستتمخض عنه هذه المغامرة . لم تشعر باى سخط أو اية دهشة وانما احست برثاء كبير نحو مارى جريس وليو وكارلا جميعا ، ونحوها هى بالذات . واخانتها المشاعر الجديدة التى تحس بها . كانت متعبة جدا . واخيرا أحست بالرغبة فى الانصراف والتفكير وحدها فى أحداث اليوم فقالت : سأعود الى البيت :

وفتحت الباب وخرجت ثم صفقته فى عنف لكى تنبه العاشقين، ومضت الى الصالة ، ووقفت كارلا على الفور وأسرعت للقائها وقالت :

ـ سأشيعك حتى الباب . أما انت يا ليو فعليك بالبقاء خمس دقائق فى الظلام .

واضاءت الشمعة وجهها ، واستطاعت ليزا ان ترى عينيها المتعبين والمضطربتين وصدغيها الشاحبين . واحسست اخيرا برغبتها

فى أن تتكلم وتنطق بما رات ، ولكن كارلا كانت قد سبقتها الى السلم .

ولبست قبعتها ونظرت الى المرآة لكى ترى صورتها دون أن تكف عن النظر الى كارلا من ركن عينيها . وسألتها تقول فجأة :

ـ ماذا بك ؟ .. أرى انك لست كعادتك كل يوم .

قالت كارلا مشدوهة : انا ؟ ليس بى شىء .

استطردت ليزا تقول : هل تعرفين انك شاحبة اللون ؟ .. يبدو لى انك ترهقين نفسك .

لم تنطق كارلا . وتساءلت ليزا هل تتكلم أم لا . ولبست معطفها وعندما همت بأن تخرج اخذت يد كارلا وتبادلت المراتان النظر ، ولم تحتمل كارلا نظرة صديقتها الفاحصة ، واطرقت براسها .

وقالت ليزا فجأة فى انفعال : كارلا ؟ .. ماذا يحدث ؟

ـ ولكن ... لا شىء .

واستولت الحيرة على ليزا ، وترددت فى الخـــروج ثم قالت فجأة : قبليني اذن .

وتعانقت المراتان ، ولكن ليزا أحست بالحزن وهى تضع قبلة على الوجنتين الباردتين وقالت لنفسها فى شىء من الأسى : كلا . ما هكذا يجب أن اتكلم . واردفعت تقول فى ارتباك :

ـ ولا تنس ان تأتى لزيارتى اذا واجهتك اية مشاكل ، وان تخبرينى بكل شىء . لا تخفى عنى شيئا .

قالت كارلا فى خجل : طبعا ... طبعا .

وخرجت ليزا على اثر ذلك واغلقت الباب .

وصعدت كارلا السلم وهى تفكر . افزعتها كلمات ليزا شيئا ما . أتراها اشتبهت فى شىء ؟ ولكنها لم تلبث ان اقصت عنها هذا الظن ، فقد بدا لها بعيد الاحتمال لأن مغامرتها مع ليو لم تبدأ الا منذ يوم واحد ، ولم تقض ليزا فى البيت أكثر من بضع ساعات ... الا اذا كان اختفاؤها العجيب بالأمس قد أثار ظنونها ، وقالت : مهما يكن سواء ضمنت ام لا فاننى سأذهب الليلة الى بيت ليو .

وصعدت السلم فى بطء وهى تقول : « اذن فأنا استقبل حياتى الجديدة » . كانت تود أن تشعر بالهدوء ، ولكنها لم تستطع ذلك ، فان قلبها راح يدق فى عنف ، وعصف بها احساس من الضيق

والتردد وتنهدت وهى تتمنى أن تمر الســـــاعات الباقية بأسرع ما يمكن .

وعلى ضوء الشمعة الباهت رات ليو جالسا فى مقعده بالصالة ، فألقت بالشمعة على المنضدة وقالت : عجبا لهذا النور الكهربى الذى يأبى ان يعود .

ولكن الرجل بدا كأنه لم يسمعها ، وأخذ يدها قائلا : الليلة ، فى بيتى اذن ؟

ولم تجد كارلا الوقت لكى ترد فقد انفتح أحد الأبواب وظهرت مارى جريس وفى يدها شمعة وقد التفت فى شال أسود كبير وعلى وجهها تعبير خبيث ، وقالت تخاطب عشيقها دون أن تجلس .

ــ ان ليزا انصرفت . ولعلك ياميروميس كنت تؤثر ان ادعوها للعشاء . ولكن ماذا تريد ؟ .. ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، ثم ان صديقتك العزيزة ستجد الوقت الكافى لكى تستعد لزيارتك ... الليلة .

وضحكت ضحكة متهورة وهى تنطق بالكلمة الاخيرة ومضت الى السلم من غير ان تنتظر الرد .

ــ اين تذهبين يا أمى ؟

اجابت مارى جريس من غير أن تلتفت : اظن ان ساعة العشاء قد حانت .

وهبطت درجات السلم فى بطء وهى تمسك بالشمعة بيد وتعتمد بالأخرى على الدرابزين الخشبى ، واستأنفت تقول :

ــ ولكن اذا اردت ان تلحق بليزا فلا تتردد .. سيان عندى بقيت أم رحلت .

وضاعت الكلمات الأخيرة فى السلم الذى لفه الظلام ، فأن مارى جريس كانت قد بلغت أسفل الدرج ، وتحول ليو الى كارلا عندئذ وقال :

ــ ان امك لن تتغير أبدا ... اذا ما تسلطت عليها فكرة فلا يمكن حتى للشيطان ان ينتزعها منها .

واتى باشارة من يده تدل على السخط والغضب ، ولكن كارلا نظرت اليه فى قلق وفى شىء من الذعر وقالت :

ــ هل تدرى ماذا أظن ؟ .. اظن ان ليزا ضمنت شيئا .

ــ ماذا ؟

ـ لا أدرى .. ولكن يخيل لى من اللهجة التى كلمتنى بها .
ـ فلتخمن ما يحلو لها ... فأنا كما تعرفين ...

وحاول ، فجأة ، ان يجذب الفتاة اليه ولكنها قاومته دون ما سبب وصدته قائلة : كلا ... حسبك ما فعلت الآن .

وحاول مرة اخرى ان يمسكها من خصرها وقد توتر وجهه لفرط الانفعال ولكنها قالت : كلا .

وقاومته فى عنف غريب وقد امتلأت عيناها غضبا ، واصطدمت فى مقاومتها بالمنضدة فوقعت الشمعة التى فوقهـــا على الارض وانطفأت .

وساد ظلام تام ، وهبطت كارلا السلم مسرعة ثم خيم الصمت .

وقال ليو وقد بقى وحده فى الظلام : « ما اغرب هذه الفتاة ! تتركنى اداعبها وبعد خمس دقائق تأبى أن اقبلها على جبينها » . لم يكن مغيظا وانما كان مذهولا بعض الشىء .. تبخرت شــهوته وهدأت نفسه ، وراح يردد البصر حوله فى الظلام وهو يبحث عن علبة الثقاب فى جيبه ، ثم أضـــــاء عودا وانحنى فالتقط الشمعة وقال : « فلأذهب الآن لتناول الطعام ... ومشى بضع خطوات ثم تذكر انه نسى أن يقول لكارلا متى وكيف يلتقيان فى بيته ، فعاد الى المنضدة ووضع الشمعة فوقها ثم كتب على احدى بطاقاته بحروف كبيرة : « سأنتظرك بعد ساعة عند باب الحديقة » وقال يحدث نفسه « سأعطيها هذه البطاقة عند انصرافى » . ثم اخذ الشمعة وهبط .

كانت هناك شمعة واحدة فوق المائدة ، وكان نورها لا يكاد يبدد ظلام الغرفة ، ولم يتبين من الاربعة الجالسين غير وجوههم ، وجلس ليو بدوره وراح يأكل فى صمت . ولم ينطق احد من الآخرين ، فقد كان كل منهم فريسة لأفكار ملحة . ولكن مارى جريس كانت اكثرهم اضطرابا وانشغالا دون اى شك . فقد دفنت ذقنهـــا فى راحتيها المجتمعتين وراحت تنظر الى شعلة الذبالة المتراقصة وقــد ظهرت الغضون بين ثنيتى شفتيها فى وضوح مرير .

ونظرت الى عشيقها اخيرا وقالت فى سخرية لاذعــة : اود ان اعرف لماذا يكذب الناس ، ولماذا يأتون افعـــــالا لا يحرصون على اخفائها ، فأنت مثلا يا ميروميس ، لك مطلق الحرية فى ان تتواعد هذه الليلة بعد العشاء ، مع اية امراة ، وما من احد يمنعك من ذلك

على الرغم مما فيه من مجافاة للذوق والأدب . ولكن لماذا لا تقول الحقيقة ولماذا تختلق موعدا هاما مع مدام سميتسون فى حين ان هذه الاخيرة موجودة الآن في ميلانو . اصدقنى القول ... من الذى يجبرك على الكذب هكذا ؟ .. ثم ان هذه ليست كذبة فحسب وانما هى اهانةلى . هل تظن اننى غير جديرة بأن أفهم ثمة امور ؟ الم يكن من الأسهل لك ان تقول « بهذه المناسبة ، يجب ان افارقك فى الساعة كذا .. فأرد أنا عليك « ولكن اذهب اينما يحلو لك أيها السيد ... لك أن تذهب الى الشيطان اذا اردت » وتنفض المسألة عند هذا الحد .

وسكتت وهى تغلى من الغضب ، واقصت عنها الطبق الذى قدمته لهـا الخادمة ، ولما رات ان ليو لا يريد أن يتكلم صاحت محنقة :

ـ ولكن قل شيئا ... قل الحقيقة ولو مرة واحدة .

نظر الرجل الى عشيقته شذرا ، وقـد بدأ يشعر بالضيق ازاء اصرارها هذا وقال يحدث نفسه « انها تستحق أن أصفعها على وجهها ساعتين على الأقل » ولكنه ازدرد ما فى وقال : ليس عندى ما أقول .

استشاطت مارى جريس غضبا ازاء عدم اكتراثه وصاحت : كيف هذ ؟ .. اننى اتهمك بالكذب على عمد فلا تكتفى بعدم ذكر الاسباب التى تدفعك الى هذا التصرف وانما تقسو على فى الرد كما لو كنت انا المخطئة . هل تعرف حقيقتك ... انت وقح .

لم يكن ليو يرد عادة على لوم عشيقته وعتابها ، ولكنه فى ذلك ليوم بالذات كان رد الفعل عنده عنيفا ، وذلك اما بسبب رغبته لمكبوتة أو لأن الاهانة قد مسته حقا ، فصاح فى حدة وهو يتحول .فعة واحدة عن الطبق الذى تمده اليه الخادمة .

ـ اسمعى . لنفرغ من هذا الأمر نهائيا والا فسأضطر الى أن نصرف تصرفا غير حميد . اننى احتملتك بما فيه الكفاية ، ولم ىد فى مقدورى أن أحتمل المزيد .

ورمى عشيقته بنظرة خشنة جافة فيها من الاهانة ما فيها بحيث ، المسكينة صعقت وكادت تختنق ، واستعصى عليه امارات القسوة لصرامة وراحت تكرر فى راسها الفارغة هذه الكلمات « اننى أحبه كنه يقسو فى معاملته لى » .

ورات ليو يتحول عنها الى طبقـــه ويتناول شريحتين من اللحم ىض الخضر دون اية مبالاة فاغرورقت عيناها بالدموع ، والقت

منشفتها فوق المائدة ونهضت فى شىء من الجهد وقالت : لست جائعة . استمروا انتم ولا تحفلوا بى .

ومضت الى الباب بسرعة ، وكادت قدماها تتعثران فى السجادة .

واعقب هذا الخروج المفاجىء صمت ثقيل ؛ وكان ليو قد امسك السكين والشوكة بيديه فبقى ممسكا بهما ونظر فى ذهول الى الباب المظلم الذى اختفت مارى جريس خلفـــــه . ونظرت كارلا بعينين مذهولتين ، هى الأخرى ، الى هذه الناحية ، وكان ميشيل يبدو اقل الثلاثة ذهولا ودهشة فتحول الى الرجل وقال له فى هدوء يشوبه بعض الضيق .

ـ ما كان يجب أن ترد عليها بهذه اللهجة ، فانت تعرف انهـــا عصبية .. وسنواجه الآن مشاكل لا آخر لها .

ـ لكننى لم اقل لها شيئا . اذا كانت تشكو من اعصابها فما عليها الا ان تعالج نفسها ... اما يحق لى ان اتكلم ؟

قال ميشيل وهو يحدق فى عينيه : ولكنكما تكثران من الكلام .. انت وهى .. اكثر من اللازم .

زمجر الآخر قائلا : هذا سخف . ان امك هى التى تكثر من الـكلام وليس انا .

وسكت . وراح ينقل بصره بين طبقه حيث بدا اللحم يبرد وبين الباب الذى اختفت مارى جريس خلفه ، ثم قال :

ـ ولكن ماذا تفعل الآن ؟ ليس من المعقول أن تحمى نفسها من الطعام .

القت كارلا بمنشفتها على المنضدة وقالت : ان ميشيل على حق . ما كان يجب أن تعامل امى هكذا . ان لها عيوبها ، ولكن مهما يكن من أمر فهى امراة ... وقد تصرفت تصرفا غير لائق .

ونهضت . وترددت لحظة وقد بدا عليها القلق . كانت كارهة لما سوف تقدم عليه ، ولكنها دفعت مقعدها اخيرا وهى تقول : اننى ذاهبة اليها .

وكان الظلام التام ضاربا اطنابه فى البهو فتقدمت وهى تتحسس طريقها وتقول « كان يجب أن آتى بالشمعة ، وتذكرت فجأة ان امها لجأت ذات يوم ، بعد مشاحنة من هذا النوع الى غرفة الصالون فمضت اليها وهى تقول لنفسها « يجب أن ينتهى كل هذا . اننى ذاهبة الليلة الى بيت ليو وسينتهى كل شىء عندئذ » . وكان الظـلام

يمـــلا عينيها ، وخيل لها انه تداخل في روحها وعادت تقول : فلأذهب الى هذه الأم الحمقاء » . ولم تشعر نحوها باية شفقة . وحز فى نفسها فى نفس الوقت ان تقسو عليها هكذا .

ووجدت امها فىالصالون كما توقعت ، وكانت جالسة تبكى فقالت لها وهى تهزها شيئا ما : ماذا تفعلين هنا ؟

أجابتها مارى جريس خلال دموعهـــا : كلوا انتم .. اننى اوثر انبقاء هنا .

تنهدت كارلا فى حزن وفروغ صبر فى نفس الوقت ، ودارت بالأريكة ، وجلست بجوار امها وقالت وهى تلقى بيديها على ذراعيها :

ـ اؤكد لك يا امى ان ليو لم يكن يقصد ... وانه اول من ساءه ما حدث .

اطلقت مارى جريس تنهيدة طويلة وقالت : يا الهى ! .. اننى تعيسة جدا .

سرت فى بدن كارلا قشعريرة وتمتمت : لا تبالغى يا أماه .

احاطت الأم عنق ابنتها بذراعيها وقالت ودموعها تنهمر وتبلل صدغ كارلا : قولى لى يا كارلا .. هل تظنين حقا انه عاد الى حب هذه المراة ؟

سألتها كارلا فى ارتباك : اية امراة ؟

واحست بصدر امها الرخو اللاهث يثقل على ذراعها ، ولم تدر ماذا تفعل . كرهت ان تواسى امها لأنه عمل لا تقره الطبيعة . وقالت الأم وهى تنتحب .

ـ ليزا طبعا .. انهما انصرفا معا بالأمس ، وانا واثقة انهما بدآ يتحابان من جديد .. آه . ما أشد شقائى وتعاسنى .

ودت كارلا أن ترد على أمها وتقول : « ولكنه يحبنى انا » وعادت الأم تقول :

ـ ماذا فعلت لكى أستحق كل هذا ؟ .. اننى ضحيت بحياتى من اجله .. وها انت ترين الآن كيف يعاملنى .

لم تدر كارلا ماذا تقول وهمت بأن تتحرر من ذراعى أمها عندما عاد النور الكهربى فجأة ، فافترقت الأم عن ابنتها بدافع الغريزة وجففت دموعها وقالت :

ـ هل تشعث شعرى ؟ .. وهل وجهى مضطرم ؟

ـ ابدا ... انت على ما يرام .

وعادا الى غرفة الطعام ، وكان ليو وميشيل يتحدثان فى هدوء . وما دخلت المراتان حتى قطع ليو الحديث وهب واقفا وقال يستقبل مارى جريس .

ــ نحن صديقان الآن ، اليس كذلك ؟

اجابته الأم فى برود مصطنع : الى حد ما .

وعادت الى مكانها امام المائدة .

وفرغوا من الطعام فى صمت ، تدور فى راس كل منهم افكار مختلفة عن الآخر ، فكان ليو يقول : فلتذهب الى الشيطان !

اما الأم فكانت من ناحيتها تبحث عن وسيلة للانتقام ، فقد تلاشى المها وحل محله حقد جارف ، وكانت تقول لنفسها « انه يريد أن اتنازل له عن الفيللا مباشرة ، ولكننى لن افعل . سوف ابيعها فى المزاد » . وكانت كارلا تفكر فى الليلة التى ستقضيها مع ليو . واستولى عليها اضطراب شديد واخذت تسائل نفسها : « هل وعدته حقا ؟ هل يجب ان امضى الى بيته الليلة حقا ؟ .. » اما ميشيل فقد احس بالانزعاج . وخيل له وهو يسمع المشاحنة التى وقعت بين امه وليو أنه بلغ آخر درجات اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وقال محدثا نفسه : ها هى ذى فرصة اخرى قد ضاعت . فرصة ما كان أجملهـا فى أن اتخاصم معه وافرغ منه .

الفصل الثامن

غادروا غرفة الطعام اخيرا واجتازوا البهو فى بطء وهم يشعلو السجائر وينظرون الى المرايا خلسة . ومضوا الى الصالون . وقال ليو وهو يجلس على الاريكة بجوار مارى جريس :

ـ اننى اشعر هذا المساء بأننى على استعداد لسماع بعض الموسيقى الكلاسيكية ، فما رايك يا كارلا ؟ .. هلا عزفت لنا بعض مقطوعات شوبان ؟

اسرعت الأم تقول وقد سرها ان الموسيقى ستتيح لها الفرصة فى تبادل الحديث مع ليو فى حرية تامة :

ـ نعم ياكارلا .. اعزفى لنا بعضا منها .

جلست كارلا امام البيان وراحت تجرى بأناملهــــا الرقيقة على ملامسه ، وانتهزت الأم الفرصة فقالت تخاطب عشيقها وهى ترميه بنظرة قاتلة وقد امضتها فكرة تجديده لعلاقته بليزا .

ـ يمكنك ان تمضى فورا الى موعدك هذا يا ميروميس ، فـلا داعى لـكى تضايق نفســك هنا بسماع الموسيقى ... لا احـــد يحتجزك ... فاذهب .. اذهب حيث ينتظرونك .

نظر ليو اليها فى شرود . لم تكن به اية رغبــة فى المشاحنة او الخصام . وأشار الى البيان اشارة معناها « ليس الآن ، لنستمع الى الموسيقى » ولكن الأم أصرت قائلة :

ـ بل اذهب . انت تشعر بالضجر . لا تحاول الانكار فقد رأيتك تتثاءب ... اذهب حيث يستقبلونك بأذرع مفتـــوحة .. ماذا تنتظر ؟ ... ثم انه ليكون أمرا مجافيا للأدب اذا انت اخلفت وعدك لمدام سيمتسون .. وسيكون هناك مدعوون كثيرون ، ولا ريب انها قد طلبت قطارا خاصا لينقل مدعويها الى ميلانو .

كان ليو على استعداد لأى شىء لكى يســـــكتها . فنفض رماد سيجارته فى هدوء ثم تحول الى مارى جريس وقال :

ـ اذا كنت قد كذبت عليك فذلك مراعاة لك ولكى لا أجعلك تعتقدين اننى اتضايق فى بيتك .. ولكن الحقيقة اننى لست ذاهبا الى اية

حفلة ، وانما - داهب لكى انام ، فمنذ ايام كثيرة وأنا لا انام الا مع الفجر . وانا الآن متعب جدا واريد ان انام مبكرا الليلة .

صاحت الام بلهجة العارف بالكثير من الأمور : آه ، حقا ؟ .. تريد ان تنام مبكرا ؟ .. لانك تنام في وقت متأخر جدا كل يوم منذ ايام كثيرة ؟ .. يبدو عليك حقا انك لا تستطيع الوقوف على قدميك .. لو تعرف الى اى حد ارثى لك .

اجاب ليو والغضب يعصف به على الرغم منه : لست بحاجة الى رثاء احد .

قالت مارى جريس فجأة : ولكن الا تدرى انك تروى سلسلة من الأكاذيب ؟ .. اولا ، مدام سميتسون ، والآن تريد ان تنام ... الا تخجل من نفسك ؟

ـ ابدا ، فلست ارى ما يستوجب الخجل .

وهز كتفيه ، وكان ميشيل جالسا مكانه يراقبهما متقززا ويقول لنفسه : « لعنة الله عليهما . حتى الموسيقى لا أستطيع سماعها فى هدوء !

واستطردت مارى جريس تقول : تنام ! وهل تريد ان اقول لك ؟ .. اننى اعرف كل شيء .. كل شيء عن الأمس وعن اليوم .

قال ليو دون ان يلتفت اليها : بل على العكس ، لا تعرفين شيئا .

ونظر الى كارلا ورأى كتفيها السمينتين المكتنزتين وقال : يا لها من ليلة ! ساعة اخرى من الانتظار او ساعتان .. انها مدة طويلة .. وتجاهلت عيناه الثابتتان الجامدتان مارى جريس وميشيل وكل ما حوله ..

وقالت كارلا :

ـ هل راق لكم عزفى ؟

اجاب ليو : نعم ، كثيرا ، وارجو أن تعزفى قطعة أخرى .

تدخلت الأم فقالت : كلا يا كارلا . لا تعزفى شيئا فان ميروميس لا يتضايق فحسب وانما يتلهف على الانصراف . انه يغالب النوم ويكاد يقع فلا تحتجزيه و ...

واردفت تقول وهى تشد ليو من كمه : هيا يا صديقى ... ان فراشك ينتظرك .

خلص ليو ذراعه وابتسم رغما عنه . ولو انه طاوع نفسه لصفعها

في عنف : ولظل يصفعها حتى ينفثىء غضبه . وتأملتهما كارلا لحظة وهي تقول : أحقاً أنا ذاهبة الى بيته الليلة ؟ ما اغرب هذا ! انها جالسة الآن امام البيان ، وبعد ساعتين ستكون فى بيت عشيقها ، وحدست لهفة الرجل الشديدة ، وفى شيء من الدلال المعروف عن المراة رأت ان تؤخر لحظة الهزيمة الأخيرة ففتحت نوتة موسيقية اخرى وبدات العزف من جديد .

نظر ليو اليها مفكرا : آه . يا للساحرة الصغيرة ! تريد أن ترانى أموت فى لهفة ... تريد ان ترانى أحتضر ... بدا له كل شيء .. الموسيقى والحديث والصمت غير محتمل ، ونهشته الرغبة ، ولم يعد يفكر الا فى شيء واحد هو ان يصطحب كارلا الى بينه لتشاركه فراشه ... متى تنتهى من العزف .. بعد عشر دقائق .. أو ربع ساعة .. وانا الذى قلت لها أن تعزف ثانية .. يا لى من مغفل !

ولكن الأم لم تقر بالهزيمة ، فلمست كتف ليو وقالت وهى تتكلف الابتسام :

ـ وغدا صباحا سأذهب الى المحامى ، وسأزوده بتعليماتى لكى يعرض الفيللا للبيع بالمزاد .

ولو أن طوبة انفصلت من السقف ووقعت على نافوخ ليو لما كان لها من الوقع مثلما حدث له عندئذ ، فقد اضطرم وجهه ثم احتقن وتشنج وراح يفكر : « لم يكن ينقصنى غير هذا .. وهذه الليلة بالذات .. عليها اللعنة » . ولكنه حاول ان يخفى ما به ، وقال وهو يضغط على معصميه .

ـ انك لن تقدمى على هذا العمل السخيف .

وقال ميشيل محـــدثا نفسه : انهما سيتعاركان ويتضاربان بالايدى .

وعادت الأم تقول وهى تتصنع الهدوء : بل سأفعل كما قلت ، وغدا صباحا بالذات .

امسكها ليو من يدها فى عنف وقال : هذا جنون ! .. اتريدين أن تبيعى الفيللا بالمزاد لكى تخسرى ٥٠ ٪ من قيمتها ؟ .. وتقولين لى هذا الليلة بالذات ! (ونظر الى كارلا خلسة وهو يقول العبارة الاخيرة) الآن ، بعد أن اعددت العقد ولم يبق الا التوقيع عليه .. هذا جنون .. جنون مطبق .

قالت مارى جريس وقد سرها ان تقوم بدور الشهيدة : سمه

ما شئت ، ولكننى سأذهب الى المحامى غدا صباحا قبل اى شىء آخر .
ـ لا شك انك تهزلين . لابد من التروى والتفكير قبل الاقـدام على اى شىء .. هل تريدين أن تأتى الى مكتبى بعد غد لكى نتشاور فى الأمر .
اجابت مارى جريس فى شىء من اللين : لا فائدة من ذلك ، فاننى اظن ان من الأوفق ان اذهب الى المحامى .
ضم ليو يديه وهو يلعنها فى سره وقال : ان المزاد مغامرة يا مارى جريس ، وقد يكون محاميك نصابا ، فالدنيا مملوءة بالنصابين . وانت امراة لا تفهمين شيئا فى هذه الامور .. اسمعى نصيحتى .. سانتظرك غدا فى الساعة الرابعة .
نظرت الى اليمين والى اليسار فى دلال ، وخفق قلبها الناضج ، وودت لو أن تسأله « هل تحبنى ؟ » ولكنها قالت : لا أستطيع غدا .
ـ بعد غدا اذن .
قالت وهى ترفع عينيها الى السقف كما لو كانت تحاول ان تجمع ذكرياتها : انتظر .. نعم ، ان لدى موعدا ، ولكننى أستطيع أن اتحرر .. سآتى .. فليكن .
وأردفت تقول بابتسامة متألقة فاتنة : ولكن لا أظن انك ستستطيع اقناعى بسهولة .
وسكنت . وترددت لحظة ثم اخذت يد ليو وفتحت فمها لـكى تسأله : هل تحبنى قليلا ؟ عندما سكتت الموسيقى فجاة ، والتفتت كارلا اليهما قائلة :
ـ لا فائدة من الاستمرار فانكم لا تكفون عن الحديث ، ومن الاوفق ان نذهب للنوم .
ساد صمت قصير ثم قال ليو : كنا نعلق على الموسيقى . انك تجيدين العزف يا كارلا ، فاستمرى لحظة أخرى .
كانت هذه الاكذوبة الجديدة اشارة تمرد شيئا ما فقد بدا كما لو ان الجميع قد افاقوا من غفلة طويلة ، واولهم ميشيل ، وكان قد احتمل حتى هذه اللحظة دون أى احتجاج ثرثرة امه وليو ... ولكنه اقدم عندئذ على شىء لعله اقدم عليه بدافع الحنق أو ربما بدافع غريزى لكى يفعل شيئا ، فقد امسك بالجريدة التى على ركبتيه

والقى بها الى الارض فى عنف وصاح وهو ينظر الى امه : ليس فيما تقول اى ذرة من الحقيقة .. هذه كذبة وقحة .

صاحت كارلا وهى تصفق بيديها : مرحى ! .. هذه هى الحقيقة .. اننا نتنفس أخيرا .

وكما لو أن شخصا فتح الشباك واندفع منه الهواء البارد ودخل الصالون فقد تبادل الجميع النظر مذهولين ، وكان ليو أول من تمالك نفسه اذ قال يخاطب ميشيل :

ــ انك مخطىء ، وانت لم تصغ جيدا .

اثارت هذه الكذبة الفتى ، فاضطجع فى مقعده الى الخلف وقهقه ثم قال : آه .. آه .. يا لك من كاذب .

امتقع وجه مارى جريس ، وكتمت كارلا نفسها فى حين صاح ليو وهو يهوى بقبضته على المائدة : هذا كثير .

ولكنه لم يقف ، واكتفى بأن حدج ميشيل بنظرة فاحصة واردف يقول :

ــ لم اكن اعرف انك مشاكس هكذا ... واذا استمررت فسأضطر الى ان اعرك اذنيك .

كان لهذه العبـــارة الاخيرة التى نطق ليو بها اشد الوقع على ميشيل . كانت حدته قد هدات وانفثأ غضبه ، ولكنه حين سمع تهديد ليو تملكه الخوف وخشى على أذنيه فأطبق بيديه على منفضة من الرخام وقذفها فى شىء من اللين . وراى امه نضم يديها وسمعها تصرخ « أيها المجنون » واضطربت كارلا . وادرك الشاب ان قذيفته اخطأت هدفها ، فبدلا من ان تصيب ليو أصابت امه فى كتفها .

ونهض فى حركة خرقاء واقترب من الاريكة التى تمددت ضحيته فوقها . كانت مارى جريس قد اطبقت عينيها صدفة واتفاقا غير واثقة من الموقف الذى يجب ان تتخذه ، وراحت تتأوه من لحظـة لأخرى ، ولكن كان واضحا تماما انها لا تحس بأى الم وان الاغماء كان خياليا تماما .

انحنى ميشيل فوق الأريكة فى نفس الوقت مع الآخرين . كان من الممكن ان يثير هذا المنظر المه وحزنه ولكنه لم يشعر بأى ندم ، وانما خامره احساس لم يستطع ان يقصيه عنه وهو سخافة هذا الموقف ، وراح يقول عبثا « انها امى ، وقد ضربتها .. وأصبتها ، وكان يمكن ان تموت » . وعبثا حاول ان يبحث فى نفسه عن قليل من الحب

رقليل من الرثاء لهذه المرأة الجامدة الضالعة فى الخطأ . فقد بقى ذهنه خاملا . وانحنى ونظر الى أمه . كانت قد رفعت ذراعا وهنا دون أن تغير من وضعها ودون ان تفتح عينيها . وفكت بعض ازرار ثوبها لكى تكشف المنطقة المصابة . وظهر الكتف عاريا وسمينا ولكن دون أى أثر للكدمات ودون اية حمرة أو ازرقاق . ومع ذلك فان الاصابع غير الراضية ظلت تجذب القماش معرية الذراع وكاشفة عن الابط الذى ظهر بأكمله حتى بداية الصدر . وبدا كأن هذه الأصابع الفاجرة تجرى وراء غرض آخر ، بعيد كل البعد عن اظهار جرح ما ... كانت تقوم بالحرى بعملية تعرية .

والواقع انها كانت تقوم بهذا العمل استدرارا لعطف عشيقها ولالانة قلبه . كانت تفكر « سيرانى جريحة ، فاقدة الرشد ، نصف عارية ، وسيتذكر اننى ارتميت امامه وتلقيت القذيفة بدلا منه ، ولن يسعه عندئذ الا أن يشعر نحوى بامتنان كبير » . ورأت ليو بعين الخيال ، يأخذها بين ذراعيه ويهزها ويهدهدها ويدعوها باسمها ويستبد به القلق وهو يراها لا تعود الى رشدها .. وستفتح عينيها عندئذ بهدوء ، وستكون نظرتها الأولى لعشيقها ، وكذلك ابتسامتها الاولى. ولكن الأمر جاء على عكس ما تتمنى ، فلم يأخذها ليو بين ذراعيه ولم يهدهدها أو يدعوها باسمها وانما على العكس من ذلك قال :

ــ لعل من الأوفق ان اخرج وانتظر فى البهو .

تلقت ماري جريس هذا القول كما لو كان ولو ان الماء انسكب فوق ذراعها العارى ففتحت عينيها واعتدلت فى جلستها ورددت البصر حولها . رات ميشيل ينظر اليها بعين عابسة وبدا كأن احساسه بالندم امتزج باحساس آخر . وكانت كارلا تحاول اخفاء الكتف العارى . ولم يكن ليو واقفا بجوارها ، وانما كان قد التقط المنفضة وراح يزنها بين يديه . وفجأة تحول الى ميشيل وقال له :

ــ الك كل تهانى يا صديقى ... انك أقدمت على عمل .

وقاطعته الأم عندئذ فقالت فى صوت حاد مألوف : ارجوك يا ميروميس .. اتوسل اليك . لا تلمسه ولا تعنفه . لا تقل له أى شىء .. انه صبى ، لا يدرى ما يفعل .

نظر ليو اليها طويلا ثم قال : انه لم يفعل بى شيئا ، ولكن يؤسفنى انه اصابك بالمنفضة فى كتفك .

وضحك ضحكة باردة زائفة ورقيقة . والقى الى كارلا نظرة كما

لو كان يطلب موافقتها . واخيرا تناول معطفه ، وساعدته الأم على ارتدائه وهى تقول فى لهجة متواضعة آمرة . وقد خشيت أن يتذرع بهذا العمل الطائش ويقطع علاقته بها .

ـ انه صبى ، وثق ان مثل هذا العمل لن يحدث ثانية . سأتدبر الأمر مع ميشيل ، واذا كان ولابد فسوف اتصرف .

قال ليو : لا بأس . هناك امور أهم من هذا بكثير .

وطبع قبلة على يد مارى جريس ثم اردف يقول وهو يحدق فى عينى كارلا مليا : الى الملتقى ... قريبا .

وامتقع لون الفتاة ، وبحركة بطيئة مستسلمة ادارت اكرة الباب .

وانفتح الباب فى عنف وانصفق بالجدار كما لو ان احدا من الخارج كان ينتظر هذه الفرصة لكى يندفع الى الداخل . وصاحت الأم تقول :

ـ أوه ... ما هذا البرد ؟ .. اغلقى الباب .

ولكن لم يتحرك احد ، وراح الجميع ينظرون فى غباء الى الرياح العاصفة الهوجاء ، التى تلفح وجوههم . وانفتح الباب الآخر بالبهو ، وامتلأ المكان عندئذ باعصار شديد اندفع نحـــو السلم ، وراحت الأبواب ، من اعلا البيت الى اسفله ، تصطفق ، واهتزت الفيللا كلها ، وخيل للجميع انها ستنفصل عن الأرض وتدور كنحلة مجنونة وترتفع الى قمة السحب المتألقة .

وقال ليو يسأل مارى جريس : وكانت تحاول اغلاق الباب : ماذا نفعل الآن ؟

ـ فلننتظر .

ولزم الثلاثة الصمت . وراحت مارى جريس ترمى عشيقها بنظرات عادية مريرة ، فما هى الا لحظات ويختفى ليو فى جوف الليل الممطر تاركا اياها فى البيت البارد وفى فراشها المقفر ... اين يذهب ؟ .. انه لن يذهب الى بيته طبعا ، وانما سيذهب الى بيت ليزا بدون شك .. ان ليزا تنتظره منذ وقت طويل . سوف يستمتعان الليلة معا بكل تأكيد .. ومن يدرى لعلهما يهزآن بها .

وتمتمت فى محاولة اخيرة وهى تقف بين عشيقها والباب :

ـ الا تسمع صوت المطر ؟ .. أليس من الاوفق أن تنتظر لحظة اخرى ؟

اجاب ليو وهو يزرر معطفه : هو مطر عادى ولن يعوقنى عن العودة الى البيت .

وللمرة الثانية ، طبع قبلة على يد ماري جريس المقهورة ثم فتش عن قفازيه في أحد جيوبه ، وتقدم خطوة نحو الباب وهو يقول : الى اللقاء يا كارلا .

وضغط على اليد التى بسطتها له الفتاة وابتسم ثم خرج .

وبقيت المراتان في البهو وحدهما ، وكانت الأم لا تفتأ تقول : « يا الهى ! .. ما هذا البرد القارس ! » وتراخت عضلات وجهها ، وبدا كأنها ستنهار على الارض ، وشردت عيناها وارتسم على وجهها المصبوغ حزن عميق وارتجفت شفتاها وهى تقول اخيرا : اننى ذاهبة الى الفراش .

واذا ألفت كارلا نفسها مضت ووقفت تحت المصباح ، وتركت شيئا في يدها .. رسالة صغيرة كان ليو قد دسها بين أصابعها وهو يشد على يدها . وكان هذا نصها « سأنتظرك بالسيارة بعد ساعة ، عند باب الحديقة » وتحت هذه العبارة توقيع ليو .

ومضت نحو السلم ، حائرة مترددة وهى تقول : بعد ساعة ... سأخرج بعد ساعة . ووقفت لحظة ونظرت حولها في البهو . كان يخيم عليه صمت تام . بعد ساعة ستكون أمها وميشيل قد راحا في سبات عميق . وصعدت اخيرا ، ومضت الى غرفتها وادهشها على الفور هدوء الغرفة ودفؤها . كان كل شيء في مكانه . وكان مصباح الأباجورة مضاء وقميصها الرقيق ينتظرها فوق الفراش بأغطيته الدافئة . كان كل شيء يدعوها الى النوم والاستجمام وما عليها الا أن تنضو عنها ثيابها وتندس تحت الأغطية .

اوحى اليها منظر الفراش وصوت المطر برغبة كبيرة في الأمان والراحة ، أو لعل ذلك كان راجعا الى الارهاق الذى لقيته اثناء النهار . مهما يكن فقد احست بالجبن يسرى في كيانها . وتقزز كبير امام المغامرة التى ستقدم عليها بحيث تملكها الخوف من نفسها وقالت : لا بأس من النوم والراحة ... ولكن بعد ذلك ؟ .. سأجد نفسى صباح الغد في نفس النقطة ، والحياة الجديدة اذن ؟ .. لا ... لن يكون هذا .

ومشت الى دولابها ذى المرايا ونظرت الى نفسها وهى تبتعد وتقترب بالتناوب من صورتها . ولاحظت بين وجنتيها الحمراوين وحدقتيها البراقتين هالة سوداء عميقة أرقتها ، وأولت ظهرها للمرآة

ومشت بضع خطوات وجلست فوق الفراش وعقدت ساقيها وراحت تفكر .

ولم تكن ترى فى وضعها هذا غير السقف . وكانت الاصوات الوحيدة التى تتناهى الى اذنيها هى اصوات الليلة العاصفة . ولم تلبث ان اغمضت عينيها وهى تكرر لنفسها انه لابد لها من أن تنهض وأن تخرج ، واستسلمت لنوع من الخدر المشحون بالخوف والريبة. وازداد هذا الخدر شيئا فشيئا ولم تلبث ان فقدت الوعى وغلبها النوم .

ولكنه كان ثوبا غريبا خاليا من الاحلام ، خدع الفتاة فى مدته ، ففجاة ، وبدون اى سبب استيقظت وقد تجمدت اطرافها من البرد وهى لا تستطيع أن تأخذ نفسها . وفكرت فى فزع « اننى نمت » وهبت من فراشها وراحت تنظر حولها فى الغرفة المضاءة . من يدرى كم الساعة الآن ؟ اهى الثانية أم الثالثة ؟ لا ريب ان ليو قد انصرف ... ولا ريب انه ظل ينتظرها ثم عاد اخيرا الى بيته .

وأسرعت الى المنبه الموضوع فوق طاولة الزينة فاذا بها لم تنم غير ثلاثة أرباع الساعة ... فقد كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية عشر الا الربع . ولم تصدق ذلك . لا ريب ان المنبه قد توقف . ورفعته الى اذنها فاذا به يمشى على ما يرام .. لا يزال هناك متسع من الوقت لكى تذهب الى ليو .. ودون أن تدرى السبب احست تقريبا بخيبة أمل ، واعادت المنبه الى مكانه .

ولكن خامرها شك آخر . متى واين تلتقى بليو ؟ وتذكرت هذه الكلمات « بعد ساعة » ولم تنس انه سيكون موجودا فى سيارته امام باب الحديقة . ولكنها لم تكن واثقة تماما . وتذكرت الرسالة عندئذ فنظرت فى الغرفة حولها تبحث عنها . ولكنها لم تجدها فى اى مكان ، وراحت تجرى فى أنحاء الغرفة وهى ترى كل شىء كيفما اتفق وتفتش الأدراج . ولكنها لم تجد شيئا .. وفيما هى كذلك دقت الساعة معلنة انتصاف الليل فانتفضت وتذكرت انه كتب انه سينتظرها عند باب الحديقة فأخذت معطفها الواقى من المطر واسرعت بالخروج .

وفتحت باب الحديقة ، ويقع خلف البيت ، وتقدمت خطوة الى الأمام ، وما كادت تفعل حتى رأت سيارة ليو تقترب منها .

وانطلقت بهما السيارة تقطع الشوارع تحت سيل الأمطار .

وتوقفت بعد نحو عشر دقائق ، وهبط ليو وهو يقول « انتظريني هنا » . وراته من خلال زجاج النافذة المقبل يفتح شيئا اسود اشبه بالباب ويختفي في ظلام الحديقة . ولم تلبث ان سمعت صوت باب حديدي يفتح ثم ظهر الرجل وساق السيارة دون أن يحفل بها هي ، ودخل الجاراج . وهبطا منها معا ثم خرجا واغلق الرجل الباب الحديدي خلفه .

وكان هناك مصباح شديد مستدير يضيء ، على اليمين ، باب بدرجاته الرخامية الأربع . وفتح ليو الباب ودفع كارلا الى الداخل . وعلى النقيض من الحديقة المظلمة كان بهو البيت يسطح بالنور . وكان المصعد امامهما ولكنهما آثرا الصعود على اقدامهما .

وعندما بلغا الطابق الأول تناهى اليهما صوت عزف مكتوم مع دبيب اقدام يتخلله صوت حديث مرح . وقالت كارلا وهي تتكلف الابتسام وتعتمد على الدرابزين .

ـ انهم يرقصون خلف الباب . من الذي يسكن هنا !

اجاب ليو وهو ينحني لكي يفحص اللوحة النحاسية المثبتة بالباب : فلنر من . . آه . . انه الدكتور اينا مورتي .

واستطرد يقول لكي يطرب كارلا ويسرى عن نفسه : ان الدكتور وزوجته واولاده يستقبلون نخبة من الأصدقاء ينتمون الى خيرة المجتمع .

ودخل المسكن بالدور الثاني حيث تخلص ليو من قبعته ومعطفه ثم ساعد كارلا في خلع معطفها . وكانت الردهة واسعة بيضاء اللون في آخرها نافذة تطل على المنور ، والى اليمين والى اليسار ثلاثة أبواب . وانتقلا الى الصالون . وقال ليو وهو يشير الى اريكة تغطيها الوسائد والفراء : فلنجلس هنا .

وجلسا . كانت هناك اباجورة حمراء فوق طاولة صغيرة عكست نورها عليها حتى الصدر ، أما راساهما فقد بقيتا في العتمة مع اعلا الفرفه . ومرت بهما لحظة لم ينطقا فيها بكلمة ، وكانت كارلا تنظر حولها في غير فضول . وكانت عيناها تحط تارة على زجاجة الشراب الموضوعة فوق المائدة واخرى على الجدران ، ولكنها كانت قلقة في الواقع ، تنتظر كلمة أو اشارة من ليو . وكان ليو يتأملها . وأخيرا قال :

ـ حسنا يا عزيزتي . لم لا تقولين شيئا . بل انك لا تنظرين الى .

هيا ، قليلا من الشجاعة . فيم تفكرين . اذا كنت ترغبين فى شىء فاخبرينى بلا كلفة فأنت فى بيتك .

ومد يده وداعب وجهها بأنامله وهو يقول مستطردا : لا اظنك نادمة على مجيئك ؟

اجابت : كلا . كلا . اننى جد مسرورة . ولكن ... يجب أن أعود .

قال ليو وهو واثق جدا من نفسه : تعودى ... تعودى .

وازداد اقترابا منها ، وطوقها بذراعيه ، وجذب راسها اليه . وتبادلا قبلة ثم افترقا .

وقال لها وهو يشير الى ركبتيه : تعالى واجلسى هنا .

واطاعته دون أى اعتراض . واتت وهى تجلس بحركة كشفت عن ساقيها فلم تشد جونلتها ، واقتنع ليو عندئذ انه انتصر انتصارا كليا .

وقالت وهى تشير الى الباب الآخر بالصالون : الى أين يؤدى هذا الباب ؟

أجاب وهو يتأملها فى اهتمام : الى غرفة النوم .

وعاد فقبلها من جديد ثم قال ، ولكن دعك من كل هذا واصغى الى .. قولى لى ، هل تحبيننى ؟

سألته بطرف شفتيها وهى تحدق فيه بعينيها الجادتين : وانت ؟

ــ انا ؟ .. وهل انت بحاجة الى جواب ؟ اننى احبك طبعا والا ما أقدمت على ما فعلت .

واحتواها بين ذراعيه واستطرد يقول : اننى احبك بكل تأكيد . احبك كثيرا وويل لمن يلمسك ، واننى اشتهيك أيضا واريدك لى كلية .. أريد هاتين الشفتين وهذين الذراعين وهاتين الكتفين الجميلين وكل هذا الجسد الذى يتدفق أنوثة ... هذا الجسد الحلو الفاتن الذى سيصيبنى بالجنون .

وتفجر بالرغبة وارتمى فوق كارلا وطوقها بكل قوته ، غارقة فى افكارها لحظ الرجل شيئا غريبا ، فقد راى بين نهديها قطعة من الورق مطوية أربع طيات فمد يده مبتسما ، وقال فى فضول ، دون اى غرض : ما هذا ؟

تظاهرت كارلا بالذعر وقالت : ماذا ؟

هذه الدرقة التى تخفينها فى صدرك بهذه العناية الكبيرة .

خفضت راسها ورفعت يدها الى صدرها . نعم ، ان ليو على حق ، فهناك رسالة مطوية ومخبوءة فى صدرها ، ولكنها لم تذكر انها وضعتها فى ذلك المكان ، ولم تستطع ان تعرف كنهها . ورفعت عينيها حائرة ، ونظرت الى عشيقها فقال :

ـ هذا هو المكان الذى تضع فيه كل الفتيات اسرارهن . ولكن لنر ما هو هذا السر الذى تخفيه يا كارلا .

صاحت فجأة وهى تدفعه عنها بيديها دون ان تدرى لماذا تفعل ذلك : كلا . اننى لا اسمح لك بذلك .

اختفت ابتسامة الرجل وبدا الاهتمام فى عينيه وقال : حسنا .. خذيها انت نفسك واقرئيها بصوت عال .

ساد الصمت . ونظرت كارلا اليه حائرة مرتبكة . احست بأن قصة الورقة بدات تثير غضبه ، ورات عينيه تقسوان ، واحست بالعذاب يكويها لأنها لم تستطع ان تتذكر مضمون الرسالة التى تلمسها بأصابعها ، ولكنها تركتها مكانها باحساس من الخوف من ناحية لأنها خشيت ان تتضمن سرا لا يجب اطلاع احد عليه ، ولأنها ارادت ، من ناحية اخرى ، ان ترى كيف يتصرف ليو تحت سلطان الغيرة .

وقالت اخيرا فى تحد ، وهى تضع يديها على ركبتيها :

ـ وماذا انت صانع اذا رفضت ان اريك هذه الرسالة ؟

صاح ليو فى اهتمام وقلق : آه . هى رسالة اذن ؟ ..

وممن تكون ؟ لاريب انها من شخص عزيز عليك ما دمت تخفينها بكل هذه العناية .

ـ هذا ما لن اقوله لك ابدا .

نظر اليها بعينين فاحصتين آمرتين ، وقال وهو يجز على اسنانه : اصغى الى يا كارلا . اريد ان اعرف من الذى ارسل لك هذه الرسالة . هل هى من رجل ؟

اجابت فى صوت ساخر : ربما .

وحرصت على ان تضع يدها فوق صدرها لكى تمنع اية حركة مفاجئة من ليو ، ورفعت جبينها الى السقف وقد احست بالاعياء ، وكانت تود لو ان تنبذ عنها هذا السر الذى لا وجود له وان تنام . وقال ليو وهو يغتصب ضحكة .

ـ اننى فهمت .. فهمت .. هى رسالة من احد العشاق .. عاشق صغير .

اجابت دون ان تخفض راسها : عاشق صغير ؟ .. بل هى من رجل.
واستطردت فى صوت اكثر خفوتا وهى تنقر باطراف اصابعها على صدرها وقد اثملها حزن لا نهاية له : رجـل ... لو تدرى كم احبه !
واطبقت عينيها نصف اطباقة وقد تندتا بالدموع ، وخفق قلبها ، وفكرت فى برود : والمصيبة هى ان هذا الرجل لا وجود له .
وعصف الغضب بليو .. هذا النقاء وهذا الطهر انما همـا مظهر خادع ، وهذا الظفر قد سبقه غيره اليه .. وتغيرت كارلا الضـعيفة الطاهرة الى فتاة اخرى خبيرة بالحب لا تتردد فى الذهاب الى الرجال فى بيوتهم . وقال وقد جرح فى كرامته :
ـ انا المخطىء ... كان يجب أن اعرف انها ليست المرة الأولى .
تحولت اليه على الفور وسألته : ليست المرة الأولى ؟ ماذا تعنى ؟
ـ انت تعرفين جيدا ما أعنيه ... ليست المرة الاولى التى تمضين فيها الى بيت رجل .
اوضطرمت وجنتا كارلا ونظرت الى ليو وهى نهمة بين الرغبة فى الاحتجاج والكشف عن الحقيقة ، وبين اطالة الخيال . واختارت الطريقة الثانية اخيرا وقالت :
ـ وماذا لو صح ذلك .
ـ اذن فالأمر صحيح .
اجابت وقد اصطبغ لونها من جديد : نعم .
احتقن وجهه لفرط الغضب ، وامسك كارلا ذراعها وقـال : هل تعرفين ماذا تكونين ؟ .. عاهرة .. واتيت الى بيتى على الرغم من ذلك .
قالت كارلا فى هدوء : هذه مسألة اخرى .
فكر : قذرة .. سافلة .. ولم تزد عن الرابعة والعشرين من عمرها .
وسالها : هل استطيع أن اعرف على الأقل من هو هذا السيد ؟
اجابت وهى تبذل جهدها لكى تصف تلك الصورة الخيالية التى تميل روحها اليها : انه رجل طويل القامة .. له شعر احمر وجبينى هادىء جميل ووجه بيضاوى ، وهو يحبنى كثيرا ، وانا ايضا احبه كثيرا . وقد التقينا هنا منذ سنتين ، ومنذ ذلك الوقت ونحن نلتقى دائما .. وهو ليس مثلك .. انه قبل كل شىء رجل كريم .. اعنى

انه يفهمنى قبل أن اتكلم ، وهو يختلف عن غيره من الرجال . ثم انه الوحيد الذى احبنى حقا .

وامسكت عن الكلام وقد ازداد تأثرها واحست بشىء من الحماقة امام الكذبة التى اقدمت عليها . وقال ليو : اعطنى هذه الرسالة .

وامسكها من خصرها وحاول ان يأخذ الرساله من صدرها ، ولكنها قاومته وتخلصت منه ، واسرعت الى آخر الغرفة وهى تقول :

ـ لا شىء يؤخذ بالقوة .. الا تعرف بداخلها .

وفتحت باب غرفة النوم واختفت بداخلها .

استولى على ليو غضب لا حد له . واندفع نحو الباب المغلق . وكانت كارلا ادارت المفتاح من الناحية الأخرى فلم يستطع الدخول . وصاح وقد اشتد غضبه وهياجه ، وراح يضرب الباب بقبضتيه : افتحى .. افتحى .. انك غبية .

ولكنها لم ترد عليه . وخطر له انه يستطيع دخول غرفته عن طريق غرفة الحمام فأسرع اليها . ووجد الباب الزجاجي مواربا . وبحث عن كارلا فى نصف العتمة التى تخيم على الغرفة ولكنه لم يرها وادار النور ولكن الغرفة كانت شاغرة ، وتساءل : « اين ذهبت بحق الشيطان » . وهم بأن يخرج لكى يبحث عن الهاربة فى الغرف الاخرى عندما اكتشفها فجأة وقد تكومت خلف باب غرفة الحمام .

ومشى اليها قدما واخذها من يدها وجذبها من مخبئها فى عنف وقال : أعطنى الرسالة .

ووقفا ، كل منهما امام الآخر . افزعتها مجرد فكرة ان ليو سيتحقق من كذبتها ، واحست بالمهانة . كانت تعرف ان هذه الورقة لا يمكن ان تكون ذات اهمية ، وانها قد تكون بطاقة زيارة او اى شىء آخر . وآلمها ان يكتشف ليو غرور احلامها واوهامها ، وقالت فى محاولة اخيرة فى صوت نائح .

ـ ولكن ليس هذا عدلا .

صاح بها الرجل للمرة الثانية : اعطنى الرسالة .

ادركت انه لا فائدة من المقاومة ، ولم يسعها الا أن ترفع يدها الى صدرها فتأخذ الورقة وتناولها لليو قائلة : ها هو .

اخذها ليو ، ولكنه قبل ان يفتحها ، نظر الى المذنبة الشابة ، وعندئذ ودون أن تدرى لماذا ، احست بخجل كبير وتوترت عضلات وجهها

فجأة ، فارتمت فوق الفراش دافنة راسها بين يديها . ولم تدر لماذا فعلت ذلك . وفجأة سمعت ضحكة عالية فرفعت راسها واذا بليو يقترب منها وهو يقول :

ــ ولكنها رسالتى ... الرسالة كانت سخيفة ، فمـــا كان فى مقدور اى أحد أن برسل اليها اية كلمة . ولم يكن هناك من يحبها . ومع ذلك فقد بدا لها أن من الظلم ان يكون الأمر كذلك ، وان لا تقع معجزة تحول هذه الرسالة الحمقاء الى رسالة حب . وامتقع لونها وقالت فى خيبة أمل مرير .

ــ هى رسالتك طبعا . وماذا كنت تريد أن تكون ؟

قال الرجل وهو يجلس بجوارها فوق الفراش : ذلك الرجل الطويل القامة ذو الشعر الأسمر والجبين الهادىء الجميل هو أنا اذن ؟ .. انا ذلك الرجل الذى تحبينه اذن ؟

نظرت اليه مليا كما لو كانت تريد أن ترى فى ذلك الوجه الأحمر الذى يشع بالسرور والرضا الصورة التى تخيلتها وقالت فى تردد :

ــ الم تكن قد فهمت ذلك ياليو ؟

صاح : الحق اننى لم أفـكر فى نفسى . واخـذها من خصرها واردف يقول) لا تأبى بما قلت ... كأننى لم انطق بشىء منه .

وانحنى فوقها وراح يلثم كتفيها وجيدها ووجنتيها وصدرها . اثاره جسدها من جديد . ورد له وهمه شهوته مرة اخرى وتمتم يقول :

ــ أيتها الكاذبة الصغيرة .. أيتها الحبيبة الصغيرة الكاذبة .

ثم اردف يقول بلهجة الجد : والآن .. الا تظنين ان الوقت قــد حان للنوم ؟ .. اننى اشعر بحاجة شديدة الى النوم .

ضحكت كارلا وأومأت ، فى خجل ، بالايجاب ، فقال : قليل من الشجاعة اذن ... ان بيجامتك هنا ، فوق الوسادة ، وستجدين كل ما تحتاجين اليه من أدوات الزينة فوق الطاولة ..

ورماها بابتسامة وكله ثقة ، وربت بيده على كتفها ومضى الى غرفة الحمام .

الفصل التاسع

كان الفراش العريض يشغل ركنا من الغرفة فاستلقت كارلا فوقه ورددت البصر حولها . رات على ضوء الاباجورة الباهت دولابين ، احدهما على اليمين بجوار باب الصالون والآخر على اليسار ، ولم تكن هناك مفروشات اخرى ؛ فكل الجدار الأمامى كانت تشغله نافذة منخفضة مستطيلة ذات ستائر بيضاء ، وكانت مغلقة ، وكان باب الصالون مغلقا هو الآخر ، وكذلك باب غرفة الحمام . وخفضت عينيها فرات امام الفراش جلد دب ابيض كث الشعر له عينان من السلولويد الاصفر وفم مفتوح مملوء بالأسنان الحادة . وكانت قوائمه وذيله قد استحالت الى لا شيء تقريبا وتعطى الايحاء بأن الدب قد هرسه مرداس لم يترك منه شيئا صحيحا غير راسه الضارية . ونهضت كارلا فى حركة آلية ومشت بضع خطوات فى الغرفة ، ورات من خلال زجاج باب غرفة الحمام ليو يروح ويجىء ، وسمعت صوت انسياب الماء من الدش ، وعندئذ عادت الى الفراش وبدات تنضو عنها ثيابها .

واطبقت عينيها المتعبتين . لم تقض فى هذا الفراش اكثر من دقيقة ، ومع ذلك خيل لها انه مضت عليها ساعة ، وراحت تقول لماذا لا ياتى ليو ؟ لن استدير الا بعد أن يطفىء النور ، فلا اريد أن اراه .

وفتح باب غرفة الحمام فى هذه اللحظة ، ورأت صورة ليو على الجدار فتحولت اليه ، ورأته منحنيا فوقها . ورفع الغطاء وتمدد بجوارها ، ولكنها كانت قد استطاعت ان تتحقق من انه لم يكن مرتديا البيجاما وانما جلبابا خفيفا ، وانه حلق ذقنه وتضوع .

وعندما استيقظت كان النهار يوشك ان يطلع ، وجلست فى الفراش ، وعرفت على الفور المكان الموجودة فيه ، ولم تشعر بأية دهشة وهى ترتدى انها قد ارتدت البيجامة التى رفضت أن ترتديها

فى الليلة الماضية ، وان كانت لم تتذكر متى ارتدتها بالضبط ، وخيل لها أنها اعتادت الصحو منذ سنوات بهذه الطريقة فى فراش عشيقها ، وبقيت بضع لحظات جامدة لا تتحرك ثم انحنت فوق الرجل وهزته من كتفه قائلة فى رفق عجيب :

ـ ليو ...

وكان الرجل قد سحب الغطاء حتى اذنيه ، وبدا غارقا فى سبات عميق . ولم يسمعها فى بادىء الأمر ، او لعله تظاهر بأنه لم يسمعها فى بادىء الأمر ، أو لعله تظاهر بأنه لم يسمعها ، وهزته كارلا مرة اخرى ، وعندئذ قال فى صوت ناعس : لماذا ايقظتنى ؟

قالت فى نفس اللهجة الرقيقة : الوقت متأخر ، ويجب ان اعود .

ومن غير أن ينطق بكلمة ، وبدون أن يأتى بحركة اخرى من جسده مد ليو ذراعه خارج الفراش ، وادار مفتاح الاباجورة ثم قال محنقا من غير ان يلتفت : الساعة الخامسة والنصف ... اريد ان اعرف لماذا ايقظتنى .

عادت تقول : الوقت متاخر .

وتخطت جسد عشيقها فى حذر وجلست على حافة الفراش ، ولم يبد عايه انه لحظ ذلك . ولم يجبها بكلمة ما واطبق عينيه ، وحسبته عاود النوم ، وبدات ترتدى ثيابها دون أن تهتم به .

ولكنها ما كادت تنضو عنها البيجامة ، وتهم بأن تلبس قميصها حتى امسكها من خصرها وحاول ان يجذبها اليه قائلا وقد بدت الرغبة فى عينيه : كارلا ، لماذا ترحلين هكذا سريعا ؟ .. تعالى هنا ، عودى بجوار ليو .

قالت وهى تحاول التخلص من قبضته : دعنى .. ان الوقت متأخر ... يجب ان انصرف .

ضحك وغمز بعينه وقال : مازال أمامنا كل ما نريد من الوقت .

استولى عليها الغضب على الفور وبدون سبب لأنه كان يجب ان تدرك طبعا ان عشيقها لابد ان تتملكه مثل هذه الرغبات ، وعادت تقول فى حدة : قلت لك دعنى .

وكان رد ليو الوحيد ان مد ذراعه الآخر وحاول ان يلقيها فىالفراش، ولكنها دفعته عنها فى قوة ، وتخلصت منه وجلست فوق المقعد وراحت ترتدى جوربها . وبعد ان فرغت منه القت نظرة الى ليو فرات انه استدار الى الجدار وعاود النوم ففكرت : حسنا . نم

كما تشاء .. اهذه هى حياتى الجديدة ؟ .. هل هذا ممكن ؟
وفرغت من ارتداء ثيابها وهى تقلب هذه الافكار فى راسها ، ثم انحنت فوق ليو وهزته قائلة : قم . حان الوقت لكى انصرف .
اجاب : حسنا .
ومضت كارلا الى غرفة الحمام وهى واثقة انها ستجده مرتديا ثيابه عند عودتها . ووقفت امام المرآة ومشطت شعرها وتجملت ، وعندما عادت كان ليو لا يزال راقدا فراحت تهزه من جديد وهى تقول : الوقت متأخر يا ليو .. يجب ان انصرف .
جلس الرجل وهو يغالب النوم وقال : ماذا ؟ .. هل فرغت من ارتداء ثيابك هكذا سريعا ؟
ـ ولكن الوقت متأخر يا ليو .. ويجب ان ترافقنى الى البيت .
تثاءب وراح يشد شعره ويقول : آه . ولكننى اريد ان انام ... انك لم تتركينى انام فى هدوء وسلام طوال الليل ورحت تنادينني وتحدثينني وتركلينني .. اننى أكاد اموت لحاجتى الى النوم .
كان يتكلم فى هدوء وهو يتحاشى النظر اليها . اما كارلا فراحت تنظر اليه فى اهتمام وهى تفكر فى غضب : « انه لا يريد ان ينهض لا لحاجته الى النوم طبعا ولكنه يتظاهر بذلك لأننى لم أطاوعه منذ لحظة » . وقالت فى رفق « اذا كنت تريد ان تنام فلا داعى لكل هذا الكلام » اننى استطيع ان اعود وحدى .
نظر ليو اليها عندئذ مترددا وقال فى لهجة لينة : وحدك ... هذا لن يكون .. انك تقولين هذا الآن ، ولكنك لن تكفى عن توجيه اللوم لى ... فأنا اعرفك بما فيه الكفاية .. سأرافقك الى البيت .
ولزم الصمت وهز راسه ولكنه لم يتحرك . وتبادلا النظر . وقالت كارلا فجأة : واذا امرتك ان لا ترافقنى ؟
اذا أمرتنى ؟ كنت تريدنى منذ لحظة أن ارافقك ، والآن لا تريديننى ، ما هذه النزوات .
جلست على حافة الفراش بجوار عشيقها وقالت : ليس هناك اية نزوات ... ولكن خطر لى انك اذا رافقتنى فقد تعرضنى للشبهة ، اذ ربما يرانا البعض معا .. ولهذا فمن الاوفق ان انصرف وحدى . اننى اعرف الطريق ، وسأكون فى البيت بعد عشر دقائق ... وبمكنك أنت أن تعاود النوم .
ولزم كل منهما الصمت ... احس ليو بعد تلك الرغبة الملحة

التى تملكته فجأة بحاجته الى النوم . وامعنته مجرد فكرة مغادرته الفراش والخروج ، ربما تحت المطر ، ثم انه كان يتعين عليه اخراج السيارة من الجاراج ، وابتسم ومد يده وداعب وجنة كارلا وقال :

ـ الواقع انك فتاة باسلة ... اتستطيع حقا أن أتركك تنصرفين وحدك ؟

نهضت واقفة وقالت وقد احنقتها لهجته : طبعا ، تستطيع . بل اننى اتوسل اليك ان تفعل . هل لك أن تعطينى اجرة سـيارة الاجره ، اذ ليس معى نقود .

ـ انك ترين على الأقل اننى أصررت على موافقتك وانه يستحيل على ان ازداد اصرارا . واذا كنت لا أرافقك الآن فليس ذلك لأننى اريد أن انام ، وانما لكى لا اعرضك للشبهة ، كما قلت منـذ لحظة ، فلا تأتى بعد ذلك وتلومينني .

وانحنى ليو ومد يده الى سترته ، وكان قد وضعها فوق احد المقاعد واخرج من جيبها حفنة من النقود وضعتها كارلا فى جيبها وهى تحدث نفسها قائلة : « اننى بدات أكتسب قوت يومى » . ثم اقترب من الفراش وانحنت قائلة : الى الملتقى يا حبيبى .

وتعانقا ، وصاح ليو : اغلقى الباب خلفك .

ورآها تخرج من حذر وارهف أذنيه لحظة لكى يسمع الباب وهو يغلق ، ولكنه لم يسمع اى صوت فأطفأ الاباجورة واستدار نحو الجدار ونام .

الفصل العاشر

بينما كانت اشعة الشمس تتسلل فى الغرفة المشوشة والنور ينساب اليها من كل مكان كان ليو يرى فى منامه كارلا ومارى جريس وميشيل . وكانت صورهم قد بدات تبهت وتتباعد كما لو ان نور النهار بدا يزيل الوانها ، ومع ذلك ، فقد راح الراقد يبذل جهده للابقاء عليها ويقول دون وعى : « لا اريد أن استيقظ .. لا اريد ان استيقظ » . ولكن صوتا شاعريا كان يأتيه من بعيد ويقول فى عتاب خفيف : « ليو .. ليو .. استيقظ » . وخامره احساس بأن ذلك ليس حلما ، فأطبق عينيه فى اصرار وتكوم تحت الغطاء وهو يأمل ان يكون ذلك الاحساس الدخيل مؤقتا ، وان يستطيع الاستغراق فى شبكة النوم الهادىء اللذيذ . ولكن النداءات تكررت وازدادت وضوحا ، ولم تلبث ان حطت يد على كتفه وراحت تهزه فلم يسعه الا ان يفتح عينيه واذا به امام مارى جريس .

نظر اليها مشدوها وقال : انت هنا ؟ ... ولكن كيف دخلت ؟

ـ جئت لكى ابلغك رسالة . وقد وجدت الباب مفتوحا فدخلت .

وعاد ينظر اليها فى ذهول وفكر : « الباب مفتوح ؟ .. آه .. هى كارلا دون شك .. وتثاءب ثم تمطى دون اية مراعاة وقال :

ـ وما هى تلك الرسالة ؟

جلست مارى جريس فوق الفراش وقالت : اردت ان اتصل بك تليفونيا ، ولكن مصلحة التليفونات قطعت الحرارة لاننا لم ندفع الاشتراك منذ شهرين . وقد وعدتنى أنت أمس أن نلتقى غدا ولكننى تذكرت اننى مرتبطة بموعد فلم لا نلتقى بعد ظهر اليوم ؟

أخذ ليو ركبتيه بين ذراعه وقال : اليوم .. بعد الظهر ؟

راق له هذا الاقتراح ، ورای انه اذا تخلص من مارى جريس ومن مضايقاتها اليوم فانه يستطيع ان يستمتع بحريته مع كارلا طوال الاسبوع ، ولكنه ، منعا لكل مفاجأة لم يشأ أن يعدها بشىء فقال :

ـ اصغى الى ... ساذهب لزيارتك بعد الغداء ... وسأرى عندئذ .

وساد صمت طويل . وبدا الشـــك وعدم الارتياح على مارى جريس ، وراحت تنظر اليه وتفحص فى اهتمام تلك الغرفة التى تعرفها جيدا ووجه عشيقها . خيل لهـــا ان ليو شاحب اللون ، مرهق . وفكرت : انه قضى الليلة مع ليزا ، وليس هناك اى شك فى هذا ، ولعل ليزا كانت هنا منذ لحظات » واستولى عليها حقد طاغ ورمت عشيقها بنظرة قاتلة حافلة باللوم وقالت :

ـ لو كنت مكانك لما تصرفت كمـــا لو كنت فى العشرين من عمرى .

سألها ليو مشدوها : ماذا تعنين ؟

ـ اعنى انك تتقدم في السن ، وانك لا تدرى الحماقات التى لا ريب انك اقدمت عليها الليلة .. لم يعد له الحق فى الاقدام عليها.

واردفت تقول وهى ترفع صوتها : ولكن انظر الى نفسك فى المرآه .. انظر الى هاتين العينين وهذا القناع لا لشىء الا بدافع الفضول .

قال ليو وقد احنقته تلك الاشارة المباشرة الى سنه : انا اتقدم فى السن ؟ .. واقدم على حماقات ؟ .. وما هى تلك الحماقات ؟

قالت الأم وهى تأتى باشارة من يدها .. أننى أعرف ما أقول .. بعد سنة أو سنتين على الاكثر سيدفعون بك فى عربة صغيرة ... نعم .. بل انك لن تستطيع المشى .

هز ليو كتفيه فى غضب وقال : اذا كنت قد أتيت للنطق بهـــذا الهذر فمن الأفضل ان تنصرفى (والقى نظرة الى المنبه الذى فوق الطاولة واردف) الظهر ... ان لدى موعدا فى منتصف الواحدة .. انصرفى .. انصرفى حالا .

ووثب من الفراش وانتقل خفية ثم مضى الى النافذة ففتحها ، وامتلأت الغرفة بالنور ، وسألته مارى جريس من غير ان تنهض :

ـ ولكنك لا ترتدى المنامة التى اهديتك اياها فأين هى ؟ .. لعلك اهديتها الى احدى صديقاتك .

مضى ليو الى غرفة الحمام دون أن يرد ، ونهضت مارى جريس وراحت تدور فى الغرفة فى شىء من الفضول والكسل وقالت :

ـ هدية اخرى اهديتها اليك ولا اراها .. واعنى بها تلك الفازة الثمينة .. لعلك اهديتها الى صديقة اخرى .

ولا مجيب . ومن خلف الباب الزجاجى جاءها صوت انسياب الماء .. كان ليو يغتسل .

لم تعترف مارى جريس بالهزيمة ، وتابعت فحصها للغرفة وقد وهنت هزيمتها . كان كل شىء فى هذه الغرفة يعيد الى ذهنها ذكريات سعيدة ، وراحت تتنهد وهى تقارن بين تعاستها الحاضرة والأيام السعيدة الماضية . ورات صورتها فوق الطاولة فاستردت شيئا من الثقة وفكرت : « الواقع انه لا يحب غيرى . عندما لا تسير اموره على ما يرام ويتعرض لمشكلة ما فانه يعود الى دائما . وسيعود الى حتما ... انه يمر بفترة من الفتور المؤقت » وكانت قد اشترت قبل قدومها باقة من زهور البنفسج وشبكتها فى صدرها ، وبدافع من الامتنان ، وبنية مبهمة فى أن تقوم بعمل رقيق ، وضعت هذه الزهور فى اناء صغير بجوار صورتها ثم مضت الى غرفة الحمام .

وكان ليو واقفا مرتديا منامته ويحلق ذقنه فخاطبته قائلة : سأنصرف الآن ، وبهذه المناسبة . اذا ما أتيت اليوم فتصرف كما لو انك لم ترنى ، وكما لو ان رسالتى قد وصلتك فحسب ... مفهوم ؟

وخرجت راضية من نفسها ، وهبطت السلم مسرعة واستقلت الترام الى وسط المدينة ، حيث تنتظرها ليزا منذ نحو عشرين دقيقة ، فى محل لبيع القبعات . وكانت ليزا تنتظرها فعلا ، فى مؤخرة المحل ، وهو مكان مزدان بالهدايا وبالقبعات الجديدة وكانت هناك امراة شابة تتأمل نفسها فى اعجاب أمام احدى المرايا ، وأصوات تتحدث فى غرفة مجاورة . وما أن رات ليزا مارى جريس حتى نهضت واسرعت اليها قائلة :

ـ اننى آسفة .. آسفة حقا .. ولكننى لا أستطيع البقاء معك ، فقد تأخرت ولابد لى من الانصراف .

رمتها الأم بنظرة متشككة وفكرت « يا لأنانية هذه المراة ! انها الآن ، وقد فرغت من اختيار قبعتها تحاول أن تمنعنى من أن اختار بدورى » . وسألتها مترددة : وهل ابقى انا ؟

ـ افعلى ما يحلو لك .

وبسطت يدها لتودعها ، ولكن مارى جريس غيرت رايها فجاة فقالت : كلا . اننى ذاهبة معك . سأهتم باختيار القبعة فيما بعد ، وسأرافقك الآن الى الحدائق حيث نستطيع تبادل الحديث .

لم تنطق ليزا بشىء . وخرجت المرآتان الى الشارع ، ومشيتا

جنبا الى جنب . وكانتا تتوقفان من وقت لاخر امام فترينات المحلات تتأملان المعروضات . وكانت مارى جريس تشعر بالحزن والأسى أمام فترينات المجوهرات ، وقالت وهى تشير متنهدة الى عقد اللؤلؤ « كان عندى عقد شبيه بهذا » ونظرت ليزا الى العقد ولم تقل شيئا ، فقد ضاعت مجوهراتها هى الاخرى ، وفكرت « ولكن زوجى هو الذى اخذها معه ولم أضطر الى بيعها على الاقل لكى أعيش » .

وكانت مارى جريس قد تبعت صديقتها لكى تطلق العنـــان لشكوكها من ناحية ليو ، ونظرت الى ليزا وهى تحدث نفسها « انها كانت معه ليلة الأمس بالذات » وبدا لها ان هذا الافتراض صحيح لا يقبل الجدل . كان من الواضح لكل ذى عينين ان هناك شيئا بينهما . ونظرت اليها فاحصة ، ووجدت فيها فتنة جديدة ، ونوعا من الهناء الطبيعى لا يمكن تحديده . كان ذلك علامة على الحب ما فى ذلك شك . ان ليزا تحب ، وهناك من يبادلها هذا الحب . ولكن من ؟ لا شك انه ليو . انها كانت معه بالأمس بالذات . ووجدت فى عينىَ صديقتها الرطبتين ومنخريها المختلجين توكيدا لتقززها . كيف يمكن لأى رجل أن يحب مثل هذه المرأة ؟ اننى لا استطيع ان المسها بأى حال من الأحوال فهى ليست امرأة ، وانما بهيمة . وتوترت أصابعها بغضا وكرها وهى تفكر فى ان ليو قد لمس هذا الجسد وهذه الرأس وكل هذا الجسد وهذه الرأس وكل هـذا الشىء المتأجج المغطى .

وانتقل بهما الحديث الى الحفلة الراقصة التى ستقام الليلة ، وقالت مارى جريس :

ــ ان ثوبى الأسبانى يتمشى تماما مع بشرتى ، وسأضع فى شعرى مشطا كبيرا ، من تلك الامشاط الاندلسية .. فنحن مدعوون الليلة الى مائدة آل بيراردى . هل تأتين ؟

قالت ليزا وهى تخفض عينيهـــا : انا ؟ .. ليس هنـــاك من يرافقنى .

وامسكت وهى تنتظر رد صديقتها فى قلق . خطر لها ان مارى جريس تستطيع ان تدعوها . كانت ليزا تعرف آل بيراردى ، وكانت تمنى نفسها بالذهاب الى الحفلة حيث تلهو وتشرب ثم تطلب من الام ، عند العودة ، ان تترك لها ميشيل (فقد كانت تحب أن تعامله كما لو كان غلاما صغيرا) فيرافقها الى بيتها فى منتصف الليل ،

وتداعبه وتثيره . وسيستقلان عربة مقفلة طبعا ، مطفأة الانوار . والمسافة طويلة . والشوارع مظلمة . وسيجدان متسعا من الوقت للحديث والخلود الى الصمت . صفوة القول ، سيتفقان . وعندما تقف بهما العربة امام البيت ستدعوه للدخول لتناول كأس صغيرة من الشراب او فنجان من القهوة ثم ...

وراق لها هذا البرنامج الذى لابد من وقوعه طبقا لسير الاحداث ، فان من المستحيل ان يرفض ميشيل مرافقتها ، ومن المستحيل ان لا يقبل الصعود معها الى مسكنها .

وتكلمت الأم فقالت : انك لا تفتقرين الى الاصدقاء ... ولن تجدى وسيلة لكى يصطحبك احد .

قالت ليزا فى اصرارها على ان تدعوها مارى جريس : ليس لى اصدقاء غيرك .

ـ شكرا لك . هذه مكرمة منك .

ـ تقولين ان آل بيراردى أصحاب الدعوة ؟ .. ولكننى أعرفهم ، فقد كنت اصطاف معهم .

ـ آه ، حقا !

سألتها ليزا بسذاجة : ومن سيرافقكما .

اجابت مارى جريس فى حدة : ليو ... ولكنه سيجلس الى مائدة أخرى .

فكرت ليزا : لست اهتم بليو .

ثم اردفت تقول بعد صمت قصير : اود لو ان أحضر هذه الحفلة ، لا لشىء الا لكى أرى آل بيراردى .. فقد مضت مدة طويلة على لقائنا الأخير .. نحو سنتين على الاقل .

قالت مارى جريس فى عصبية ظاهرة وهى تدور بطرف مظلتها على حافة الرصيف : آه . لكى ترى آل بيراردى ؟ .. هل تظنين اننى لم أفهم ... انك انما تريدين ان ترى شخصا آخر اهتم انا به .

ـ وفيم يهمك هذا ؟

قالت مارى جريس وهى تهز راسها فى حزن : طبعا . لا يجب ان احفل بهذا .. الواقع انك على حق ، فلا يجب ان احفل اذا أنت سرقتنى أو قتلتنى . وكل هذا لا يقع الا لى انا لاننى طيبة ورقيقة القلب .. لو اننى وطأتك بقدمى منذ اول لحظة لما حدث كل هذا .

ـ ما هذا القول يا مارى جريس ؟ .. ماذا دهاك ؟ .. هل جننت؟

كانتا تتمشيان وتتجادلان على الرصيف المقفر ، واستطردت مارى جريس تقول : نعم . اننى طيبة جدا ... وحين يخطر لى اننى احسنت معاملتك ، وقدمت لك من الخير كل ما استطعت .. وهذا هو عرفانك بالجميل ! .. ورفعت عينيها الى السماء وتنهدت وهى تستطرد : آه ! .. ولكن صبرا .. ان فى هذا درسا لى .

ضحكت ليزا فى ازدراء وقالت : انت طيبة معى ؟ .. انت !

وساد صمت ، ثم عادت الأم تقول وهى تبتعد عن صديقتها ، وتنظر امامها كما لو كانت تخاطب شخصا ثالثا : ومهما يكن فاننى لا افهم كيف يستطيع المرء أن يحب بعض النساء .

— هذا ما لا افهمه انا ايضا .

امتقع وجه ليزا ، وارتجفت شفتاها . لماذا تبدى صديقتها كل هذه القسوة ؟ انها لم تسىء اليها ابدا ، واذا كانت تقلق على ابنها بهذه الصورة فانها تسىء بذلك الى منافستها القديمة ، ففيم يهم مارى جريس اذا كانت تريد أن تذهب الى الحفلة الراقصة لكى تلتقى بميشيل ؟ ولما كانت هذه أول مرة يتجنى عليها فيها احد تقريبا فقد كان غضبها شديدا لأنها تحب ميشيل وميشيل يحبها .. كيف يستطيع المرء ان يجد فى مثل هذه القصة النقية الطاهرة مادة للاستياء والفضيحة ؟

واستطردت الأم تقول : وماذا حدث ليلة الأمس ؟ .. حسنا .. اننى اظن .. اننا لم نستطع احتجازه فى البيت ، فقد كان يغالب النوم ، وانصرف . ولكنك كنت تنتظرينه طبعا . هل تفهمين ما اقول ؟ .. يجب أن تخجلى من نفسك (ونظرت الى صديقتها من اعلا راسها الى اخمص قدميها وشفتاها المصبوغتان تتقلصان لفرط اشمئزازها) انك تجاوزت سن الشباب .

قالت ليزا : اننا فى نفس السن تقريبا .. بل انت تكبريننى سنا .

اجابت الام فى قوة : كلا يا سيدتى العزيزة . ان حالتينا مختلفتان ، فأنا ارملة ... اما انت فما زلت متزوجة .. وزوجك حى يرزق .. يجب أن تموتى من الخجل .

نظرت ليزا الى مارى جريس فى ذهول .. هل يمكن لهذا الوجه الغاضب الغيور ان يعبر عن .. الحب الاموى .. انه لحب أموى غريب ذلك الذى يولد مثل هذا الغضب عند امرأة لم تشعر ابدا

بالحنان نحو ولديها . الا يمكن ان تكون غيرتها غير شهوانية ؟ .. غيرة عاشقة ؟ .. وفجأة ادركت .. واحست بالارتياح فى بادىء الامر ثم نظرت الى الام ، وعاد الشك يجتاحها فسألتها :

ـ مارى جريس ، قولى لى .. انك تتكلمين عن ليو ، أليس كذلك ؟

رات صديقتها تومىء بالايجاب فى ضيق والم وكأنها تقول : لماذا تسألينني ؟ .. انت تعرفين ذلك جيدا ، فليس لى غيره .

نمت عينا ليزا عن رثاء مشوب بالنصر وقالت : يا لك من مسكينة يا عزيزتى مارى جريس .

ورات الآن بعين الخيال مشهد الأمس . ليو وكارلا متعانقين على ضوء الشمعة ، وقالت تحدث نفسها : انمـــا يجب أن تغار من ابنتها . واحست بشىء من الشفقة نحو هذه المراة المسكينة ، ولكنها احست فى نفس الوقت بفرح طاغ لأنها غير مذنبة بما اتهمت به بحيث لم تدر هل ترد عليها مشفقة او مزدرية . وقالت أخيرا :

ـ يمكنك ان تتأكدى اننى لم ار ليو لا امس ولا .. اى يوم آخر . وانى أقسم لك على ذلك بكل ما هو مقدس .

راحت الأم تنظر اليها فاحصة ، بعين متشككة ثم اطرقت براسها وقالت بلهجة حاولت ان تبدو فاترة وفورة : من الاوفق ان نفترق ، فالوقت متأخر .

وعادت ليزا تقـول مترددة : صدقينى ... ان فى الأمر سوء تفاهم .

ونظرت حولها كما لو لتبحث عن حجة او قرينة دامغة . ووقفت تنظر الى اليمين والى اليسار وهى لا تدرى ما تفعل . اما مارى جريس فقد راحت تبتعد فى بطء ، وهى مطرقة الى الارض فى شرود وتفكير ، وودت ليزا ان تصيح بها : « انه انما يخونك مع كارلا وليس معهم ... مع ابنتك يا عزيزتى المســـــكينة مارى جريس .. » . ولكن الام أخذت تبتعد ، ونم تقوس ظهرها عن اصرارها على عدم الالتفات نحو الحقيقة ، ولم تلبث ان اختفت .

الفصل الحادى عشر

بلغت مارى جريس البيت وهى فى حالة من التعب والارهاق ، ووجدت ميشيل جالسا فى غرفة الانتظار ، يدخن ، فقالت وهى تخلع معطفها : اننى ميتة .. اين كارلا ؟

اجاب : فى الخارج .

وخرجت مارى جريس من غير ان تنطق بكلمة اخرى.

كان ميشيل سىء المزاج ، فان احداث مساء الأمس تركته فريسة لسخط كئيب . كان يدرك أنه لابد من ان يتغلب على ضعفه وعدم مبالاته ، وان يتصرف . ولا ريب ان العمل كان يمليه عليه منطق غريب من الصدق والوفاء ، فان الحب البنوى وكراهيته لعشيق امه والعواطف العائلية كانت احساسات ومشاعر لا يعرفها ، ولكن ما الأهمية ؟ .. عندما لا يكون الانسان صادقا ومخلصا فلابد له من ان يتظاهر بذلك ، ولفرط تظاهره ينتهى به الأمر الى ان يصدق ذلك . وهذا هو مبدأ كل الايمان .

صفوة القول : هل لابد له ان يتحمس وان يحتد .

لننظر الى ليزا مثلا . اننى لا احبها . بل اننى لا اشتهيها ، ومع ذلك فاننى قبلت يدها بالامس .. وسأمضى اليهـــا اليوم ، سأكون فاترا جدا فى البداية ثم اضطرم وتأجج .. وهـــذا سخف ولكننى اعتقد ان الأمر سينتهى بى الى أن أصبح عشيقها .

لم تكن هناك أية مأساة حقيقية بالنسبة له ، وذلك لافتقـــاره الى الصدق والايمان . كان ضجره يجعله يرى كل شىء سخيفا كاذبا يستحق الرثاء ، ولكنه كان يدرك صعوبة واخطار الموقف . كان لابد له من أن يتحمس وأن يتصرف ويتألم وينتصر على هذا الضعف .

وفكر يقول فى اسف ساخر : لقد كانت الحياة جميلة حقا عندما كان الزوج المخدوع يصرخ فى وجه زوجته قائلا : ايتهـا الزوجة الفاجرة ، موتى جزاء جرائمك . وانه لشىء جميــل أن يفعل المرء

ما يقول حقا ويهجم على الآثمين ويقتل الزوجات والعشاق جميعا ويبقى وحيدا غير مجازى . لا يبكته ضميره . فى تلك الاوقات السعيدة كان التنفيذ يلى الفكرة ، ولم تك الحياة سخيفة كما هى الآن . كانت عبارة عن مأساة يموت فيها المرء حقا ويقدم على القتل وعلى الحب وعلى الكراهية . وكان يذرف الدموع الحقيقية على المصائب الحقيقية . كان جميع الرجال مخلوقين من لحم ودم ، ومرتبطين بالواقع ارتباط الاشجار بالارض . وشيئا فشيئا تتلاشى السخرية ويبقى الندم . وود ميشيل لو انه كان يعيش فى تلك العصور المفجعة وان يحس بذلك الحقد الجارف وان يسمو على هذه المشاعر التى لا حدود لها .. ولكنه كان مكبلا فى عصره وفى حياته وفى مستوى الارض .

صعدت كارلا السلم فى بطء . كانت عائدة من لعب التنس . وكانت ترتدى بلوفر متعدد الالوان وجونلة بيضاء وتضع معطفها على ذراعها وتحمل فى يدها مضرب التنس وشبكة صغيرة مملوءة بالكرات ، وكانت تبتسم . وقالت قبل ان تبلغ الدرجات الاخيرة : اين امى .

وصعدت آخر درجة ووقفت امام ميشيل وقالت : اننى التقيت ببيبو رينالدى ، وقد دعانا للعشاء انا وامى .. وسيصحبوننا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة ، ويمكنك أن تنضم الينا اذا أردت .

وسكتت ، ولم يجب ميشيل وراح يدخن . وجاءت الام فى هذه اللحظة فعادت كارلا تقول : اتعلمين يا امى ؟ .. لقد دعانا آل بيراردى العشاء . وسيصحبوننا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة .

قالت الأم بدون حماس : هذا حسن . يجب أن نفرغ من ارتداء ثيابنا مبكرين اذن .

كان انفها مضطرما ومثلجا . وكان وجهها الخالى من المساحيق يلمع قليلا ، وبدت فى عينيها نظرة باردة وهى تقول : اما انت يا ميشيل ، فاننى أريد ان أتحدث اليك .

خرجت كارلا ، وتظاهر ميشيل بدهشة كبيرة وقال : تريدين أن تتحدثى الى ؟ .. وفى اى شىء ؟

هزت الأم راسها وقالت : انك تعرف ذلك خيرا منى .. انك

رميت بتلك المنفضة امس ، ولكنك اصبتنى أنا ... وما زلت احمل اثرها .

وهمت بأن تكشف عن ذراعها ولكن ابنها اوقفها قائلا فى تقزز : كلا ، ارجوك . لا داعى للعرض ... فأنا لست ليو .

ساد صمت ، وتقلص وجه الأم وتجهمت نظرتها وقالت فى صوت متغير : اننى لا اريد الا خيرك ، فماذا دهاك يا ميشيل ؟ قل لى ماذا بك .

ـ ليس بى شىء .

وتملكه الحنق وازداد ضيقه وفكر : انها لتعرف ما بى تماما . واذا هى استمرت على هذه الخطة فستغدو سخيفة ومضحكة . يجب ان اوقف هذه الموجة من الرومانسية بكل ثمن ، فلا اريد أن أراها تبكى ولا أن تصرخ او تتوسل ...

واستطردت الأم تقول : ميشيل . قدم خدمة لأمك وكن لطيفا مع ليو .. أو على الأقل حاول أن تشعر من نحوه الود فان ذلك يسرنى .

صمت قصير ثم سألها ميشيل : وهو ؟ .. هل يشعر بشىء من الود نحوى ؟

قالت الأم وهى تضحك ضحكة فتية مؤثرة لفرط ما فيها من سذاجة وتوهم : هو ... انه يحبك كما لو كنت ابنه .

ـ آه ... حقا ؟

نظر ميشيل اليها فى غباء وقد ثبطت همته ازاء حسن نيتها وعدم ادراكها وفكر : ليست هناك أية جدوى ، فان هذه الحكاية هى مجالها .. انه يعيش فى عالم امه ، وهو عالم مشوه وزائف ومضحك لا مكان فيه له ولا لذكائه . واستطردت الأم تقول وهى تضحك ضحكتها الواضحة الظافرة : انه خير الرجال على الارض .

ولم يسعه أن يول شيئا عندئذ ، فان الارض نفسها قد اهينت ، وستكف عن الدوران . واستسلم للأمر الواقع ولزم الصمت . وعقبت الأم تقول :

ـ وهو غالبا ما يحدثنى عنك . وقد قال لى امس بالذات « اننى اعرف ان ميشيل لا يحبنى كثيرا ولكننى لا اعبأ بذلك ، ولا يهمنى الا اسعاده . لن تلبث كارلا أن تتزوج ، ولابد له من أن يستقر هو الآخر وأن نجد له عملا . سأوصى به بعض اصدقائى من ذوى

النفوذ .. ان له عيوبه طبعا ، ولكن من منا خال من العيوب .
ابتسم ميشيل وقال فى ازدراء : أحقا انه قال انه يريد مساعدتى ؟
اجابته الأم : نعم . على شرط ان تكون لطيفا معه ... والا انتهى به الأمر الى الغضب منك . ارايت الى كارلا . فلتكن مثالا لها . انها لاتنطق بكلمة زائدة ابدا ، ولا تأتى باشارة فى غير موضعها .. وقد تعلق بها كثيرا .
قاطعها ميشيل وقد ازداد اهتمامه : آه .. هل تعلق بها ؟
ـ نعم . الى حد انه اصبح يفكر فيها كما لو كانت ابنته ، فهو مثلا قد ادرك انه لابد من تزويجها .. ان عاجلا وان آجلا ... فاهتم بذلك . وقد تحدث معى فى هذا الامر أمس ونحن فى فندق الريتز ، وقال لى ان بيبو بيراردى سيكون خير زوج لها .
صاح ميشيل : ولكنه دميم جدا .
ـ غير ان دمامته مقبولة ، وانت ترى انه لابد لنا من الحفاظ على عزيزنا ليو لكى لا يفلت من ايدينا .
همس ميشيل وهو يرتجف فرحا : عزيزنا ليو .
واذا اطمانت الام اخذت يد ميشيل وقالت : هل تعدنى ان تكون لطيفا معه ؟
واحتلج صوتها من انفعال مفاجىء صادق ، وتفتح قلبها كصندوق مشحون بالحب تريد ان تفرغه على العالم اجمع ... على ليو وكارلا وميشيل وبيبو بيراردى ، وعادت تقول : هل تعدنى يا ميشيل ؟
اجاب ميشيل وهو يحس بالضيق امام عينيها اللتين تلمعان من الانفعال : نعم .. اننى اعدك .
ودخلت كارلا فى هذه اللحظة وقالت : ماذا تفعلان ؟ .. حسبتكما فى غرفة الطعام .
قالت الأم : كنا نتحدث ، وكنت أقول له ان يكون لطيفا مع ليو .. ألست على حق يا كارلا ؟ .. انه كثير المجاملة لنا ، وهو صديق قديم للبيت ، ورآكما تكبران ، ولا يجب معاملته كشخص غريب .
وتوقفت كارلا جامدة الحركة فى منتصف الغرفة ونظـــرت الى امها . وعندئذ ولأول مرة تراها عمياء الى هذا الحد ومسالمة ، ادركت انها خانتها ، وقالت فى سرها « ماذا تفعلين لو عرفت ؟ » .
وقالت فى صوت مسموع وهى تغمض عينيها نصف اغماضة :

اظن ان المرء يجب ان يكون لطيفا مع الجميع .
ـ هل تسمع ؟ .. ان كارلا تشاطرني الراى . تعالى هنا يا كارلا .. تعالى حتى أراك (وجذبتها فى حنان مفاجىء ، واجلستها فوق مسند مقعدها ، وربتت بيدها على خدها وأردفت) يخيل لى انك شاحبة قليلا يا ابنتى ... هل نمت جيدا ؟
ـ نعم .
ـ ولكنك شاحبة جدا يا كارلا . لعلك أرهقت نفسك اكثر من اللازم فى لعب التنس .
ـ ابدا يا امى .
وهبطوا ثلاثتهم الى غرفة الطعام . وقالت الأم وهى تجلس : فلنتحدث الآن فى شيء آخر .. من الذى وجه اليك الدعوة يا كارلا ؟ .. اهو بيبو أم الآخرون .
ـ بل هو بيبو .
ـ آه . كان فى ملعب التنس اذن ؟ .. هل بقيتما معا مدة طويلة ؟
ـ نصف ساعة .
ـ نصف ساعة فقط ؟ .. وفيم تحدثتما .
اجابت كارلا : لا شيء على وجه الخصوص . كنا نشاهد اللاعبين .
ـ وما رايك فيه ؟
قالت كارلا فى غموض : هكذا .
ـ وانت يا ميشيل ؟ .. ما رايك فيه ؟
ـ انه دميم ولكن دمامته مقبولة .
وكانت هذه العبارة الاخيرة هى نفس العبارة التى استخدمتها مارى جريس ، فراحت تلتمس البصر حولها غير راضية كما لو كانت تلتمس آراء أخرى ، وقالت :
ـ انه شاب ذكى ومثقف . وقد سافر كثيرا ، ويعرف أناسا كثيرين ، ويميل اليك يا كارلا .
ـ حقا !
ـ ولا ريب انه ثرى ، فان لدى أبويه خمس سيارات وابوه رجل اعمال ناجح ... رجل عصامى بدأ من لا شيء .
ولزمت الصمت لحظة ثم عادت تقول : كنت اراقبك فى ذلك اليوم ، وانت ترقصين مع بيبو .. وبدا لى انك باردة ، متصلبة ...

وكنت ترقصين كما لو كنت دمية آلية .. ومهما يكن فانه لم يدعوك الى الرقص بعد ذلك .

اجابت كارلا فى حدة : لم أكن باردة . اما هو فكان ملتهبا . وكان يلقى على سمعى كلمات بذيئة ، فرجوته ان يسكت وختمنا الرقصة صامتين .

هزت الام راسها غير مصدقة ، وقالت وهى تبتسم ابتسامة كبيرة : كلمات بذيئة ؟ .. انما هى نفس الحماقات التى اعتاد الشباب القاءها على آذان الفتيات ، وأولى بك ان تعترفى يا كارلا بأنك لا تميلين اليه .

ـ انه امتدح جمالك انت فى بادىء الأمر .

قاطعتها الأم وقد ملأها الغرور : صحيح ؟

ـ نعم . ثم طلب منى بعد ذلك ان ارافقه لزيارة مرسمه .. وسألته عندئذ عما يفعل فيه فأجابنى بأنه يهتم بالنساء العرايا .

قالت الأم : حسنا .. وما الضير فى ذلك ؟ .. أليس فنانا ؟

ـ انتظرى ... سألته عندئذ ، وبكل سذاجة ، هل يرسم بالقلم او بالفرشاة فضحك واجابنى بصوته المتكلف : « بل اننى لا أعرف كيف أمسك بالقلم يا آنسة ولا كيف استخدم الفرشاة ، فسألته ماذا يفعل اذن فاستغرق فى الضحك وقال : « ما عليك الا ان تاتى معى وسوف تعرفين » وقرن عبارته هذه بغمزة من عينه لها معناها ، ولما قلت له « لا » بلهجة جافة صاح مشدوها : « لا اخالك تقولين ان هذه أول مرة ؟ هل تفهمين ؟ .. كان يظن اننى اعتدت الاختلاف الى استوديوهات الفنانين ، ولم أرد عليه بشىء طبعا . وانتهى الأمر بيننا عند هذا الحد .

صعقت مارى جريس ، وتقلص فمها لفرط الاشمئزاز وقالت فى حد : يا له من وغد !

قالت : كارلا من غير ان ترفع راسها : الواقع يا أمى انهم يتكلمون عنى بكل سوء .

كانت هادئة تماما . كانت واثقة ان السنة السوء لن تلبث ان تنتصر وانه اما أن تهرب مع ليو واما ان أمرها سوف ينكشف . واستسلمت لمصيرها . وبدا ان ايمانها بحياتها الجديدة قد ضاع الى الأبد ، واردفت تقول فى حزن : والا فلماذا يتكلمون عنى هكذا .

نظر ميشيل الى اخته مليا . بدت له حزينة وسالمة ، ولكنه

لم يدر كيف يواجه الامر وراح يقـــــول لنفسه : « هل يجب ان اغضب ؟ » احس بأنه بارد وبأنه يميل الى التفكير . وراح يفحص كارلا . رآها فاتنة ، وتخيل شهوة بيبو ، وقال يحدث نفسه » انها فتاة جميلة ، وبيبو يتمتع بذوق سليم ، وهى قد راقت له ، وله الحق على كل حال فى أن يتصور انها ليست المرة الاولى » وصور له خياله اخته بين ذراعى رجل وقد القت بنفسها فوق صدره .. هذا ممكن تماما فهى امراة هى الاخرى .. ولها غرائزها .. وميولها . ثم انها ناضجة تماما . وتذكر انه رآها عرضا ذات يوم وهى خارجة من الحمام ، وما زال يحتفظ حتى اليوم بذكرى صدرها العارى .

وادرك ان من واجبه ان يقول كلمته وان هذه الظروف الشاقة تقتضيه ان يعبر عن سخطه التام امام هذه الاهانة والا وقع مرة اخرى فى استخفافه القاتل الذى يمنعه من التصرف ومن العيش كغيره من الرجال .. انه لعب مع اشباحه بما فيه الكفاية ، وعليه الآن ان يدخل بقدم ثابتة فى المأساة ، الآن والا ضاعت الفرصة ، فصاح يقول مرددا عبارة امه : يا له من وغد ! .. اننى ما زلت جديرا بأن اذهب اليه واصفعه صفعتين .

ورفع عينيه وراى صورته فى المرآة .. هل هذه صورته هو ام صورة رجل آخر ، تلك التى تنظـر اليه بهاتين العينين الخبيثتين وكأنها تقول له : انك لست جديرا بأن تفعل ذلك .

تحولت كارلا اليه وقالت : اشكرك كثيرا . ولكننى أوقفته عنـد حده ، ومن الأوفق أن تدعنى أتصرف .

صاح وهو يرى فى ارتياح انه بدا ينفعـــــــل ويحتد : اتركك تتصرفين ؟ .. الا تظنين اننى اذا قلت له كلمتين فقد يدرى مدى الخطأ الذى اقدم عليه .

عادت تقول وهى تنظر اليه فى إهتمــــام : ارجوك . دعنى انا اتصرف .

كانت هذه اول مرة ترى فيها ميشيل فى هذه الهيئة ، وفى دور الاخ المنتقم . على انها وجدت لعبته ثقيلة ومغالى فيها ، كما لو كان ممثلا لا يتقن دوره ، وفكرت فى انزعاج : « ماذا يفعل لو عرف اننى بذلت نفسى لليو ؟ .. » وكانوا قد فرغوا من الطعـام تساءلت فى انزعاج : « وماذا تنوين أن تفعلى اليوم يا أمى ؟ » .

وانتظرت الرد فى قلق كبير وهى تقول لنفسها : « عسى ان لا تطلب منى مرافقتها » فقد كانت تريد قضاء الاسبوع مع عشيقها . وادركت انها لن تستطيع الاستغناء عنه ، فقد بدات العادة تحل محل الرغبة فى حياة جديدة ، واحست بلهفة كبيرة ومؤلمة تدفعها الى العودة الى تلك الغرفة والى احضان ذلك الرجل .

وقالت الأم فى غير اكتراث ظاهر : انا ؟ .. لا ادرى .. اظن اننى سأذهب لشراء بعض الاشياء . وانت ؟

وراح قلبها الناضج والمملوء بالاوهام يدق بشدة ، فان هذا اليوم هو يومها هى ، سيعود فيه عشيقها اليها ... الى حبيبته القديمة بعد اخطاء عابرة . واجابتها كارلا وهى تتظاهر بعدم الاكتراث هى الأخرى .

ــ انا ؟ .. ان كليريت دعتنى لتناول الشاى معها .

وسكتت الام والابنة ، واطرقت كل منهما بعينيها الى الارض وهى تشعر بالانتصار والرضا . وارتسمت على وجه كل منهما دلائل الارتياح ، وحملت كل منهما فى قلبها صورة عشيقها المشترك ، وانحنت كل منهما فى هذه اللحظة كما لو لكى تقول له : انظر ايها الحبيب .. لقد نجحت اللعبة .. ولن يزعجنا احد .

ونهضت المرأتان وغادرتا غرفة الطعام . وكانت مارى جريس اول من دخل غرفة الصالون وهى ترتعش وتفرك يديها . وما كادت تفعل حتى صاحت مشدوهة : اهذا انت يا ميروميس ؟

واسرعت للقائه وشدت على يديه قائلة : هل تنتظرنا منذ وقت طويل ؟

ودخلت كارلا بدورها ، وصاحت هى الاخرى فى مرح : ليو ! .. وكان ميشيل آخر من دخل فحيا ليو باشارة من يده ووقف بالباب لكى يشعل سيجارة ثم خرج .

وقالت الأم وهى تجلس وتفرك يديها فى قوة تدل على سرورها : حسنا .. وأى ريح اتت بك ؟

اجاب ليو متندرا : لم تأت بى الريح وانما اتت بى سيارتى جاءتنى رسالتك وقد اردت ان اتحدث معك فى التليفون ولكننى عرفت المشكلة ...

ــ فأتيت بنفسك .. هذه مكرمة منك . اسمعى يا كارلا . اذهبى وقولى للخادمة أن تعد القهوة لأربعة .

نهضت كارلا وخرجت مطرقة الراس . وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة فاتنة : والآن . قل لى .. هل فكرت فى الرد الذى طلبته منك ؟

اجاب ليو وهو يتأمل رماد سيجارته فى اهتمام : نعم .

سألته الأم عندئذ فى تلميح وقلق : حسنا يا لولو .

ونهضت فجأة ، فى رفق ورقة ، كما لو كانت تريد أن تنتزع سرا وتقدمت نحوه وقد بدا الاعزاز والحب فى عينيها ، ومرت خلفه والقت بذراعيها حول عنقه ومالت براسها حتى لامست بخدها خد عشيقها وقالت : وما هو ردك اذن .

ابعد ليو راسه واجاب وهو يحدق فى سيجارته : لا شىء .

اخذت المراة يده الأخرى ومرت على وجهها ودعكت بها انفهـا البارد كالكلب الوفى وقالت : هل تحبنى ؟

ثم اردفت تقول كما لو كانت قد ادركت خطر هذه الفورة من العواطف .. سوف آتى .. ولكنك ستكون عاقلا طبعا .. عاقلا جدا .

واعادت بذلك ، دون وعى منها ، نفس الكلمة التى سبق أن نطقت بها فى اول لقاء مع ليو عندما دعاها الى بيته ، فقد دخلت مسكنه منذ خمسة عشر عاما وهى تطلب منه ان يكون عاقلا جدا .
واردفت تقول وهى تطبع قبلة كبيرة على يده البـاردة وتستمتع مسبقا بما تحويه كلماتها من تلميح واشارة :

— سوف تكون ظريفا معى ، وسنكون طفلين صغيرين رفيقين .

وكانت تنطق بهذه الكلمات وهى ترتجف لفرط سرورها ، وتصاحبها بحركة صغيرة متوعدة من اصبعها . وبطريقة خبيثة ، ثم تستلقى على الفراش وتدعو عشيقها بجوارها وتقول له فى مرح وهى تأتى بنفس الحركة المخدرة : وسنكون طفلين صغيرين رفيقين » ثم يبدأ بعد ذلك حبهما المعقد الفاجر .

ولكن ليو هز راسه هذه المرة وقال دون اى ضيق : اننى مضطر ان اخبرك يا مارى جريس بأن من المستحيل ان نلتقى اليوم .. فاننى مرتبط بموعد هام يتعلق بالعمل .

قالت مترددة : اتعنى اننى لن اراك اليوم ؟ ولكنك سترى ليزا .. نعم ، ستراها ، فلا مستحيل مع امراة مثلها ... اهذا هو الموعد الهام الذى تتعلل به . حسنا .. على رسلك يا لولو .

وانحنت فوقه ، وبطرف اصابعها قرصته فى ذراعه بكل قوتها وهى تجز على اسنانها . وهز ليو كتفيه فى غضب ، ودعك الجزء الذى يؤلمه من ذراعه ولكنه لم ينطق بشىء . وعادت المراة تقول وهى تحدق فيه بعينيها :

ــ ولكن ، هل تفهم ما اقول ؟ انك على حق . انك على حق مائة الف مرة . وانا الغبية الحمقاء التى لا تصلح لشىء ... ولكنك سوف ترى غدا .

وارتدت خطوة الى الوراء لكى ترى تأثير تهديدها . ولكنها الفته غير حافل بها . ودخلت كارلا فى هذه اللحظة ومعها فناجين القهوة ، وقالت :

ــ ان ميشيل خارج ، وسيشرب ليو فنجانه .

وقالت الام وهى تضع فنجانها الفارغ : ان لدى خبرا سارا لك يا ليو ، فقد التقيت صباح اليوم بحبيبتك ليزا .

قال ليو ضاحكا : حبيبتى ليزا ! ولماذا هى حبيبتى ؟ .. ومنذ متى ؟

قالت الام فى رقة وغباء : ان اللبيب بالاشارة يفهم .. وقد كلفتنى ان انقل اليك ارق تحياتها .

اجاب ليو من غير ان يضحك هذه المرة : اننى اشكرها جيدا ، ولكننى لا افهم معنى هذا يا سيدتى العزيزة .

ــ بل انك تفهمنى تماما . وبحق السماء لا تنس موعدك معها .. والا فانت الخاسر حقا .

وارتجفت شفتاها وهى تتكلم ، وهز ليو كتفيه ولم ينطق ، فقالت كارلا وهى تنحنى الى الامام : ما الخبر ؟

وراح قلبها يدق بشدة لفرط القلق ، وكادت تختنق . وودت لو أن تنهض وتفر من امام هذين الشخصين ، وتهرب من هــذا الجو الخانق .

وقالت الام وهى تحاول ان تتظاهر بالهدوء وعدم الاكتراث : الخبر ان صديقنا ليو كغيره من رجال الاعمال .. فهو رجل كثير المشاغل .. رجل اعمال .. قليل امثاله .

وانفجرت فى ضحكة عصبية . وفجأة قطعت عقــدها وانفرطت حباته فوق ركبتيها وانحدرت من عينيها دمعتان نجستان . ثم ، وكما لو أن شيئا انقطع فيها هى الاخرى ، راحت تبكى ، وانسابت

الدموع فوق وجنتيها فى حين تدحرجت حبات العقـــد من فوق ركبتيها الى الارض دون أن تحاول منعهـــا . وقال ليو فى سره : « اللعنة على هذه المراة ! .. فلتذهب هى ودموعها الى الشيطان » وراح يحدق فى طرف حذائه ، فى حين نهضت كارلا وقالت : ولكن .. ما الخبر ؟

كان صوتها باردا ، وارتسمت فى عينيها امارات الضيق . وفتح ميشيل الباب فى هذه اللحظة ، وكان قد فرغ من استبدال ثيابه تأهبا للخروج وقال :

ــ بالباب امراة تسأل عنك ومعها صندوق .

ولكنه ما ان راى امه تبكى حتى امسك عن الكلام على الفـور وقال : ما الخبر .

واجابت الام : لا شيء .. لا شيء .

ونهضت على عجل ، غير آبهة بحبات العقد التى تدحرجت فـوق الارض ، وتمخطت ثم قالت : اننى ذاهبة .

وخرجت وهى تنحنى قليلا . كما لو اكى تخفى شـــيئا ، وعاد مشيل يقول وهو ينظر الى ليو فى فضول : ماذا حدث ثانية ؟

هز ليو كتفيه واجاب : لا شيء .. انها قطعت عقدها ثم راحت تبكى .

وساد صمت . ونظر ليو الى الارض وهو واقف فى منتصف الغرفة لا يتحرك . ونظر ميشيل اليه فى تردد وضيق . لم يشعر بأية شفقة نحو امه ولا بأى حقد نحو ليو ، وانما احس بأنه لا لزوم له ولا فائدة منه . واحس لمدة لحظة برغبة شديدة فى أن يتصرف وان يحتج وان يلقى الاسئلة ويبدا العراك . ولكنه لم يلبث ان قال لنفسه فى شيء من المهانة والضجر ان هذه الأمور لا تعنيه فى شيء فى النهاية فقال فجاة : افعلوا ما تشاءون . اما انا فاننى خارج .

وخرج . وقال ليو يخاطب كارلا قبل ان ينقفل الباب تماما : تعالى هنا ، بجوارى .

كانت وقاحته المتصنعة تخفى خلفها رغبة جعلته يبدو مضحكا . وسألته كارلا وهى تقترب منه : هل نمت جيدا ؟

ــ نعم .

ومد ذراعه وامسكها من خصرها ، وجذبها اليه وقال : سوف تأتين معى . تذدعى بأى شيء .. صديقة .. او [illegible] .. ستأتين ؟

وضمها اليه في قوة وقال : وهذا الصباح ؟ .. هل سار كل شيء على ما يرام ؟

ـ تماما .. لم يلحظ احد شيئا .

قال : لقد كان الوقت مبكرا جدا .

ثم هز راسه ورفع عينيه . واجلس كارلا على ركبتيه وقال وهو ينظر اليها في غباء : الا تخشين الآن ان يأتي احد ويراك ؟

هزت كارلا كتفيها واجابت في صوت واضح : سيان عندي هذا .

اطرب هذا الرد ليو ، ولكنه عاد يقول في اصرار : ولكن ماذا تفعلين لو دخلت امك في هذه اللحظة ؟

ـ ساقول لها كل شيء ثم امضي واعيش معك . ولكن لماذا بكت امي ؟

ـ لانني قلت لها انني لن استطيع استقبالها اليوم .

سالته في رفق : وهل ستقول لي نفس الشيء ذات يوم ؟

ـ لماذا ؟

كان الشيء الذي اثار ليو في هذه اللحظة وطرب له هو التباين في استجابة كارلا لملامساته ومداعباته بدليل ارتعاش اطرافها واختلاجاتها وعدم الاكتراث والهدوء البادين على وجهها حتى انه فكر « لكأن جسدها ليس ملكا لها » .

وبعد لحظة صمت رفع عينيه اليها وقال : فيم تفكرين ؟

ـ في اليوم الذي ستقول لي فيه انك لن تستطيع استقبالي .

اجاب ليو : ما هذا الهذر .. ليس هناك اية علاقة .

ـ انك تقول هذا الآن .. ولكن فيما بعد ؟

قال ليو يحدث نفسه : « انها تغار من ماري جريس .. تغار من امها » وملأه الغرور وقال في صوت مسموع : لا تخافي . لا تفكري في هذا الأمر . لقد انتهى ما بيني وبين امك ... انتهى .

ـ لم اقصد هذا .

وكانت تحاول ان تعبر عن احساسها الغامض وان تسأله اذا كان يحبها عندما انفتح الباب فتمتمت وهي تتخلص منه : دعني .. ها هي امي .

وبحركة سريعة افلتت منه وانزلقت الى الارض . ودخلت ماري

جريس وقد استردت هدوءها ، وفي يدها صندوق صغير من الورق المقوى وقالت :
ـ ماذا تفعلين .
ـ انني اجمع حبات العقد .
ورفعت الأم غطاء الصندوق وقالت : لم تكن الخياطة كما ظننت ، وانما امراة اخرى تبيع بعض القماش والوسائد ، وقد اشتريت منها وسادة .. اليست جميلة .
قالت كارلا : نعم . ولكنني لا ارى لها اية فائدة ، فالبيت مملوء بالوسائد .
ونهضت ، وافرغت حبات العقد التي جمعتها في اناء فوق المنضدة ثم قالت تخاطب ليو : سأذهب لاستبدال ثيابي فانتظرني .
صاحت الأم وهي تنظر الى الساعة : ولكن ما زال الوقت مبكرا .
ـ ولو !
ـ ولكن يا ابنتي ...
وخرجت المراتان وهما تتكلمان وتتجادلان ، وبقي ليو وحده فالقى بسيجارة في المنفضة ، واخرج من جديد مبردا صغيرا وبدا يقلم به اظافره . واخذت منه هذه المهمة عشر دقائق ظهرت كارلا بعدها وقالت وهي ترتدي قفازيها :
ـ حسنا يا ليو .. هل ننصرف ؟
نهض وتبعها الى الخـــارج . وفي الردهة اتى ببعض الاعمال الجنونية المضحكة اذ قال وهو ينحني : هل اطمع في ان يكون لي شرف مرافقتك يا آنسة .
اجابت كارلا وقد اصطبغ وجهها وابتسمت رغما عنها : انني اسمح لك بذلك .
وخرجا وهما يضحكان ويتدافعان .

الفصل الثانى عشر

خرج ميشيل لكى يزور ليزا . وكان الوقت لا يزال مبكرا فلم يشأ ان ينتظر الترام وآثر ان يمضى اليها سيرا على الأقدام . وكانت هذه الزيارة بالنسبة له على جانب كبير من الاهمية ... كانت تجربة اخيرة لصدقه وسلامة طويته . وراح يتساءل وهو يمشى ان كانت هذه التجربة ستفلح . كان يواجه احتمالين . وكان كل شىء واضحا فى الاحتمال الاول ، فما عليه الا أن يعتزل مع نفسه وافكاره واحاسيسه ومع الاشخاص الذين يحبهم ، ان امكن ، وان يبدأ على هذا الاساس ، حياة قوية ، مطابقة لمبادئه فى الصدق والاخلاص . اما الاحتمال الثانى فمعناه هزيمة روحية ، ولكن فيما عدا هذا فلن يتغير شىء ، وعليه أن يكيف نفسه ، بقدر ما يستطيع على حياته الجديدة ، وبمعنى اصح ، ان يعيش فى بيت خرب تمتد اليه يد الترميم والاصلاح بين وقت وآخر ما دام لا يستطيع ان يبنى بيتا جديدا ، وان يدع اسرته تسير الى الدمار . او ان يرضى بأن ينفق ليو عليهم ، وفى هذه الحالة لابد له من تقبل وضعه المهين فيودع حياة الطهارة والنقاء ، ويغدو عشيقا لليزا .

والفيللا ؟ .. والرهنية ؟ .. سوف يتدبر هذه النقطة مع ليو . سيقول له « ستقدم لى المال يا ليو ، وساعطيك نظير ذلك ؟ .. » ولكن ما الذى تبقى له لكى يعطيه اياه ؟ .. آه .. هناك ليزا .. « ستقدم لى المال وسأقنع ليزا بأن تعود اليك فى نظير ذلك » . ولكن ما العمل اذا لم يشأ أن يعرف شيئا عن ليزا ؟ .. او اذا رفضت ليزا العودة الى ليو ؟ .. اذن .. لم يبق هناك غير كارلا لكى تنقذ الموقف .. نعم ، ان كارلا هى ملجأه الاخير .. وما دام لابد له من ان يأكل من هذا الخبز ، فأولى به أن يفرغ من هذا العمل على خير وجه ، وعليه ان يعرض على ليو الزواج بكارلا .. سيكون زواج مصلحة ، كما يقال ، وسيأتى الحب فيما بعد ... وحتى اذا لم يأت فلن يكون هناك شر كبير .. فسوف تجد كارلا

وسائل كثيرة لكى ترفه عن نفسها .. فهناك رجال كثيرون غير ليو . ولكن ماذا يفعل لو ان ليو أراد ان يتخذها عشيقة ؟ وان لا يقدم له المال الا بهذا الثمن ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يسير قدما فى طريقه الى بيت ليزا : « انه جدير بأن يفعل هذا ... جدير جدا . وارهقه التعب والتقزز وهو يقول : الى الأمام .. حتى النهاية .. اذا لم يقبل ليو الزواج بكارلا .. وهذا احتمال متوقع فمن الممكن عقد اتفاق بين الطرفين .. فيقدم ليو المال ، وسيقدم طبعا مبلغا أكبر نظير شباب كارلا الذى لم يلمسه أحد ونظير جمالها ... سيطلب منه ضعف المبلغ الذى كان ينوى ان يطلبه من أجل ليزا ... بل ثلاثة اضعافه ... فان ليزا امراة ناضجة ولها تجارب كثيرة ، اما كارلا فلا ... ولكل شىء ثمنه . اما هو فان دوره مرسوم .. ما عليه الا اقناع كارلا ، وامامه طريقتان لمعالجة ذلك الأمر .. الأولى : ان يعترف لها بكل شىء على الفور وأن يتذرع بمختلف الحجج ، بشرف العائلة ، وفقرهم وما ينتظرهم من بؤس او الايحاء اليها بما يريد بتهيئة الجو شيئا فشيئا ، واغرائها . وكارلا ضعيفة الارادة ، وسينتهى بها الأمر الى الرضوخ والاستسلام .. ثم ان هذا الأمر يقع لكثيرات غيرها ، فلماذا لا يقع لها هى بالذات .

فتحت ليزا له الباب وبين شفتيها سيجارة . وكان واضحا انها فرغت من تناول الطعام لتوها . وكان يبدو عليها الانفعال والشرود ، كما لو كانت قد افرطت فى الشراب .

وجلسا فوق الأريكة ، جنبا الى جنب ، وقالت وهى تناوله علبة السجائر : حسنا . كيف حالك ؟

واخذ سيجارة من غير أن يرفع عينيه ، وهو بادى الانشغال . وحدث نفسه يقول ان من الخير ان يبدأ على الفور . ونظر الى ليزا من طرف عينيه . كانت قد صبغت وجهها بالمساحيق ، وترتدى قميصا ابيض وجونلة رمادية ، وتتدلى من عنقها ربطة عنق فاقعة اللون . ولكن كان هناك تناقض غريب بين هذا الزى الرجالى الذى ترتديه وبين صدرها العريض المكتنز الذى يكاد يشق القميص . وقال اخيرا : الأحوال سيئة .

صاحت : سيئة ؟ .. ولماذا ؟

ونظرت اليه وهى ترجو ان يتذكر تلك القبلة التى طبعها على يدها بالأمس فى ظلام الصالون ، واجاب :

ــ لا أدرى . وقد فكرت فى اشياء كثيرة . فهل اذكرها لك ؟

وراى المراة تأتى باشارة معنـــاها « طبعـــا ، تكلم » وتتأهب للاستماع ففكر : ما عساها تظن اننى سأقول لها .. لعلها تحسب اننى سأقول لها اننى أحبها ، فهى لا تنتظر الا هذا . وقال فى صوت مسموع :

ــ حسنا . اليك الأمر ... اننى أجد نفسى فى موقف غريب ازاءكم جميعا ... انت وليو وامى واختى .

نظرت اليه مليا وسألته وهى تمسك يده فى حركة طبيعية : ازائى انا ايضا ؟

ــ نعم . ازاءك انت ايضا (وضغط على اصابع المراة فى حركة آلية واستطرد) كان يجب ان اشعر بشعور خاص .. اقول كان يجب لاننى ادركت ان الظروف تحتم وجود شعور خاص دائما ... فعندما يشيع المرء جنازة او يشترك فى حفل زواج ، فلابد من مظـــاهر معينة من الفرح او الحزن ، فلا يمكنه ان يضحك وهو يسير خلف الميت ، ولا ان يبكى عندما يتبادل العروسان خاتمى الزواج ، فان هذا سيكون سلوكا فاضحا وغير انسانى . واذا لم يحس المرء بشىء فعليه ان يتظاهر ، وهذا ما افعله معكم فاننى اتظاهر بأننى اكره ليو واحب امى .

سألته ليزا فى لهفة وهى تراه يتردد ثم يتوقف عن الـكلام : وبعد ؟

أجاب وهو يحس بالضـــجر والأسى : الواقع اننى لا احسن التظاهر ،فمن فرط الاحساسات الـكاذبة والتصرفات والـــكلمات والافكار الكاذبة غدت حيـــاتى مهزلة فاشلة . لم اعد اســتطيع التفاخر ؟ » . وسكت لحظة فى حين راحت ليزا تتأمله فى خيبة امل ، ثم استطردت : « ولكن هذا لا يهمك طبعا ، فانت لا تفهمين فيه شيئا .. اســـتطيع ان اتحدث اليك يوما كاملا من غـــير ان اتحدث اليك يوما كاملا من غير ان تفهمنى .

واطرق براسه ، وعندئذ سمعها تهمس فى اذنه قائلة : بل اننى افهم ايها الحبيب المسكين ميشيل .

والقت بيدها على شـــعره وراحت تداعبه . واجتاحه شعور

بشفقة يشوبها شيء من التقزز وقال فى نفسه « يا لك من مسكينة ! .. اتريدين ان تعلميني انا كيف يكون التظاهر ؟ .. ولكنه عندما رفع عينيه وراى وجه المراة وما ارتسم عليه من احساس صادق وحب عميق تملكه الرعب وقال لنفسه « هل جاءت اللحظة هكذا حالا ؟ .. ونظر الى وجه المراة والى شفتيها المفتوحتين المتوسلتين وعينيها المضطرمتين ووجنتيها المشتعلتين ، وخضع لهذا الرجاء الصامت وادرك الموقف المصطنع الذى تفرضه عليه الحياة مرة اخرى، واحس بأصابع المراة تضغط على اصابعه فى رفق كما لو لكى تحثه على التصرف فانحنى وقبلها فى فمها .

وكانت قبلة طويلة راح كل منهما ينهل من الآخر فى شراهة متجددة ، وافترقا اخيرا وتبادلا النظر . وقال ميشيل يحدث نفسه من غير ان يفارق بعينيه وجه المراة المضطرب المضطرم : « والآن ؟ » . وراى وجنتى ليزا الملتهبتين تزدادان احمرارا من الامتنان والشكران وتفتحت شفتاها الرطبتان فى اعجاب وتوسل . وامتلأت عيناها هياما وشغفا ، ومدت ذراعها ومرت بيدها على شعره وهى تنطق بكلمة « حبيبى » فى صوت متهدج كاذب .

وخفض عينيه . كانت ليزا جالسة على ساقيها الملتويتين ، فى توازن صعب وراحت تقترب منه وهى تداعبه فى راسه . وكان زحفا شاقا ، ولكن كان من أثره ان الجونلة أخذت تنحسر فوق ركبتيها شيئا فشيئا كاشفة عما فوق ركبتيها . واحس ميشيل بضيق وسخط كبيرين لم يدر ان كان مصدرهما لانه انقاد لهذا العناق أو للتناقض الخادع بين هذه المداعبات وبين كلمة الحب والعرى الفاجر الذى تكشفه هذه الحركة الماكرة . وفكر متقززا « من تظنين ؟ » وتلاشت الرغبة الشهوانية البسيطة التى ولدتها فيه تلك القبلة ، وارتد الى الوراء فى حركة خرقاء وهب واقفا على قدميه وقال وهو يهز رأسه : كلا .. كلا .. هذا لا يمكن أن يكون .

وفي غباء وغضب تقريبا نظرت ليزا اليه ، من غير أن تغطى ساقها العارية ، وقالت : ماذا تعنى ؟

— أعنى اننى أشعر من نحوك كما اشعر تماما نحو الآخرين ، وحيث اننى لا استطيع ان اكره ليو ...

— حتى بعد الذى اخبرتك به عنه ؟

أجاب ميشيل فى شيء من الضيق : يجب أن اعترف لك بأن

كنت أعرف تماما ...

ـ كنت تعرف ماذا ؟

ـ منذ عشر سنوات على الاقل .

وانحنى لكى يلتقط قاطعة ورق كانت قد وضعت من فوق الطاولة، وأعادها مكانها . وفيما هو يفعل اجتاحته رغبة جنونية من الحقيقة فقال :

ـ وكما اننى لا استطيع ان اكره ليو على الرغم من أننى أعرف قصته مع أمى من اولها الى آخرها فاننى لا استطيع ان احبك .. انه عدم الاكتراث ... عدم الاكتراث دائما .

وختم حديثه فى غضب : وحيث اننى لا أستطيع ان ارتمى بين ذراعيك ، وان ابوح لك بحبك وأتظاهر بأننى أموت حبا وهياما .. وحيث اننى لا أستطيع القيام بهذه المهزلة .. فاننى افضل أن الزم الهدوء .

تمتمت ليزا فى اصرار وفى شىء من الوقاحة أثارت دهشة ميشيل : ولكن الحب يأتى دائما فيما بعد ... عندما يزداد كل منا معرفة بالآخر .

ـ ولكننا نعرف بعضنا كل المعرفة .

امتقع لون ليزا ، فلم يحدث ابدا أن صدها رجل بمثل هذه القسوة ، واشفقت أن يهرب منها حبيبها المراهق للأبد ، وخطر لها أن ترتمى عند قدميه ، وأن تستعطفه ، ولكنها عادت تقول فى اصرار : يقينا انك لست جادا فى هذا القول . دعك من هذه الفلظة . الا تشعر بشىء نحو حبيبتك ليزا ؟

واردفت تقول وهى تطوق عنقه بذارعيها : قل انك ستمنحنى هذه الفرفة . اليس كذلك يا ميشيل ؟ .. الا تحبنى قليلا ؟

واضطرم وجهها وتغيرت سحنتها وغدا صوتها عاطفيا .. ملمحا .. وتوتر جسدها كله ومست ساقه بركبتها . وساءته هذه الرغبة العنيدة وقال : افهمينى جيدا . هذا الحب الذى تشعرين به ، اين ينتهى اذا انا تصرفت معك كما اتصرف مع امراة ضائعة دون أن اهتمام بمشاعرى ؟ .. اذا انا اخذتك الآن ، واذا القيتك فوق الاريكة بلا تكليف ؟ .. انت تفهمين ما اعنيه طبعا .

ضحكت فى غباء وغرور وقالت : تلقينى فوق الاريكة ؟ ..

ولكننا لم نصل الى هذه النقطة بعد .

وترددت لحظة ثم القت بذراعيهـا حول عنقـه فى حركة لينة مضحكة وهى ترتمى الى الخلف . ونجحت فى هذه الحركة الاولى فقد بوغت ميشيل ووقع هو الآخر ، ولكن الى الأمام . بيد انه عندما راى وجه ليزا المضطرم والمنفعل وحاجبها المعقـودين بصورة آمرة ، وعينيها المشبوبتين ، وعندما احس بثقلها عليه ، اجتاحه اشمئزاز لا حدود له . ورفع راسه غاضبا ، وبكف يده على وجهها دفعها عنه ونهض ، وقال وهو يعدل ربطة عنقه :

ــ اذا كنت تشتهين ذلك الى هذا الحد فلم لا تعودين الى ليو ؟

بقيت ليزا مكانها فوق الاريكة ، وراسها بين يديها ، وصدرها يعلو وينخفض ، وتظاهرت بألم وخزى لا وجود لهما حقا ، ولكنها ما ان سمعت اسم عشيقها القديم حتى هبت واقفة وقد ارتسم الجنون فى عينيها ، ورفعت اصبعها فى حركة متوعدة وقالت :

ــ ليو ؟ .. هل قلت ليو ؟ .. أتعنى ان اعود الى ليو ؟ .. انك قلت انك لا تستطيع ان تـكره ليـو ، حتى بعـد أن عرفت ما عرفت . ولكن اصغ الى الآن جيدا . ان لدى سببا وجيها لكى لا اعود اليه .

قال ليو وقد تملكه الانزعاج امام هذا الاصبع المتوعد : اتعنين امى ؟

ولكنها قاطعته بضحكة حافلة بالازدراء وقالت : أمك ؟ .. ولكن امك اصبحت خارج المعركة منذ وقت طويل ايهـــا الحبيب المسكين ميشيل .. ان هناك امراة اخرى .. ولكن كلا .. من الخير ان لا انطق بشىء ، فأنا لا احب ابدا ان أتسبب فى وقوع امور خطيرة .

واشعلت سيجارة كما لو أنها عزمت على ان لا تزيد ، واطرقت براسها الى الارض . ولكنه اقترب منها وقال : اسمعى يا ليزا . اذكرى لى ما تريدين ما دمت تتحرقين شوقا لذكره .

ــ هل تريد أن تعرف كل شىء حقا ؟

ــ نعم ... وعجلى بالحديث .

بدات تقول فى تردد : انك قلت انك تريد ان تكره ليو ولكنك لا تستطيع .

ــ نعم . وقلت ايضا اننى اود لو ان احبك ولكنني لا أستطيع .

قالت فى برود وهى تأتى باشارة من يدها : لا تحفل بى .

وسكتت لحظة كما لو لكى تجمع شتات أفكارها قبل ان تتكلم ، وتكلمت اخيرا فقالت فى صوت خافت وهى تنظر الى اصابعها :

— ان قصتى قصيرة ... هل تتذكر اسمى ؟ .. عندما عادت امك واختك وليو من المرقص تعطل النور الكهربى فذهبنا لنبحث عن بعض الشموع ، ثم اصطحبتنى أمك الى غرفتها لكى ترينى فستانها الجديد .. واردت ان اخرج بعد ذلك ففتحت الباب وتقدمت خطوة فى غرفة الانتظار ... فمن رايت فى الغرفة عندئذ ؟

نظر ميشيل اليها . كانت قد سردت كل هذه القصة بصوتها البارد دون ان تكف لحظة واحدة عن تأمل يديها . وقد اصغى اليها فى شرود ، كما لو كانت قصة عادية ، ولكنه تذكر فجأة ان كل هذه المقدمة الطويلة لابد أن تتعلق بليو وتنتهى بليو ، وتحصر هذا الاسم فى حلقات متراكزة ، وتملكه قلق غريب بحيث كادت انفاسه تختنق ، وقال فى صوت واه : ليو !

اجابت ليزا وهى تهز رماد سيجارتها فى هدوء مصطنع : نعم ، ليو .. ليو وكارلا .. وكانا متعانقين .

وتبادلا النظر . وقف ميشيل جامدا دون أن تعتريه اية دهشة ، ولكن نظرته كانت ثابتة بلهاء ، تجعله يرى الاشياء مزدوجة . اما نظرة ليزا فكان يشوبها الفضول والخوف المقرون بنوع من الكبرياء المضحك ... كبرياء المراة الواثقة انها وجهت ضربة اصابت فى الصميم .

وساد الصمت ولم يتحرك ميشيل ، واطرق براسه الى الارض .. كانا متعانقين ! .. هذا غريب . ود لو ان يصرخ ويعبر عن استهجانه . ولكن الأمر اطربه واثار فضوله . لم يشعر بأى سخط ولا بأى اشمئزاز . لم تثر قبلة ليو وكارلا اى شىء فى نفسه ، فلم تكن كارلا وليو غير رجل وامراة بين غيرهما من الرجال والنساء المعروفين والمجهولين ، لم تمسه شخصيتهما فى شىء ، وحاول ان يغضب وان يقول « ولكن الأمر يتعلق بكارلا .. اختى ... رات ليزا عشيق امى وهو يعانقها . اليس هذا فظيعا .. منفرا .. اليس هذا نوعا من الزنا وارتكاب المحارم ؟ .. غير ان كارلا وليو وعناقهما وفجورهما لم يكن مهم عليه اى تأثير . وسألته المراة قائلة :

— ماذا تنوى ان تفعل ؟

نظر اليها وهو يحـــاول ان يتغلب على هدوئه وان يبدو منفعلا واجاب : ماذا انوى ان افعل ؟ .. ان الأمر بسيط . سأذهب الى هذا الوغد وامسك بتلابيبه .

ــ متى ؟

ــ متى ؟ .. غدا طبعا .. او بالاحرى ، كلا . سأمضى اليه اليوم ... والآن توا .

واخذ سيجارة واشعلها . ونظرت ليزا اليه من اعلا راســه الى اخمص قدميه نظرة فاحصة حائرة ثم قالت :

ــ اعتقد انك تهزل ، وانك لن تذهب اليه .

ــ واذا قدم لك الدليل ؟

ــ اى دليل ؟

ترد وقال فى نفسه « هذا صحيح ... اى دليل .. » . ونظر الى ليزا وقد غمره شيء من الخوف وهو يبحث عن نوع الدليل الذى يثبت به لليزا صدق عواطفه . وفجأة اهتدى اليه ، فقد راى ان خير دليل هو ان يقتل ليو . وراقت له الفكرة لأن اثرها سيكون لهفاعليته عند ليزا ، وقال :

ــ هل تصدقيننى اذا انا قتلت ليو مثلا ؟

اجتاح ليزا شعور بالرعب فى بادىء الأمر ، وابتسم ميشيل عندئذ وقد استراح لما احدثه من تأثير عليها ، ولكنها لم تلبث أن اطمأنت حين رات جبينه الهادىء وعينيه الخاليتين من اى غضب ، وقالت وهى تبتسم فى سخرية : نعم . سوف اصدقك عندئذ ، ولكن من يراك وانت تتكلم هكذا لا يصدق ابدا انك ستفعل ما تقول .

ــ اذن فأنت تعتقدين اننى غير جدير بأن اقتل ليو ؟

انفجرت المراة ضاحكة وقالت : نعم يا حبيبى المسكين ميشيل . هذه اشياء تقال ، ولكن شتان بين القول والفعل .. ثم يكفى ان يراك المرء لكى يفهم انه ليس لديك اية نية .

واردفت تقول لكى تتغلب على شكوكها الاخيرة : ومهما يكن من امر فاننى ما كنت لأدعك تنصرف لو انك كنت جادا فيما تقول .

وفتحت الباب وبسطت له يدها قائلة : اذهب الآن وقل له ما تشاء .

توقف ميشيل فى البسطة وقال وهو يبتسم ابتسامة مريبة : واذا انا قتلته ؟

اجابت وهى تضحك : سأصدقك عندئذ .

واغلقت الباب .

الفصل الثالث عشر

خرج ميشيل وراح يمشى تتناوبه الأفكار ، ويفكر فى خير طريقه يقتل بها ليو . وهداه فكره الى ان خير طريقة هى المسدس . وكان يعرف محلا لبيع الاسلحة طالما مر به وهو فى طريقه الى البيت فمضى اليه واشترى مسدسا صغيرا ومعه بعض الطلقات ، ثم قطع الطريق الى بيت ليو وهو يتخيل فى ذهنه ما سوف يحدث . سوف يطلق رصاصة من مسدسه على ليو فيرديه قتيلا ثم يمضى فيسلم نفسه للبوليس . وسوف تكون محاكمته حديث الناس جميعا فيقولون انه انتقم لشرفه وقتل رجلا اباح لنفسه انتهاك عرض امه واخته ، ولا ريب ان القضاء لن يدينه عندئذ .

وبلغ الشارع الذى يقيم ليو فيه ، واحس عندئذ بضيق بارد قاتل يجمد الدم فى عروقه وقال : « ها نحن قد وصلنا . سأقتل الآن رجلا ودس يده فى جيبه ولمس المسدس . ان قتل ليو معناه ان يقتله حقا وان يشطبه من عداد الأحياء ، وان يسفك دمه . « لابد من قتله ... هكذا ... من غير جلبة او ضوضاء ... نعم .. سأصوب نحو الصدر ، فيقع ، ثم انحنى فوقه واجهز عليه .

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والشارع مقفر تقريبا . وتوقف لحظة لكى يرى رقم البيت . كان رقم ٨٧ لا يزال بعيدا فاستأنف سيره وهو يقول « فلأراجع الآن الاسباب التى تجعلنى اكره ليو .. أمى واختى التى كانت لا تزال طاهرة حتى ايام قلائل .. وهى الآن كما لو كانت فتاة من فتيات الشوارع .. نعم ، عارية بين ذراعيه .. هذا الشىء فظيع ، يكاد قلبى يتوقف عن الحركة حين افكر فيه .. اختى تبذل نفسها لفجور هذا الرجل .. واحس بالجفاف فى حلقه وعاد يقول : فلتذهب اختى الى الجحيم ، وليذهب الجميع الى الجحيم .. أسباب ؟ ولكن ليس لدى أى سبب . اننى قررت ان اقتله وسأقتله ، وهذا كل شىء » . وراح ينظر الى ارقام البيوت : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، وفجأة اخذ يجرى والمسدس يرتطم بفخذه .

وصعد السلم الى الطابق الثانى حيث يقيم ليو وهو يقول « انه ليكون امرا جميلا اذا لم أجده فى البيت » .

ولم يقرع الجرس ، وانما وقف ينتظر لحظة ريثما يسترد أنفاسه . وعندما رأى انه تغلب على انفعاله وأصبح هادئا دق الجرس . ومضت مدة طويلة والصمت يخيم حوله ، وفكر فى سرور وارتياح كبيرين : « انه ليس بالبيت . سأقرع الجرس مرة اخرى تبرئة لضميرى » ورفع يده لكى يقرن القول بالعمل عندما انفتح الباب وظهر ليو .

كان يرتدى ثوب النوم ، وكان شعره شعثا . ونظر الى الشاب من قمة راسه الى اخمص قدميه وقال فى صوت ناعس ومن غير أن يدعوه للدخول : انت هنا ؟ .. ماذا تريد ؟

وتبادلا النظر . وميشيل يقول فى نفسه « انك تعرف ما اريد ايها الوغد » ولكنه اكتفى بأن رد عليه قائلا : لا شىء ... اريد أن اتحدث اليك فحسب .

رفع ليو عينيه ونظر الى الشاب فى وقاحة وغباء وقال وهو يتصنع الدهشة : آه ! ما أجمل هذا ؟ .. تريد أن تتحدث الى ؟ .. وفى مثل هذه الساعة ؟ .. وماذا تريد ان تقول ؟

واردف وهو يحاول اغلاق الباب : اسمع يا عزيزى ... من الأوفق ان تأتى فى يوم آخر ، فاننى كنت نائما . ولست فى حالة تسمح لى بالاصغاء اليك . تعال غدا .

دفع ميشيل الباب فى عنف ودخل وهو يقول : كلا .. يجب أن اتحدث اليك اليوم بالذات ... والآن .

وقال يحدث نفسه فى انفعال غريب : ان كارلا هنا .

وعاد يقول وهو يلقى يده على كتف ليو : قل الحقيقة . اننى قطعت عليك خلوتك ... ان معك هنا شخصا ... اليس كذلك ؟ آه .. آه .. فتاة جميلة ؟

تحول الرجل اليه وقال فى غير اقناع : كلا . لا يوجد احد اطلاقا .

أدرك ميشيل انه أصاب الهدف ، فوضع يده وامسك المسدس .

وعاد ليو يقول وهو يتقدمه الى غرفة الانتظار : كنت نائما ... نوما عميقا .. وكنت احلم أحلاما جميلة وقد ايقظتنى انت .

وقال ميشيل يحدث نفسه : هل أطلق عليه النار فى ظهره ؟ .. كلا .. كلا .

واخرج المسدس من جيبه ، وصوبه نحو ليو وهو يقول : سوف

اطلق عليه النار بمجرد ان يلتفت الى .

وتقدمه ليو داخل الغرفة ، واقترب من المنضدة واشعل سيجارة واستدار اليه اخيرا ، وعندئذ رفع ميشيل يده واطلق عليه النار وهو يغلى حقدا وغضبا .

ولكن لم يصدر اى دوى ولا اى دخان . اما ليو فقد تملكه الذعر عندما راى المسدس وارتمى خلف مقعد . وضغط ميشيل على الزناد وللمرة الثانية ، ولكن لم يصدر المسدس غير صوت تكة جافة فقال فى سره « انه تعطل » وراى ليو يصرخ قائلا : « انت مجنون ! » ثم يمسك بمقعد ويرفعه فى الهواء كاشفا بذلك عن كل جسده ، فمد يده الى الأم وضغط على الزناد مرة اخرى . ولكن لم يصدر منه أى صوت آخر غير تلك التكة الجافة ، وفكر ميشيل مرعوبا : ان المسدس غير محشو ، والرصاصات فى جيبى » ووثب جانبا لكى يتحاشى المقعد الذى يهدده به ليو ، واسرع الى الركن المقابل وراسه تدور ، ولكن ليو قذفه بالمقعد فأصابه فى يده وفى ركبته فى عنف بحيث افلت المسدس منه . وكان الألم شديد فاطبق عينيه ثم ارتمى على ليو فى ثورة من الغضب العنيف وحاول أن يخنقه . غير ان ليو امسك به وراح يهزه ذات اليمين وذات اليسار بقوة بحيث وقع على الاريكة . وهجم عليه الآخر على الفور وأمسكه من معصميه .

وتبادلا النظر فى صمت . وبذل ميشيل جهده لكى يحرر نفسه وهو يلهث وقد اضطرم وجهه . ولكن ليو رد على محاولته بأن لوى معصميه . وخضع ميشيل اخيرا للألم والغضب واحس فى غموض بأن الحياة لم تقس فى حياته كما قست عليه فى هذه اللحظة ، واغرورقت عيناه بالدموع . وتأمله الرجل لحظة ثم قال وهو يهز راسه : انت مجنون !

واخلى سبيله ، ونهض ميشيل وهو يدعك معصميه لفرط المه . وراى ليو واقفا فى وسط الغرفة ، جامدا لا يتحرك ، والمقعد مقلوبا ، ومسدسه فى ركن منها .. انتهى كل شىء ، ولكنه لم يستطع ان يفهم ... لم يدر هل يجب أن يتظاهر بالسخط أم بالخوف ، وراح ينظر الى ليو وهو لا يكف عن دعك يديه فى حركة آلية .

وقال الرجل اخيرا وهو يتحول الى الباب : هل لك ان تنصرف

الآن ؟ .. اما عن هذا الحادث الأخير فسوف أتناقش فيه مع امك .

ولكن ميشيل لم يتحرك ، وراح يفكر ... لا عتاب ولا غضب . يبدو انه يتعجل انصرافى . انه يخشى ان اكتشف وجود كارلا ... ان كارلا هنا .. فى الغرفة المجاورة . وقال فى صوت واضح : اين كارلا ؟

كشف الرجل عن ذهوله بتغير بسيط جدا ووقح بدا على وجهه . ولكنه لم يلبث ان تغلب على نفسه وقال فى لهجة طبيعية :

ـ كارلا ؟ .. وانى لى ان اعلم ؟ .. لا ريب انها فى بيتها أو فى الشارع (ودنا منه وامسكه من ذراعه واردف) : هل ستنصرف نعم أم لا ؟

اصفر وجه الشاب ولم يبذل اى جهد لكى يتخلص ، وقال : لا تظن انك تخيفنى . سأتصرف عندما يحلو لى ذلك .

عاد ليو يقول فى صوت قوى : هل تنصرف الآن ؟ .. نعم أم لا ؟

وأتى بحركة لكى يجذب ميشيل نحو الباب ، ولكن الآخر قاومه واسرع يقول : اظن ان كارلا موجـودة هنا .. فى بيتـك .. فى غرفتك ... دعنى .

ولكن ليو لم يخل سبيله ، وعاد يقول فى شىء من الفرح : بل ستنصرف . اننى هنا فى بيتى ، وأنا حر افعل فيه ما يحلو لى .

ودفعه من كتفيه نحو الباب دفعا . وفجأة احس ميشيل بأنه يرتفع عن الأرض فصاح : أيها الوغد .. ايها الوغد .

ـ لا بأس .. انا وغد .. ولكنك ستنصرف على كل حال .

وفى هذه اللحظة فتح الباب وظهرت كارلا .

كانت ترتدى جونلة قصيرة وبلوزة من الصوف البنى اللون . ولا ريب انها ارتدت ثيابها على عجل لأن شعرها كان منكوشا ووجهها شاحبا ، مما يدل على انها لم تحاول ان تتجمل او تتزين . واغلقت الباب خلفها ، وتقدمت الى منتصف الغرفة ، معتدلة القامة ، ثابتة النظرات وقالت :

ـ سمعت جلبة فأتيت .

اما ليو فقد تخلى عن ميشيل بعد ان مرت أول لحظة من الدهشة

وأسرع اليها واخذ يهزها من ذراعها وهو يقول : كيف هذا ؟ .. قلت لك ؟ .. قلت لك أن لا تتحركى ، وأتيت على الرغم من ذلك ؟.. فهل تسخرين منى ؟ .. آه .. أنكما لمجنونين أنتما الاثنان ! .. حسنا . ما دمت قد أتيت فها هو أخوك .. أخوك الذى يطلق النار على الناس .. تحدثى وافعلى ما تشائين فاننى أغسل يدى من كل شىء .

وأولاها ظهره كالرجل الذى لا يريد أن يزعجه شىء ، ومضى فجلس أمام النافذة . ونظر ميشيل الى كارلا .. ماذا بقى من سخطه الشديد الذى تصور انه لابد أن يشعر به فى مثل هذه الظروف ؟ .. وأين نسيه ؟ .. ان مجرد أخطاء ليو ومساوئه ما كانت لتواتيه لو لم يمسك الرجل بذراع أخته بتلك القسوة ولو لم تظهر كارلا بهذا المظهر الذى يدل على أنها ارتدت ثيابها على عجل وفكر : « ان الله وحده يعلم كيف كانت عندما أتيت » . وراح يبحث فى أسى شديد عن آثار الخطيئة .. هذا الوجه الشاحب وهاتان العينان الذابلتان وتلك الهيئة التى تدل على الارتباك والشبع .. كل هذا كان يؤكد شكوكه . وقال أخيرا وهو يبذل جهدا كبيرا .

ـ لك كل تهانئى يا كارلا . كان فى مقدورك أن تأتى كما فعل ليو .. فى ثوب النوم .

وأشار الى الرجل ، وغطى هذا الأخير صدره محنقا . وساد صمت ثم قالت كارلا فى توسل قلق : ميشيل .. لا تتكلم هكذا .. دعنى أفسر لك .

اقترب ميشيل من المنضدة واعتمد عليها وقال : ليس هناك ما تفسرينه . لا أعرف هل تحبينه ، ولكن مهما يكن فقد اخطأت خطأ كبيرا ، فأنت تعرفين مكانته عند أمك ، كما تعرفين أى نوع من الرجال هو ... وعلى الرغم من ذلك بذلت نفسك له . ثم واثق انك لا تحبينه فوق ذلك .

اعترفت دون أن ترفع عينيها : اننى لا أحبه . ولكن هناك سببا آخر .

ارادت أن تقول له انها انما فعلت ذلك لكى تبدأ حياة جديدة ولكن الشجاعة لم تواتها ، فقد رات أن هذا السبب البعيد لم يغير

شيئا فيما عدا ضياع بكارتها ، وانه أصبح سببا مضحكا وسخيفا سكتت ولم تتكلم ، وعندئذ صاح ميشيل فى انتصار وان كان قد احنقه الدور الذى يجب أن يقوم به .

ـ حسنا . سأقول لك أنا ذلك . لقد مرت بك فترة ضعف وملل ، ولم تحاول البحث أبعد عن ليو وقبلته على الفور ، تماما كما يقبل المرء أول شخص يلتقى به . استسلمت له من غير أن تعرفى لماذا .. لا شىء ألا لكى تفعلى شيئا ما .

أجابت : نعم . لكى أفعل شيئا ما .

ـ ثم تحققت انك لم تفعلى أى شىء وانك خرجت من موقف مستحيل لكى تقعى فى موقف آخر مستحيل .

وسكت ، ونظر الى أخته ، وعندما رآها واقفة أمامه ، معتدلة القامة ، صامتة ، لا كما تقف المرأة المذنبة وانما كشخص يستمع الى ملاحظة فى احترام وفى خضوع وفى غير اكتراث ، أحس بقلق أسود وبمهانة كبيرة ، وأردف يقول فى لهجة خطيرة تفتقر الى الاقناع :

ـ علينا الآن أن نبدأ من جديد . ان الملل والضجر هما اللذان دفعانا الى أخطائنا . انك لا تحبين هذا الرجل ، وأنا لا أكرهه .. ومع ذلك فقد جعلنا منه محور أفعالنا المتعارضة .

وشعر بالضيق لعجزه وعدم قدرته على شىء بحيث ود لو أن نبدأ من جديد .

قالت أخته فى صوت واضح من غير ان تلتفت اليه : كلا . لا أظن ان حياة جديدة ممكنة الوقوع ، واذا كنت قد ذهبت معه (واشارت الى ليو) واذا كنت قد فعلت هذا ، فقد فعلته على أمل حياة جديدة ... ومن الخير اذن ان لا نقوم بمحاولات أخرى . ولنقف عند هذا الحد .

أجاب ميشيل فى غير اكتراث : أبدا .. أبدا .. اذا لم يكن قد تغير شىء فذلك لأنك لا تحبين ليو .. كانت هذه غلطة لا فائدة منها .. ولكى يعيش المرء ويغير حياته حقا لابد له من التصرف بصدق واخلاص . واليك ما أعتقده على الأقل . اظن انه يجب ان تنفصلى عن هذا الرجل الذى لا تحبينه .. سنبيع الفيللا ، ونسدد

له دينه ، واذا تبقى لنا شيء فان هذا يكون افضل .. سوف ندير ظهورنا الى كل هذه الحفلات والى هؤلاء الناس والى هذا الوسط الذى لا يقدم لنا الا الملل .. سننتقل للاقامة فى مسكن صغير ... وستكون هذه حياة جديدة .

قالت كارلا كما لو كانت تحدث نفسها : هذا مستحيل .

وساد صمت . وكان حديث ميشيل قد جمد الدم فى أطراف ليو ، فان بيع الفيللا ، اذا بيعت سوف تكون وبالا عليه ، فانهم اذا ما عرضوها للبيع فسوف تظهر قيمتها الحقيقية ، خاصة وانها تقع في وسط البلد ، وتشغل مساحة كبيرة من الارض وتحيط بها حديقة فسيحة ، وسيجنون منها مبالغ باهظة اذا ما قسمت وبيعت مجزأة لاقامة عمارات سكنية جديدة .. ويمكنه عندئذ أن يودع هذه العملية الرابحة . ونظر الى كارلا ثم الى ميشيل . وفجأة خطرت بباله فكرة رأى أن ينفذها على الفور فقال :

ــ مهلا .. أنا هنا ، أنا أيضا . ونهض وأبعد ميشيل بحركة من يده ، وأرغم عشيقته على الجلوس قائلا : أجلسى هنا .

وأطاعته الفتاة على الفور . وجلس ليو هو الآخر وقال : من المؤكد اننا لم نحسن التصرف ، واننا ارتكبنا أخطاء .. وقد فكرت فى الأمر وأنتما تتحدثان .. فكرت فى ذلك يا كارلا ... ما قولك اذا عرضت عليك ترضية ؟ .. اذا عرضت عليك أن أتزوجك ؟ .. وارتسمت على شفتيه المكتنزتين ابتسامة مقنعة تنم عن الانتصار ، فقد كان واثقا من نفسه ، ما رأيك ؟

وأخذ يدها من فوق المنضدة . وحاولت كارلا أن تسحبها عبثا وقالت وهى تبتسم ابتسامة حزينة : نتزوج ؟ .. أتعنى أنا وأنت ؟

وهزت راسها نافرة من فكرة الزواج .. فان أمها ستعيش معها فى البيت ، وستفار منها الى الابد لانها العشيقة السابقة لزوجها . ثم ان هذا العرض جاء بعد فوات الأوان ، وان كانت لم تدر لماذا فات الأوان لكى تتزوج . فانهما متعارفان بما فيه الكفاية لكى يصبحا زوجين .. ومن الاوفق ان ينفصلا ، أو لعل من الاوفق ان يبقيا هكذا .. عشيقين ! بدا لها أن أشد المواقف صعوبة وأكثرها نذالة أفضل بكثير من فكرة الزواج .. هكذا فكرت ولكنها لم تجد

الكلمات التى تعبر بها عما يدور فى رأسها ، فقد فتنتها ابتسامة عشيقها ونظراته ، ثم أحست بيد ميشيل على كتفها ، وتمتم يقول فى صوت منخفض :

– كلا ... قولى له كلا .

وعندئذ أطلق ليو يد كارلا ونهض قائلا فى ثورة من الغضب : هلا تكرمت وتركت أختك لشأنها ولو مرة واحدة . انها هى التى سأتزوجها وليس أنت ، فدعها ترد طبقا لمصلحتها . اسمع . من الأوفق ان تمضى الى الغرفة المجاورة وتتركنا وحدنا لحظة . سندعوك عندما نصل الى اتفاق .

قال ميشيل متحديا : هدىء من نفسك ... اننى باق .

أتى ليو بحركة تدل على القلق ، ولكنه لم ينطق بشىء . وجلس . واخذ بيد كارلا وقال :

– فكرى جيداً فيما عرضته عليك . اننى رجل له مركزه ، ولدى رأسمال ووظيفة محترمة متينة ، وما أظنك تجدين زوجا آخر وأنت فى مثل ظروفك هذه .

سألته : أية ظروف ؟

كشر ليون وقال : انت لا تملكين موقفا ، ثم ان وضعك أصبح مشينا .

– كيف هذا ؟

– مشينا . لن يعاملك أصدقاؤك كفتاة محترمة .. سوف يهتكون عرضك ، ولن يفكر أى منهم فى الزواج بك .

وسكتت . وودت لو ان تقول له : « انها غلطتك أنت .. أنت وأمى » ولكنها اكتفت بأن أطرقت برأسها الى الارض ، فى حين استطرد وهو يقول :

– اما انا فاننى أصلح الأمور وأعيدها الى وضعها الاول ، ليس فيما يتعلق بك وحدك ، وانما فيما يتعلق بالاسرة كلها . سنأخذ أمك للاقامة معنا .. وسوف أجد وظيفة لميشيل .

اجتاح الغرفة ظل رطب ، وراح ميشيل يذرع ارضيتها جيئة وذهابا وهو يفكر : وظيفة لى .. لا ريب ان ليو مجد فى قوله هذا وانه لا يهزل ، وسوف ينفذ ما يقول ويساعده على كسب المال ..

هذه هى الفائدة التى سيجنيها مقابل زواج كارلا .. لم يكن معنى هذا انه يبيع كارلا ، فانه لم يكن يؤمن بهذه الكلمات الجوفاء ... انه لا يؤمن لا بالشرف ولا بالواجب ... احس بأنه كما هو دائما .. رجل مقامر لا يكترث بأى شىء . وفكر : « لن اقول لها شيئا . سأدعها تقرر مصيرها هى بنفسها . اذا قبلت فهذا حسن . واذا رفضت حسن ايضا .. » ولكن ضيقا خفيفا انذره بأن فى هذه السلبية شيئا خسيسا ، وسمع ليو يقول :

ـ اذا كنت تترددين بسبب امك فاطمئنى ، فقد انتهى ما بينى وبينها منذ وقت طويل .

هزت كارلا راسها وقالت : ليس بسبب امى .

وهنا صاح ميشيل يقول : بالله يا كارلا .. قولى له لا .

نهض ليو واقفا وهوى بقبضة يده على المنضدة وصاح :

هل لك ان تسكت وان لا تهتم الا بما يعنيك انت ؟

تقدم ميشيل خطوة الى الامام وقال : انها اختى .

ـ هى اختك كما تقول ، ولكن اليس لها مطلق الحرية فى اختيار الزوج الذى تريد . صدقينى يا كارلا . لا تستمعى اليه فانه لا يدرى ما يقول .

ولكنها اشارت له بيدها ان يسكت وتحولت الى اخيها وسألته : لماذا تريد ان اقول له لا ؟

راته يتردد ويجيب اخيرا : انك لا تحبينه .

ـ ليس هذا بسبب كاف ، ففى الامكان الاستغناء عن الحب .

ـ وهناك امنا .

ـ أوه ... انها لا تضايقنا .

ثم تحولت الى ليو وخاطبته قائلة : اتريد حقا ان تتزوجنى يا ليو ؟ الا تخشى ان يفشل هذا الزواج .. فانا مثلا على يقين من انك سوف تخوننى ...

فكر ليو وهو يحدق فيها مليا : بل انت التى ستخونيننى أيتها الفاجرة .

وقال فى صوت مسموع : اقسم لك اننى سأكون وفيا لك دائما .

لم تنطق كارلا ، وراحت تنظر الى المائدة ، وكانت السماء

تمطر ، ولفتهم ظلمة البيت ، ولم يعد الواحد منهم يميز الآخر الا في شيء من الغموض . وقالت :

ــ حان الوقت لكي ننصرف .

سألها ليو : وما هو ردك ؟

ونهض هو الآخر ، وسار متحسسا طريقه ، وأدار مفتاح النور . وتبادل الجميع النظر وقد بهرهم النور الذي سطع فجأة وقالت كارلا :

ــ ردي ؟ .. غدا يا ليو .. يجب ان أتحدث الى امي .. انتظرني لحظة يا ميشيل ، ريثما آتي بقبعتي .

الفصل الرابع عشر

وعندما هما بالخروج من البيت كانت السماء لا تزال تمطر . ولم يكن المطر عنيفا وانما كان غزيرا ، فراح الماء يغلى ويفور على الأرض ، وتكومت البرك والمستنقعات فى الشوارع وبهتت أنوار المصابيح وغرقت الافاريز حتى بدت كأرصفة الموانىء التى يغوص نصفها فى مياه البحر .

وتسللا بجوار الجدران وهما منحنيان تحت سيل المطر لا يحميهما شىء غير مظلتهما الوحيدة . فى آخر الشارع توقفت لهما سيارة أجرة ولم تلبث ان انطلقت بهما .

وجلس كل منهما بجوار الآخر فى الظلام ، دون أن ينطق بكلمة ، وراحت هزات السيارة تأرجحهما وتجعلهما يصطدمان بعضهما ببعض كدميتين لا حياة فيهما ، واسترخى ميشيل فى ركن من العربة وبدا عليه أنه مستغرق فى التفكير . اما كارلا فجلست محنية قليلا ، وحاولت أن تعرف طريقها ولكن من غير أن تفلح ، فقد كانت النوافذ مبتلة ، وتكوم فوقها دخان بارد ولم تستطع أن تتعرف على الطريق . خيل لها انها استبعدت عن الأرض هى وأخوها ، وانها سجنت معه فى هذا الصندوق المظلم الذى ينقلهما الى عالم مجهول بكل هذه السرعة . أين ؟ أينتهى بها هذا اليوم ومعه حياتها القديمة الى سؤال لا جواب له ؟ أين يذهب المرء نهارا أو ليلا تحت سيل المطر ، أو فى وضح النور ؟ وتملكها الخوف ، وأحست بالرغبة تدفعها الى تقريب غايتها ، وتصغير عالمها وفى أن ترى عالمها كله كما لو كان غرفة ضيقة . وفكرت « سوف أتزوج ليو » وحدقت على زجاج النافذة مشهدا غريبا من الأنوار .. زجاج البيت فى الليالى المطرة ونوافذ مفتوحة على حقول الاحلام السوداء ، واذا بها

ترى نفسها فى وضح الشمس فوق درج الكنيسة وهى ترتدى ثوب العرس الأبيض وتتعلق بذراع رفيقها ، ويخرج خلفهما من داخل الكنيسة أعضاء موكب الزفاف : أمها ، ويبدو انها كانت تبكى ، وفى يدها باقة من الورد ، وميشيل ، ينظر الى الأرض كما لو كان يبحث عن مواضع قدميه ومدعوون كثيرون لم تستطع تمييز ملامحهم .

واخرجها من حلمها صوت أخيها ، وكان يتكلم ، فنظرت اليه وسألته قائلة : حسنا يا ميشيل .. ماذا تقول ؟

قال : اذا لم أكن مخطئا فاننى لم أذكر لك لماذا يجب ان ترفضى الزواج بليو .

ــ هذا صحيح .

ــ اليك السبب اذن . اليوم ، قبل أن اذهب الى ليزا ، وبهذه المناسبة فان ليزا هى التى أخبرتنى بكل شىء عنك وعن ليو ، فيبدو أنها رأتكما امس وأنتما متعانقان . ولكن ما علينا .. قبل ان أذهب الى ليزا اذ أمعنت فى التفكير فى وضعنا وقلت لنفسى : « اننا افلسنا وأصبحنا فى موقف لا علاج له ، واننا اذا استمررنا على ذلك فسوف نعانى من البؤس والفاقة قبل أن ينتهى بنا العام ، ورأيت ان الشخص الوحيد الذى نستطيع أن نعتمد عليه هو ليو ، وليو ، كما تعرفين ، زير نساء وسوف يمنح المرأة التى تروق له كل ما لديه ، وخطر لى أن أقدم له أختى .. نعم ، اقدمك له انت يا كارلا ، مقابل نقوده » .

تحولت اليه فجأة وسألته : هل خطر لك ذلك ؟

ولمدة لحظة خاطفة أضاء نور المصباح وجه ميشيل فرأت كارلا عينين مفتوحتين متسعتين ووجها ممتقعا ، فأطرقت براسها وقد أجتاحها القلق ، واستطرد ميشيل :

ــ نعم . خطر لى ذلك . وظننت اننى أرى المنظر ، فقد مضينا أنا وانت الى بيت ليو ، وعندما انفعل ارى الأشياء التى افكر فيها

فى وضوح تام ... تناولنا الشاى فى الصالون ، ثم ، وفى تكتم شديد انصرفت طبقا لاتفاقنا وتركتك وحدك معه ..

تمتمت مذعورة : هذا فظيع .

ولكن ميشيل لم يسمعها ، واستأنف قصته فقال : وعندما رأيتكما جالسين امام النافذة ، فى الصالون ، وعندما سمعت ليو يعرض عليك الزواج ، خيل لى اننى ارى المشهد الذى تخيلته ، وقلت لنفسى « حدث كل شيء كما توقعت ، كما او اننى قلت لليو حقا : اسمع .. ان أختى فتاة جميلة .. ناضجة .. لا تفصنى .. تخيلت هذا الحديث ...

تمتمت دون أن تلتفت اليه : لست غاضبة . استمر .

– ان أختى جميلة .. حسنا . سوف تقدم لنا المال . والمال الوفير وتنفق على أسرتى ، ومقابل ذلك سأتخلى لك عن كارلا ، فافعل بها ما تشاء .

صاحت فى غضب وأسى : وماذا حسبت اننى صانعة ... اتحسبنى جمادا أو حيوانا ؟

اجاب ميشيل وهو يبتسم فى شبه انتصار : كلا . ولكننى كنت اعرف انك ضجرة ، وانك تواجهين ظروفا مرجوة ، وانك سوف تقبلين بسهولة ، واذا انت تزوجته الآن فسوف أشعر دائما بأننى سلمتك له ، وسوف أحس دائما بأننى أجرمت فى حقك ، وانني بعتك له حقا ، فهل تفهمين الآن ؟

وأردف يقول فى قلق : ولكنك سترفضين الزواج به طبعا ، اليس كذلك ؟

وساد صمت قصير ثم اجابت تقول : بل سأتزوجه .

وبدا أنها تفكر . ثم استطردت تقول فى صوت حزين قاس : ماذا يكون مصيرى اذا أنا لم أتزوجه ؟ .. فكر .. فى الظروف التى أعيش فيها الآن .. (وأتت باشارة لكى تريه نفسها كما هى) فتاة فقيرة ، عارية ، ضائعة ... هل أرفض ؟ .. ان ذلك ليكون جنونا ... لم يعد امامى غير شيء واحد وهو أن أتزوجه .

وافتربا من نهاية رحلتهما ، وراحت كارلا تفكر .. نعم ، سوف تتزوج ليو ، وسوف تعيش معه فى بيت واحد وفى فراش واحد ، وسوف يتناولان طعامهما معا ويخرجان معا ويشتركان معا فى افراحهما وأتراحهما . وسوف يكون اسمها مدام ميروميس .. وها هى ترى نفسها الآن وقد تقدم بها السن قليلا وازدادت سمنة والمجوهرات فى يديها وفى جيدها وعلى صدرها ، وقد زادتها الايام قسوة وبرودا . وها هى تدخل بهو فندق كبير ، يتبعها زوجها وقد ازداد صلعة شيئا ما وازداد سمنة هو الآخر . وها هى يجلسان ويتناولان الشاى ويرقصان والناس ينظرون اليها ويقول : انها امرأة جميلة ولكنها خبيثة ، لا تبتسم ابدا .. لها نظرة قاسية كالتمثال . واننا لنتساءل فيم تفكر . وآخرون يتهامسون ويقولون : انها تزوجت عشيق أمها .. ورجل يكبرها سنا بكثير . انها لا تحبه ولا ريب ان لها عشيقا هى الاخرى . وسينظر اليها الرجال فى اشتهاء ، وستنظر اليهم فى غير اكتراث .. والآن ، غرفة لمدام ميروميس ... هى الآن ذاهبة الى موعد ... وهى ترتمى فى أحضان عشيقها .. وقد تخلصت من جمودها وأصبحت شعلة من نار ، وعادت طفلة تبكى وتغمغم كما لو كانت سجينة أطلق سراحها وترى النور من جديد .. ثم بعد ان تفرغ من عشيقها تعود الى بيت الزوجية ، سعيدة ، وتستعيد برودها وجمودها . ستكون هذه حياتها طوال سنوات ، وسيحسدها الجميع ، فهى غنية ، وهى تلهو وتمرح ، ولها عشيق ، فماذا تريد أكثر من هذا ... ان لديها كل ما تشتهيه المرأة .

وتوقفت سيارة الأجرة ، وهبطا منها . وكان المطر قد انقطع . ووقفت بجوار عامود للنور تنتظر حتى ينقد أخوها السائق أجره . ولاحظت عندئذ سيارة أخرى واقفة بجوار الرصيف وقد غلب النوم سائقها ، وعرفت فيها سيارة آل بيراردى . ونظرت اليها مشدوهة ، ولكنها لم تلبث ان تذكرت تلك الدعوة لحضور الحفلة الراقصة .

وقالت لاخيها ، وكان يتقدم منها فى حذر بين برك الماء : ميشيل ... هى سيارة آل بيراردى .

والقى الشاب نظرة سريعة الى السيارة ثم قال : هذا صحيح . انهم اقبلوا لكى يصطحبونا آلى الحفلة الراقصة .

وفى بهو البيت الدافىء المنير ، خلع ميشيل معطفه وقبعته

ـ كارلا .. متى تحدثين امك عن هذا الزواج ؟

اجابت فى هدوء : غدا .

وتقدما الى الدهليز ، وتناهت اليهمـــــا من الصالون أصوات وضحكات . واقتربت كارلا من الستارة التى تغطى الباب الزجاجى ورفعتها فى هدوء ثم قالت :

ـ انهم جميعا هنا .. الثلاثة معا ... بيبو وماری وفانى .

وصعدا السلم . واستقبلتهما امهما ومعهـــــا ليزا فى غـــرفة الانتظار ، وكانت الأم على اتم الاستعداد ، فقد ارتدت ثوبها الاسبانى وتجملت وافرطت فى الاصباغ . وكانت تمسك فى يدها مروحة من ريش النعام ، ووقفت ليزا بجوارها ، فبدت كأنها النهار بجانب الليل .

وصاحت مارى جريس بولديها قبل أن يبلغا نهاية الدرج : ان الوقت متأخر ، وآل بيراردى ينتظرون منذ ربع ساعة .

كانت راضية مسرورة ، فقد قضت ليزا معها طوال فترة بعـــد الظهر ، وادركت من هذا ان ليو لم يكذبها القـــــول . وفى غمرة سرورها ترفقت مع صديقتها واطلعتها على اسرارها ، فكرت لحظة فى دعوتها لحضور حفل الليلة ، لكنها عدلت عن ذلك او خشيت ان يستهجن آل بيراردى الأمر لأن معرفتهم بليزا سطحية تقريبا .

ـ اسرعى يا كارلا . عجلى بارتداء ثيابك التنكرية .

ولكن كارلا وقفت جامدة لا تتحرك ، تتأملها ، وقالت اخيرا : هل يجب أن اتنكر ؟

انفجرت مارى جريس ضاحكة واجابت : طبعا . فما اخالك

تذهبين الى حفلة راقصة مقنعة بثوب بعد الظهر . كلا ؟ (اخذتها من ذراعها واردفت) هيا يا ابنتى ، فقد تأخرنا كثيرا .

رفعت كارلا قبعتها فى حركة آلية . وتبعت أمها . واذ رأتها سعيدة هادئة قالت تحدث نفسها : ومع ذلك فلابد من ان اخبرها بهذا الزواج .

وبقى ميشيل وليزا وحدهما . وراحت هذه الاخيرة تنظر الى الشاب فى فضول ولهفة . واذ رأته عازفا عن الكلام اقتربت منه وسألته فى فضول لم تستطع اخفاءه :

ــ حسنا . قل لى ، ماذا حدث بالضبط ؟

تحدث اليها وقال فى بطء : ماذا حدث ؟ .. آه ، نعم . اننى أطلقت عليه الرصاص .

صاحت ليزا فى رعب مبالغ فيه : يا الهى ! .. وهل جرحته ؟

ــ بل اننى لم اصبه .

جذبته الى الاريكة فى انفعال كبير وقالت : تعال هنا . اجلس بجوارى ، واخبرنى بما حدث .

ولكن ميشيل اتى بحركة تدل على التعب ونفاد الصبر وقال : ليس الآن ... فيما بعد .

ونظر الى هذه الكتلة من اللحم ، والى ذلك الصدر المكتنز .. واجتاحته رغبة فى نسيان بؤسه وشقاته ولو للحظة واحدة . وقال يسألها بعد ان كف عن فحصه لها :

ــ هل تذهبين الى الحفلة الراقصة ؟

ــ كلا .

ــ اذن (وتردد) بما انى لست ذاهبا اليها انا الآخر فاننى أدعو نفسى لتناول طعام العشاء فى بيتك .. وهناك سأخبرك بكل شىء .

هزت رأسها على الفور وقالت موافقة : حسنا ... هذا جميل .

ابتسم ميشيل فى مرارة . وقال لنفسه ؟ هذه المرة فى غضب وارتياح فى نفس الوقت : لا داعى لأن تخافى . فلن أصدك هذه المرة . وغمره نفور كبير . لم تكن افكاره الا صحراء جرداء ...

لا ايمان ولا امل ولا ظل واحد يتفيأ به ، ولا نبع واحد ينهل منه . الكذب والسفالة التي تمتلىء بها روحه كان يراهما عند الآخرين دون ان يستطع لحظة واحدة ان ينتزع من أمام عينيه هذا القناع النجس الذي يعترض حياته . وتشبث بفكرته الثابتة بقليل من الصدق وقليل من الايمان .. « كنت أستطيع قتل ليو ... ولكنني سأكون الآن صافيا كالماء » .

واختنق . اما ليزا فقد بدا عليها الرضا والسرور . وود لو ان يصرخ فيها « كيف تعيشين ؟ ... ابصدق ؟ .. والا فكيف تفلحين في الحياة ؟ » .. كانت افكاره مشوشة ومتعارضة ، وقال لنفسه : « لعل اعصابي المزعزعة هي سبب كل شيء . ولعله ليس هناك مشاكل مال ولا وقت ولا ظروف » . ولكنه كلما حاول تقليل المشكلة وتبسيطها كلما بدت له المصائب اكبر وافزع ... « ومن المستحيل الاستمرار هكذا » .. وود لو أن يبكي ، فان الحياة تحيط به من كل جانب كغابة كثيفة لا يتخللها اى ضوء .

وظهرت كارلا ومن خلفها امها . وكانت كارلا متنكرة في ثياب بييرو المهرج ، وفوق عينيها قناع أسود صغير . وقالت الأم :

ـ ما رايكما ؟

اجابت ليزا : رائع جدا ... اتمنى لكما سهرة ممتعة .

قالت كارلا ضاحكة : شكرا لك .

ثم نظرت الى اخيها وربتت على كتفه بطرف مروحتها وقالت في صوت منخفض :

ـ سوف نتحدث في هذا غدا . وفكرت « الواقع ان كل شيء جد بسيط ، والدليل على هذا انني ارتديت ثيابا تنكرية » . وراحت تفكر في ذهنها عن عمل مناسب له .. وظيفة ما بمجرد أن تتزوج من ليو ، ولكن امها جذبتها من ذراعها قائلة :

ـ هيا .. هيا .. ان آل بيرادي ينتظروننا .

وهبطتا السلم جنبا الى جنب . وعند الطابق الاول توقفت الام وهمست في اذن ابنتها قائلة :

ـ لا تنسي .. ماذا اريد أن اقول ؟ .. آه ، كوني ظريفة مع

بيبو .. اننى فكرت فى الأمر .. ولعله يحبك .. انه زو
لا بأس به .

قالت كارلا فى لهجة الجد : لا تقلقى .

وهبطتا الدرجات الأخيرة .. كانت مارى جريس تبتسم الآن ..
كانت راضية . وكانت تفكر فى ان عشيقها سيحضر الحفل
الراقصة ، ومنت نفسها بليلة ممتعة .

((تمت))

٢٠ قرشا

هذه الرواية

ميشيل بطل هذه الرواية شاب يتدفق حياة وحبا ولكنه يشكو اللامبالاة ، وهى احساس غريب يتيح له ان يغير آراءه وعاداته كما يغير الآخرون ثيابهم كل يوم · ويريد آن يحب وأن يكره الأشخاص المتحمسين الذين يحيطون به وهم أمه وعشيقها ليو وأخته كارلا وليزا التى تلاحقه وتحاول الاستئثار به ، ويود لو أن يشعر نحو أمه بالحنان أو بالتقزز ، وهما عاطفتان لا يعرفهما ، والا فلابد له أن يرحل وأن يبحث فى مكان آخر وربما فى الموت ، عن الفردوس التى يتحرر فيها من عدم مبالاته ·